الثقافة والاعلام:

نقاط الالتقاء

اسئلة الابداع في الأدب العربي المعاصر:

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأدب والصحافة

المواطن العربي

الموقف الثقافي

والبحوث:

ونقاط الاختلاف

علي سليمان
«سورية»

بحث عن الأصول في الأدب والاعلام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحمد المديني
«المغرب»

علاقة داخل المغامرة

ادريس الناقوري
«المغرب»

بين استراتيجية الأدب وتكتيك الاعلام

نزيه أبو نضال
«فلسطين»

والموقف الاعلامي

الطاهر بن عائشة
«الجزائر»

الثقافة والاعلام:
نقاط الالتقاء
ونقاط الاختلاف

علي سليمان
« سورية »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد يكون من الصعب تقديم تعريف محدد للثقافة او الاعلام يمكن الاطمئنان الى دقته ، في زمن انفجار المعلومات المتواصل ، وفي زمن التطور المتسارع لوسائل الثقافة والاعلام ، وفي عصر تداخلت فيه وسائل الثقافة بوسائل الاعلام ، وامتزجت فيه المادة الثقافية امتزاجا شديدا بالمادة الاعلامية ، واختلط فيه دور الاعلام ، بدور الثقافة ، وبدات الفوارق بينهما ، تبعا لهذا التمازج او التداخل ، بالتقلص والذوبان ، الى حد اصبح من العسير فيه ، التفريق بين الوسائل الاعلامية والوسائل الثقافية ، او بين المادة الاعلامية ، والمادة الثقافية ، او ماهو ثقافي وماهو اعلامي .

لقد ادى انفجار المعلومات وتدفقها عبر وسائل الاعلام الحديثة واعتماد الثقافة في انتشارها ، على هذه الوسائل ، الى تمتين العلاقة بين الثقافة والاعلام والى تزايد التداخل او التمازج ، بين المادة الثقافية والمادة الاعلامية ، وان كان هذا التمازج ليس جديدا ، وليس وليد هذا العصر ، او وليد ثورة الاعلام التي اقتادت المادة الثقافية عبر قنواتها المتعددة وجعلت منها المادة الاساسية التي تغذي هذه القنوات .

فالعلاقة بين الثقافة والاعلام ، علاقة قديمة قدم الثقافة ، بل قد يكون الاعلام اقدم من الثقافة ، ربما لان حاجة الانسان القديم للاعلام كانت اكثر الحاحا واكثر التصاقا بضرورات البقاء ــ من الثقافة .

فاذا اعتبرنا ان حاجة الانسان هي التي تؤدي الى ولادة الظواهر الانسانية ثقافية كانت او غير ثقافية او تحدد عمرها وتطورها ، فان حاجة الانسان القديم للاعلام كانت اكبر واكثر الحاحا ، لانها الصق بالحياة وبضرورات البقاء . اليست الاصوات والاشارات التي كان يصدرها الانسان القديم لينذر بها افراد اسرته من الخطر او يدعوهم بها الى الفعل نوعا من انواع الاعلام البدائي الذي املته الحاجة وضرورات البقاء .؟! . . قبل ان تكون للانسان اية ثقافة او اية افكار . .

لن اتوقف هنا طويلا ، فليس من اهداف هذا البحث معرفة أيهما اسبق ، او اقدم ، الثقافة ، ام الاعلام ، او الخوض في بحث تاريخي طويل قد تعوزه الوثائق . ولكن ما يهمنا بالدرجة الاولى معرفة العلاقة بين الثقافة والاعلام ، ومعرفة ، تطور هذه العلاقة وتأثيرها على الاعلام والثقافة معا ، بل على الحياة الانسانية .

فالعلاقة بين الثقافة والاعلام ــ كما اشرنا ــ علاقة موغلة في القدم ، لكنها لم تكن واضحة ، او متبلورة في الماضي ، فقد كانت المادة الاعلامية شديدة التداخل والالتصاق بالمادة الثقافية مبثوثة فيها ، ممتزجة بنسيجها ، يوم لم تكن هناك وسائل اعلامية معروفة او مستقلة .

الا ان تطور المادة الثقافية والاعلامية تبعا لتطور الحياة البشرية ، قد ادى الى وجود نوع من التمايز ، او التباين ، بين وسائل الثقافة ووسائل الاعلام ، فبدات وسائل الاعلام المستقلة بالظهور ، وكان صدور أول صحيفة بعد اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر(١) بداية استقلال المادة الاعلامية ، بوسيلة خاصة ، وبداية عصر الاعلام أو ثورة الاعلام التي انتشرت خلال هذا القرن ، من خلال الاذاعات ووكالات الانباء ومحطات البث التلفزيوني ...

ولكن ما ان استقلت وسائل الاعلام وتنوعت حتى طغت وبدات باحتلال مواقع الثقافة وغدت من اهم وسائلها ومن اقدرها على نشرها وايصالها ، بل اصبحت القناة الثقافية الرئيسية التي توصل الى الناس بسرعة ويسر ، مختلف انواع النتاج الانساني في جميع ميادين المعارف والعلوم والفنون والآداب ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا انتقلت أو تطورت علاقة الثقافة بالاعلام ، من مرحلة الاشتراك بوسائل واحدة في الماضي البعيد ، هي الوسائل الثقافية ، الى مرحلة تمايز الوسائل او استقلالها ، ثم العودة مؤخرا الى وسائل مشتركة ان لم نقل واحدة .

ولكن رغم ما تعرضت له هذه العلاقة من تلون أو تعرج ، فانها بقيت مستمرة ووثيقة .

واعتقد ان هذه العلاقة مرشحة للبقاء والاستمرار ، رغم طغيان الاعلام المعاصر على الثقافة ومحاولته الجلوس في مقاعدها ، اذ ليس هناك من مادة اعلامية خالية من الثقافة والتثقيف ، أو مادة ثقافية خالية من الاعلام فكل عمل ثقافي هو في احد جوانبه او وجوهه ، عمل اعلامي . أليست الثقافة او الاعلام ، تعبيرا عن الرغبة في التواصل مع الآخر أو نوعا من الحوار ، مع الآخر ، ومحاولة الوصول اليه ، لمخاطبته ، أو التأثير عليه ، أو التأثر به . أليس في طبيعة الثقافة ومادتها وهدفها ، جانب اعلامي

ووسيلة اعلامية وهدف اعلامي ! يعبر فيها الانسان عن موقفه من نفسه او من الآخر ، أو الحيـاة ، أو الكون ، ومن معتقـدات الآخر وقيمه واشكالاته . . . ثم اليس من اليسير اكتشاف الثقافة في الاعلام ، واكتشاف الاعلام في الثقافة ؟! . .

فالمثقف عندما يكتب ، أو يبدع اثرا ادبيا او فكريا او فنيا ، فانه لا يكتب ليقرا ما كتبه على نفسه فحسب ، انه يكتب بالدرجة الاولى لانه يريد ان يقرا نفسه للآخر ، يريد ان يقول للاخر او للمجتمع : هذا انا ، هذه آرائي وتجاربي واشواقي ومفاهيمي ومعتقداتي ووجهة نظري . . .

انه يقدر رغبته في تفنيد او تسفيه مفهوم او موقف او راي او معتقد . . يريد ان يكرس مفهومه هو ، او موقفه ، او رأيه ، او معتقده ، الذي يؤمن بصلاحيته وجدارته ، او يؤمن بضرورة اشاعته في نسيج الحياة البشرية . اليس في عرضه ، او في دفاعه عما يؤمن ، او في تفنيده لما يكره ، يستقبح او يعادي ، موقفا اعلاميا او جانبا اعلاميا ؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان من يقرأ شعرنا القديم ، شعر شاعر القبيلة ، أو شاعر البلاط ، او شاعر الاتجاه السياسي المعارض . يكتشف المادة الاعلامية فيه . . بل يكتشف هذه المادة في مختلف انواع النتاج الابداعي عبر العصور ، في الشعر وفي الطقوس الدينية القديمة التي كانت تقام للآلهة او الملوك او يعثر عليها في التراتيل والاناشيد الدينية ، او في بناء المعابد وزخرفتها واضفاء المهابة والجلال عليها ، لتكون عامل تأثير وسيطرة على مشاعر الناس وحواسهم او لتكون شاهدا على عظمة ما يؤمن به الملك أو الزعيم . او وسيلة دعاية للآلهة او الملك ، أو لزعيم القبيلة .؟!

لقد كان الحاكم في الماضي او زعيم القبيلة ، يقرب او يحتضن ابرز شعراء قبيلته ، ليكون لسانه ، أو وسيلة اعلامه ، فكان يختار اقدرهم على ابراز فضائل القبيلة وسجايا زعيمها ، من كرم وشجاعة ومروءة

ومناعة واباء ... وعلى كشف مثالب اعداء القبيلة ومناقصهم ، فقد كان في ذلك العصر بمثابة صحيفة اليوم ، او بمثابة الاذاعة او التلفزيون ، سواء اخذت المفاخرة او المناظرة او المفاضلة بين القبائل ، شكل مناظرة بين شعراء القبائل ، او اخذت شكل تسريب او نشر ، قصائد الفخر او المديح او الهجاء ، او شكل العتاب او الاسترضاء او التهديد .

فقد كان شاعر القبيلة ، شاعرا اعلاميا ، ان صح القول ، ينطق باسم القبيلة او باسم زعيمها معبرا عن مصالح القبيلة او اطماعها ، او موقفها ، او وجهة نظرها ، يفند موقفا ، او رايا ، او معتقدا ، او يشيد بموقف ، او راي ، او معتقد ...

كما يمكننا ايضا ان نلمس الجانب الاعلامي في ابداعات المجتمعات القديمة سواء كانت شعرا او غناء او طقوسا دينية او لوحات فنية او زخرفة او نقوشا او بناء ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليس بالضرورة ان يكون الهدف من وراء هذه الابداعات الادبية ، اعلاميا ، بل ربما كان هدف مبدعيها بعيدا كل البعد عن الترويج والدعاية ، ربما كان استجابة عفوية للايمان والاقتناع ، او استجابة للمشاعر الصادقة تجاه الاله او الملك او القبيلة او زعيم القبيلة ... الا ان بناء الاهرامات او بناء معابد الآلهة القدماء او مدافن الملوك العظماء وما رافق ذلك من طقوس ومن جلال وابداع . كان يترك في نفوس الناس اعمق الاثر ويملي عليهم مشاعر الخشوع والاجلال والايمان ...

اليست قصيدة الفرعون اخناتون (القرن الرابع عشر قبل الميلاد) التي يمجد فيها الهه الجديد الواحد « اتون » اجمل قصيدة دينية اعلامية يدعو فيها شاعر وحاكم ، اسرته وحاشيته وشعبه ، الى اعتناق مذهبه الجديد والايمان بالاله « اتون » ... :

ما اجمل مطلعك في افق السماء

اي اتون الحي ، مبدا الحياة ،

فاذا ما اشرقت في الافق الشرقي
ملات الارض كلها بجمالك ...
مهما بعدت فان اشعتك تغمر الارض ،

ومهما علوت ، فان آثار قدميك هي النهار
واذا ما غربت في افق السماء الغربي
خيم على الارض ظلام الموت ....

ما ابهى الارض حين تشرق في الافق ،
حين تضيء يا اتون النهار
تدفع امامك الظلام ...

يا خالق الجرثومة في المراة ،
ويا صانع النطفة في الرجل
ويا واهب الحياة للابن في جسم امه ....

الا ما اكثر اعمالك
الخافيـة علينـا
ايها الاله الأوحد .
يا من خلقت الارض كما يهوى قلبك ..
لكي تخلق كل اعمالك ..

خلقت الشتاء لتاتي اليها بالبرد
وخلقت الحرارة لكي تتذوقك
وانشات السماء البعيدة ، واشرقت فيها
لتبصر كل ما صنعت ،
انت وحدك تسطع في صورة اتون الحي ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تطلع ، وتسطع ، وتبتعد وتعود ،
انك تصنع آلاف الاشكال
منك انت وحدك ،
من مدائن ، وبلاد وقبائل
وطرق كبرى وانهار ..... (٢)

ثم أليست آيات القرآن الكريم وما فيها من اعجاز وبلاغة وتصوير وقصص وامثال وحجج ، اهم اعلام اقنع المجتمع العربي الجاهلي المتعنت وافحم خصوم الدعوة الاسلامية وأرغمهم على التسليم بصحة ما بشر به الرسول العربي ؟ فقد كانت المادة الاعلامية تنتشر او تدخل في صلب الآيات الكريمة او في مختلف انواع الابداعات الثقافية الفنية الاخرى .. دون أن تنفصل او تستقل عنها بوسائلها الخاصة .

اما الآن وبعد ان تطور مفهوم الاعلام وظهرت وسائله المستقلة ، فان الاعلام يرد لوسائل الثقافة بعض دينها ، أو يثأر من هيمنتها أو تسلطها عليه فيسعى الى احتلال مواقعها والى ان يصبح الوسيلة الاساسية لنشر الثقافة وتوصيلها الى الآخرين ، تماما كما كانت الثقافة في الماضي تتضمن الاعلام وتفرض عليه ان يكون داخلا فيها أو جزءا من نسيجها العام .

ولكن ما يمكن قوله رغم تبادل الادوار ، أو تداخلها ، أو تغيرها ، بين الثقافة والاعلام : ان الثقافة والاعلام بقيا دائما متلازمين متكاملين ، وان اختلفت الوسائل ، وتباينت الاهداف ، او تباين تأثيرهما ودورهما ، بين حين وآخر ، أو بين مجتمع ومجتمع ، وانهما الآن اكثر اقترابا ، بل اكثر تداخلا وتمازجا ، من أي وقت مضى . بل ان اقترابهما وتشابه وسائلهما ، ولد الكثير من اللبس أو التداخل بين مفهوم الثقافة ومفهوم الاعلام ، وبين وسائلهما واهدافهما ، ولعل هذا اللبس او التداخل هو الذي حدا ببعض المثقفين او العاملين في ميدان الثقافة ، الى المغالاة في الحديث عن الفوارق

بين المفهومين ، وعن الاختلاف في الوسائل والاهداف ، بل الى افتعال فوارق واختلافات غير حقيقية .

الا ان المغالاة في الحديث عن الاختلاف ، او عن التداخل ، او الامتزاج، لا يلغي وجود تباين بين المفهومين او بين الوسائل . لكنه يبقى تباينا في النوع ، او في الدرجة ، وليس في الغاية او الهدف العام . فالثقافة والاعلام بمفهومهما الصحيح ، يهدفان الى زيادة تنوير الانسان وتوعيته ، وجعله اكثر اقترابا من حياة الناس واكثر فهما او احاطة بالاحداث ، او تعقيدات الواقع ، واكثر قدرة على اتخاذ موقف اسلم .

لقد تطور مفهوم الاعلام تطورا كبيرا خلال هذا القرن ، واعتقد انه لم يعد يقتصر على تقديم الاخبار الدقيقة او على نشر الحقائق والمعلومات الدقيقة الصادقة بهدف التنوير والاقناع(٣) ولم يعد دوره مقتصرا على جمع المعلومات وبثها فقط(٤) ولم يعد مجرد تشويق وتسلية وترفيه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فقد تطور دور الاعلام واتسع مفهومه واصبحت مهمته تبدا في نقل النشاط الانساني بجانبيه المادي والروحي منذ أقدم العصور وحتى اليوم، وبثه في قنواته المختلفة . . .

او اصبحت مهمة الاعلام « هي الوساطة في الحوار بين فئات المجتمع ، وليس الادلاء بالتعليمات او التوجيهات . . » (٥)

واصبحت مهمة التلفزيون بعد ان بدا يحتل المكانة الاولى والاساسية بين وسائل الاعلام كما يحتل الكتاب المكانة الاولى بين وسائل الثقافة ، « تشمل الاعلام والترفيه والتثقيف والتعليم » . (٦)

بل يمكن القول . ان الاعلام اصبح القناة الرئيسية لبث او نشر كل انواع المعارف والعلوم والآداب والفنون والافكار والآراء والمعتقدات . واصبح مرآة الانسان المعاصر في تقدمه وازدهاره وتفتحه ، او في انكماشه وتخلفه وعجزه . . . وغدا الوسيلة الاقوى والافعل ، في اقتلاع الحواجز

بين الافراد والشعوب والدول وفي خلق التفاعل بين الافكار والمعتقدات والايديولوجيات المختلفة .

اليس الاعلام الآن هو الوسيلة الاولى في تقريب المسافات التاريخية والجغرافية بين الانسان والانسان ؟ وفي بسط العالم كله أمام الناس، كل الناس، بكل ما يحمله هذا العالم في ثناياه؟ اليس وسيلة لرجه، وهز بناه الفكرية والاجتماعية والاقتصادية ، هز معتقداته ومسلماته ومفاهيمه القديمة ؟.

اليس وسيلة اخراج الانسان من عزلته التاريخية ، وانكماشة وانغلاقه واجتذابه من مكانه القصي النائي ، ثم وضع البشر جميعا ، وجها لوجه ، في حالة من التعارف والمكاشفة ؟..

الا ينهض الاعلام المعاصر بالمهمة الصعبة التي تبدأ بنقل الخبر وتنتهي بمحاولة نقل العالم ، ونقل النشاط الانساني او التراث الانساني بكل تنوعاته ووجوهه وروافده .. ؟.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكن اليس من الانصاف ان تقول ايضا : ان الاعلام لا يقوم دائما بهذا الدور الايجابي ، او ينهض بهذه المسؤولية ، بل يمكن القول : انه كثيرا ما يقوم بدور مغاير ، فيطمس الحقائق ويشوه المفاهيم ويحرض على البغضاء والكراهية والاحقاد والعنصرية ، ويهبط بذوق الافراد ويبث الاكاذيب ويستلب وعي الشعوب ...

فالاعلام قناة يمكن أن توصل الطيب والخبيث في آن . يمكن ان تكون وسيلة تشويه واكراه وتخويف ، وسيلة سيطرة على الفكرة والارادة والمعتقد والسلوك ، واداة اقتلاع من الجذور ومن الخصوصية التاريخية .

بل يمكن ان يكون اداة تشريد وفصل عن الذات ، عن الهوية الثقافية والخصوصية الحضارية .

الا نرى ، كيف يحاول الاعلام الاستعماري والاعلام الصهيوني ، تزوير الحقائق ، وطمس او تشويه تراث الشعوب ، وبث الاكاذيب في رداء العلم

وكيف يشجع على اغراق العالم النامي او العالم المتخلف ، بأمواج الاستهلاك . بالثقافة الاستهلاكية والافكار الاستهلاكية والايديولوجيات الاستهلاكية والفن الاستهلاكي الهابط المبتذل كما يغرقها تماما بالازياء والادوات والاجهزة ومختلف المنتجات الاستهلاكية ؟.

الا نرى ، كيف يحاول هذا الاعلام المتقدم ، وسيلة واخراجا .. ان يبهر ، او يستلب ارادة الشعوب ووعيها وقدرتها على التمثل والتمييز والاختيار .. ؟

الا نرى ، كيف يدس لنا الاكاذيب بالحقائق ، والثقافة بالاباطيل والاوهام . والقبيح بالمثير ، والمبتذل الهابط بالقليل من الجميل .؟

الا نرى ، كيف يمجد او يبرر حتى عبر قنوات اعلام العالم الثالث . نزعة التعصب والعنصرية واساليب الاحتيال الذكية والملفقة او الملفوفة ، ببراعة الاخراج ، وبراعة القدرة على تسويغ السلب والاستغلال والقهر والاحتلال ؟.

مثل هذا الاعلام يحول الثقافة والاعلام معا الى اداة استعمارية ، الى سلعة او اداة تخويف وابتزاز واستلاب .. او دهان او زي خارجي ، انه يسعى الى اقتلاع الشعوب من جذورها ومن مفاهيمها وقيمها وخصوصيتها، ليرميها في الفراغ والبلبلة والمجهول ويبعدها عن امكانية صنع مستقبلها وتوجيهه وامتلاكه .

فالاعلام الاستعماري او الصهيوني كثيرا ما يتسلح بالتقدم التكنولوجي وبالعلمية والموضوعية ليخذل الحقيقة والامانة العلمية .

ولسنا بحاجة هنا الى الاشارة طويلا كيف يرسم هذا الاعلام صورة العربي ، كيف يتحدث عن العرب وحقوقهم ، كيف يتحدث عن الانسان العربي والحضارة العربي والاسلامية ، انه عندما يتحدث عن العرب تاريخا وثقافة وحضارة وسلوكا ، فانه لا يرى ، بل لا يقدم غير الحماقات

والمنازعات والفوضى والاقتتال الاقليمي والطائفي والقبلي . والانسان العربي في هذا الاعلام ، يفتقر الى التوازن العقلي والعاطفي والسلوكي ، ويعجز عن فهم الواقع او فهم الحقائق ، كما يعجز عن استثمار زمنه او استثمار طاقاته وثرواته ، وعن تمثل حقائق العصر وتمثل التجارب التي يمر بها ويعيشها ، ويعجز ايضا عن الدفاع عن حقوقه ، بل يفرط بها ويتواطؤ ضدها .. معتمدا في هذا كله على نماذج من الحكام الاغبياء او الخونة ، او النماذج الفردية التي يمكن ان توجد في كل مجتمع ، فكيف بمجتمع متخلف .

الا نرى ايضا : كيف تتحول وسائل الاعلام المتقدمة التي تستخدمها الدول المختلفة الى ادوات وقنوات تخدم واقع التخلف وتكرسه وتسوغه وتلبسه الزي الحديث المخادع، بدلا من تقويضه او زعزعة بنائه ومرتكزاته.

ثم الا نرى ، كيف تتحول في الكثير من هذه الدول الى اداة تمجيد الحماقة وتكرس الخنوع والمخاوف والاوهام وتستلب الارادة وتلغي دور العقل بحجة الايمان بالاله او بالغيب ، وتصادر الارادة الحرة الفاعلة بحجة الايمان بالقضاء والقدر ...

وهنا يجب التفريق بين الاعلام كوسائل، وبين استخدام هذه الوسائل، والتأكيد على ان العلة ليست في الاعلام كوسيلة من وسائل النقل والاتصال والتأثير ، بل في الاخلاقية او العقلية التي تتحكم بهذه الوسيلة وتوجهها وتستغلها لاغراضها واطماعها ... فالاعلام يمكن ان يكون قناة نظيفة بقدر ما يمكن ان يكون قناة ملوثة سامة ، ويمكن ان يكون من اهم واغزر قنوات الثقافة والتربية والتعليم والتوجيه والبناء المادي والروحي ، ومن اكبر العوامل المسعفة في اغناء واثراء الحياة الانسانية ، من خلال توفير عامل التواصل والتفاعل الحضاري بين البشر ، ومن خلال قدرته على نسف او تذويب بقايا الخرافات والاوهام والرسوبات الميتة الجامدة ، في العقول والنفوس والسلوك ، والتي تحول دون تفتح الشخصية الانسانية وبعث حيوتها وقدراتها على النمو والعطاء والابداع ..

بل يمكننا الوقوف ، على مدى عزلة الثقافة المعاصرة وضيق مساحة انتشارها وتأثيرها، لولا وسائل الاعلام الحديثة وقنواته التي تنقلها وتتدفق بها الى كل اطراف الارض ، وتحولها من غذاء خاص بالصفوة ، او بالطبقة، الى غذاء عالمي، مثلما يمكن الوقوف على مدى فقر الاعلام وشحوبه وبؤسه، لولا المادة الثقافية المبثوثة في برامجه والوان نشاطه . .

الا ان سيطرة الاعلام الحديث على عقول الافراد وسلوكهم ومفاهيمهم والاستسلام الى تأثيره الكبير في مختلف الميادين ، امور بدأت تثير المخاوف، بمقدار ما تثير الاعجاب ، وخاصة في الدول النامية او الدول المتخلفة ، التي لم تفلح بعد في بناء مجتمعاتها . هذه الدول لا تنتج وسائل اعلامها لكنها تستوردها ، من الدول الغربية ، وكثيرا ما تستورد المادة الاعلامية والثقافية والفنية وخبراء الاعلام ايضا ، مما يضع اعلام هذه الدول في موقع التابع ، وفي موقع المتلقي ، ويعرض بالتالي هذه الدول الى التبعية الاعلامية والثقافية مع كل ما يرافق هذه التبعية من مخاطر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالاعلام الاول ينتج ويصدر ويؤثر ،بينما الاعلام الثاني يستورد ويتلقى ويتأثر . وهذه العلاقة القائمة على الاختلال والتأثير من طرف واحد ، تدفعنا للتحذير من مخاطر هذا الخلل وعن ضرورة ايجاد حد من التوازن او توفير حماية الشعوب من طغيان اعلام الدول الغربية الاستعمارية وضرورة توفير المعايير والضوابط التي تتحكم في تدفق ، او في تلقي مواد هذا الاعلام عبر قنواته وسائله المتعددة والمتشعبة . فالاستسلام لمرض التلقي ، ينقل لدول العالم الثالث اكبر المخاطر ويهدد وعيها وادواتها وخصوصيتها الثقافية وتمايزها .

وسلخها من ذاكرتها التاريخية ومن خصوصيتها ويزرعها في غير تربتها وفي غير مناخها ، ويسلبها قدرتها على الانتاج والابتكار والتحدي ، ويحول بين شعوب هذه الدول، وبين امكانية بناء ثقافتها المعاصرة وممارسة تجاربها الذاتية وتمثل واقعها وظروفها ، وفرز ما تراه ضارا بها او غير

ملائم لها ، عما تراه ملائما مع ظروفها وطموحاتها وخصوصيتها الثقافية والحضارية .

وهذا لا يعني انني ادعو الى الانغلاق على الذات ، او على نوع واحد من الثقافة او الإعلام ، فهذا شيء غير ممكن حتى لو اردناه ، بل ادعو الى التحكم بالمادة الثقافية والاعلامية الموجهة لنا ، والى الحذر الشديد عند اختيارها وتقديمها للمواطن العربي .

ولعل اخطر ما يحمله لنا هذا الاعلام الاستعماري اضافة الى ما ذكرناه ، فرض طابعه ونموذجه ومعاييره على ابناء شعبنا ، وعلى مستقبل اجيالنا . والتلقي غير الواعي ، لهذا الخليط الفاسد الشهي والمغري ، الذي يقدمه لنا باعتباره مادة ثقافية وتوعية متقنة الاختيار بارعة الاخراج ، لكنها غالبا ما تكون موجهة ضد الثقافة وضد الوعي وضد الارادة .

انها كثيرا ما تقلب المفاهيم الصحيحة او تشوهها ، فتمجد النزعة الفردية والعنف وحب التملك والاحتيال الذكي والاستهانة بالآخر في سبيل تحقيق مصلحة الانا او مطامع الانا .

ثم ان هذا الاعلام يولد لدى الشعوب المتخلفة احساسا زائفا بالوعي ، واحساسا توهميا بالثقافة والمعرفة ، مع ما يرافق هذا الاحساس بالوهم ، من ميل الى الكسل والتواكل والاقتناع والاكتفاء بالمعلب الجاهز ، فينحط الوعي تبعا لهذا الاحساس الزائف وهذا الاكتفاء الواهم ، وتضعف الارادة ويموت الحافز ، وتتراجع القدرة على الابتكار والخلق ، ويتحول الفرد الى مجرد متفرج على الاحداث او متلق للمعلومات دون ان يكون صانعا لها أو طرفا في اكتشافها . . .

لكن تجدر الاشارة هنا ، الى ان مثالب الاعلام ومخاطره ، ليست محصورة بالاعلام الصهيوني والاستعماري وحده ، فلقد تحولت وسائل الاعلام ، على يد الانظمة القمعية او القوى المستغلة في العالم الثالث ،

الى وسيلة قمع فكري وعاطفي والى وسيلة ارهاب وتشويه ، أو وسيلة الهاء وتخدير وترويض . وقد استخدمتها هذه القوى في فرض افكارها ومفاهيمها ونزواتها ومعاييرها المتخلفة ، فهبطت بالمعنى الحقيقي للاعلام والثقافة وتحولت الثقافة على يدها الى مجرد لغو وتسلية وقشور ، وتحول الاعلام الى دعاية مبتذلة والى وسيلة ترويج وتخدير والهاء أو الى مطية سياسية تمجد وتسوغ وتبرز وتغطي ما يجب تعريته وتفنيده وادانته .

الا ان الثقافة بمفهومها المنافي ، تبقى رغم تسلط السياسة والاعلام عليها ، ورغم تعرضها للتشويه والمتاجرة والاستغلال السياسي ، الضمانة الاساسية التي تصون الوعي الانساني وتحافظ على التوازن والقدرة على المحاكمة والتمييز ، والمادة المؤثرة التي لا تستطيع الدول الاستعمارية او الانظمة الفاشمة او قوى الاستغلال ، ان تلغي تأثيرها الغاء كاملا أو تتحكم بها او تخضعها تماما لمعاييرها ومفاهيمها واغراضها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان أي قوة لا تستطيع ان تمنع الكاتب او الشاعر او الفنان ، من ان يعبر ، عبر رموزه وصوره وايحاءاته والوانه والحانه ، عما في الواقع من بشاعة وقبح وطغيان ، او عما فيه من جمال وحيوية وتفتح ، وعما فيه من محاولات لكم الافواه وتقييد الارادات واستغلال الانسان ، فاذا ما تمكنت من منعه عن التعبير المباشر فانها تعجز عن منعه من التعبير عبر الرمز والايحاء واللون واللحن ...

فالفنان الحقيقي لا يكون مبدعا ، ما لم يعبر عن همه وهم الناس من حوله ، عن معاناته ومعاناتهم ، عن موقفه من محاولات التشويه او الاكراه أو السيطرة على الارادات والافكار والمشاعر وعن موقفه ايضا من محاولات تحرير الارادة الانسانية وتعزيز الوعي الإنساني ..

صحيح ان بالامكان شراء بعض المثقفين او تضليلهم او اخضاعهم او اكراههم على الصمت . لكن من المحال شراء جميع المثقفين او إسكات

جميع الاصوات النابعة من المعاناة والالم والوعي والاخلاص مع الذات ومع الانسان ، ومن المحال التحكم حتى بالاصوات الثقافية الموالية وطمس كل ما فيها من تلوينات وايحاءات ورموز واشارات ، تكون من العوامل المحرضة على الوعي والارادة الحية .

كما ان تعاظم الوعي على مخاطر طغيان الاعلام وعلى تزايد مثالبه ومساوىء استخدامه ، يبشر بعودة الثقة الى الثقافة وبتعزيز مكانتها كمادة اساسية في بناء الوعي الانساني ، وانقاذ ارادة الانسان من الإستلاب الاعلامي ، وعودة اهتمامه مجددا بالمادة الثقافية التي تخاطب العقل والوجدان معا ، وتفعل فعلها البطيء والعميق في وعي الانسان وسلوكه .

ان حديثنا عن الاعلام يفضي بنا بالضرورة ، الى الحديث عن الثقافة ، نظرا للترابط الوثيق بينهما كما ان الخلط والتداخل واللبس بين مفهوم الاعلام ومفهوم الثقافة ، دفع بالكثيرين الى محاولة تعريف او تحديد مفهومها .

فما هي الثقافة اذا ؟

لقد اشرنا في بداية هذا البحث الى صعوبة تقديم تعريف دقيق للثقافة في ظل التطور المذهل للثقافة ولوسائلها المتعددة ، الا ان هذه الصعوبة لا تلغي امكانية تقديم تعاريف هامة لمعنى الثقافة ولتطور مفهومها فهناك عشرات المحاولات ، وعبر مراحل متباعدة او متقاربة ، لتعريف الثقافة وتحديد مفهومها .

في المعاجم العربية ، تعني كلمة « الثقافة » تقويم الاعوجاج واكتساب الحذق والمهارة او تعني الحذق والاتقان وضبط الاصول ، والمعرفة بجيد الشيء ورديئه(٧) ، هذا المعنى لا يتسع لمفهوم الثقافة المعاصر لكنه لا يتعارض معه .

اما في كتب الادب العربي القديم فيبدو ان مفهوم الثقافة والادب كان مفهوما واحدا او مشتركا ، وان كلمة ادب ، كانت تعني الثقافة وكـان المثقف يسمى اديبا في ذلك العصر .

جاء في معجم الادباء لياقوت الحموي ١١٧٩ ــ ١٢٢٩م هذا التعريف:

« الفرق بين الاديب والعالم ، ان الاديب من يأخذ من كل شيء احسنه فيالفه ، والعالم من يقصد بفن من العلم فيعتمله اي يعمل فيــه بجــد وجهــد (٨) » .

وقد سبقه ابن قتيبة ٨٨٢ ــ ٨٨٩ الذي قال قولا مشابها : « اذا اردت ان تكون عالما فاطلب فنا واحدا ، واذا اردت ان تكون اديبا فتفنن في العلــوم(٩) » .

وقد ورد في طبقات فحول الشعراء لابن سلام (١٣٩ ــ ٢٣١ هـ) ما يشير الى اتســاع مفهوم الثقافة وذلك في معرض الحديث عن الشعر :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« الشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كــسائر اصناف العلـم والصناعات : منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الاذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللســان »(١٠) .

فالثقافة هنا تشمل مهارات الجوارح والحواس وتؤكد على يقظتها وفعاليتها ، كما تشمل نشاطاتها ، مراقبة وتدخلا وفعلا . ولا تعني الحفظ او التجميع فقط ، وهذا تعريف يقترب من التعاريف الحديثــة للثقافة باعتبارها « حصيلة النشاط الانســاني الابداعي »(١١) .

وهكذا تطور معنى الثقافة ، من تقويم الاعوجاج واكتــساب الحذق والمهارة ، واتسع مفهومها وتنوع بتنوع الحياة وغناها ، فلم تعد الثقافة تعني النتاج الادبي والفني والفكري وحده ، ولم تعد مقتصرة على مجرد معلومات نظرية او مقولات فكرية تنقل او تحفظ بمعزل عن مدى تأثيرها

بالحياة فعلا وسلوكا وممارسة .. بل تعدى هذا كله ليشمل كل نشاط انساني من شأنه ان يضيف الى التراث الانساني اضافة حية فيها ابتكار وخلق ، واصبح مفهوم الثقافة يشمل ، كل ما يعبر عن فاعلية الانسان ونشاطه ووعيه على علاقته بنفسه وبالاخر ، وعلاقته بالكون او بالواقع الذي يعيش فيه ، وموقفه من هذا الواقع ومدى تأثره به ، او ما يعبر فيه عن قدرته على الانتفاع بهذا الواقع ، وتجنيده لمصلحة الانسان وخدمة طموحاته وحاجاته .

فالثقافة بهذا المعنى ، نشاط انساني ابداعي وانجازات واضافات مادية وروحية في شتى ميادين الحياة ، فنا وفكرا وادبا وعلما وفعلا خلاقا وسلوكا وانماط عيش . وليست حفظا او نقلا او تكرارا او تقليدا لنموذج ثابت او مهارات منقولة . انها اضافة او ابتكار او تطوير ، انها موقف من الحياة ، موقف من الاخر والمجتمع والاحداث ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انها علاقة حية متحركة واعية وفاعلية مع الواقع والحياة ، تحمل خصائص وهوية معاناة الفرد او الطبقة او المجتمع او الامة التي تبدعها او تنتجها ، فاذا ما عجزت عن هذا تحولت الى معلومات او محفوظات او منقولات .. وخرجت من اطار مفهوم الثقافة .

اعلان مكسيكو بشأن السياسات الثقافية يعرف الثقافة بانها «جماع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا بعينه ، او فئة اجتماعية بعينها وتشمل الفنون والاداب وطرائق الحياة ، كما تشمل الحقوق الانسانية للانسان ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات»(١٢) .

ويمكن تعريف المثقف ايضا بانه : من يعي واقعه او عصره او يتمكن من التعبير الحر عن هذا الوعي ، فكرا او علما او فنا او ادبا او ممارسة ، وهو الذي يعمل على التأثير في الواقع لصالح الحياة ولرسم ملامح المستقبل ومن يقدر على الاتصال الحي والواعي بالماضي والحاضر ، بذاته وبالاخرين ،

ويلتقط ما هو حي وجوهري في الركام الميت وركام الزمن وركام الاحداث وركام التراث وركام الواقع .

انه من يضيف ، لا من يكرر ، من يبدع ، لا من ينقل ، من يؤثر ويتاثر ، من يترجم معاناته وتجاربه ووعيه الى فعل او الى راي او الى موقف من الاخر ومن الحياة والمجتمع والكون ، بل من العصر وقضايا العصـر ..

ويعرّف ليف كوغان الثقافة ، بانها « احد المقومات التنظيمية للحياة الاجتماعية وبانها حصيلة النشاط الانساني ابتداء بعملية الانتاج الآلي وانتهاء بتجليات الفكر الانساني الرفيعة الذي يتميز بحرية الخلـق والابـداع »(١٣).

ويعرفها د. محي الدين صابر بانها : « مجموعة النشاط الفكـري والفني في معناهما الواسع ، وما يتصل بهما من مهارات ، او يعين عليهما من وسائل ، فهي موصولة بمجمل اوجه الانشطة الاجتماعية الاخرى ، مؤثرة فيها ، متاثرة بها ، معينة عليها ، مستعينة بها ، ليتحقق بذلـك المضمون الواسع لها ، متمثلا في تقدم شامل للمجتمع في كل جوانب شعبه الحضاري انتاجا وارتفاعا ، واخذا وإعطاء ، في تفاعل خصب وعطاء متجـدد(١٤) .

الا ان هذا التشابه في تعريف الثقافة بمفهومها العام والواسع لا يغير ان مضمونها واحد او متشابه ، ولا يلغي التباين بين الثقافات ، ليس حسب المراحل التاريخية ، وليس في المستوى الابداعي او في الروحية والخصوصية ، بل في المضمون والاهداف ايضا .

فاذا كانت الثقافة بمفهومها العام والايجابي ، نشاطا ابداعيا ووعيا وتعبيرا عن هذا الوعي ، وموقفا من الحياة والاخرين ، فهذا لا يعني انها من مادة واحدة ، او ذات مضمون متشابه ، او انها تسعى الى تحقيـق

هدف مشترك ... بل هناك دون ريب ثقافات مختلفة ومتباينة ، ليس في المستوى الابداعي او في الخصائص او الهوية ، او في وسائل التعبير فحسب ، بل هناك ثقافات تختلف باختلاف الفئات التي تنتجها ، او باختلاف البيئات او الظروف او الافراد او الانظمة او المراحل الزمنية او الطبقات التي وضعتها ، لتعبر عنها وعن همومها ومصالحها ..

هناك ثقافة الطبقات المستغلة . وهناك الثقافة العنصرية والاستعمارية التي تسعى للحط من شأن الشعوب وتشويه ثقافتها او طمسها وبالتالي الى استلابها والسيطرة عليها .

فاسرائيل وقنواتها الصهيونية المنتشرة في العالم ، تقدم عبر وسائل الثقافة والاعلام اكثر الصور تشويها وبشاعة عن العرب وعن الانسان العربي ، وتتعاون مع وسائل الاعلام والثقافة الاستعمارية ، على تشويه او طمس الجوانب الحية والابداعية في حياتنا وفي تراثنا الثقافي والحضاري أو التشكيك بصحة اكتسابها للعرب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان هذه الوسائل التي تعمل بجهد متواصل واتقان ، على طمس حق الشعب العربي الفلسطيني في ارضه وفي تحرره ، وتحاول طمس ثقافته او انتحالها ، تحاول ايضا أن تقدم للانسان العربي عبر اكثر ما في الثقافة العالمية تحللا وهبوطا وانحرافا ، واكثر ما في ثقافتنا وتراثنا تخلفا وجمودا وانغلاقا . انها عبر برامجها ومسلسلاتها تقدم لنا كل ما يدعو أو يروج لكسل والتواكل واللامبالاة والتسليم بالقضاء والقدر والرضى بالمقسوم والاصطبار على الظلم ... ومن يستمع الى برامج اذاعة اسرائيل الموجهة للعرب يقف على خطورة المادة المقدمة الينا ، فيرى او يسمع ، اكثر الاغاني ابتذالا ودمامة ، واكثر الامثال استهانة بالارادة والعقل ، واكثر حكايات التاريخ العربي دموية وبشاعة ، واكثر انواع الشعر الحديث اسفافا ، واكثر الاخبار اثارة للضغائن والاحقاد والانقسامات واكثر القصص الاجتماعية شذوذا وتعبيرا عن التخلف والقسوة والانحطاط العقلي والخلقي .

فاسرائيل تعي جيدا دور الثقافة والاعلام ، وترى في طمس الثقافة العربية وفي تخريب مفاهيم الانساني العربي وتشويه ذوقه وقدرته على الفرز السليم والمحاكمة الصحيحة وفي تشكيكه بجدارته وبقدراته وبامكانية نهوضه . اكبر ضمان لامنها ، واكبر عامل من عوامل استمرار التخلف العربي واستمرار احتلالها للارض العربية ، باعتبار الثقافة والوعي والارادة الحية والثقة بالنفس من اهم عوامل نهوض الشعوب وتحررها .

وهناك بالمقابل الثقافة التقدمية الانسانية المنفتحة على العالم المتفاعلة مع الثقافات والحضارات والمفاهيم والافكار . الثقافة التي تؤمن بالانسان وتجعل منه هدفها الاساسي وتسهم في جعل الحياة اكثر امنا واكثر غنى واكثر تنوعا وجمالا . .

ثم هناك الثقافة الدينية المتعصبة المغلقة على تعاليمها النهائية والتي لا تقبل اي حوار او تطوير او تجديد او تفاعل او انفتاح على متغيرات الحياة وعلى روح العصر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهناك أنواع من الثقافات . . لا نريد هنا الدخول في محاولة لحصرها او الحديث عن خصائصها ، بل سنكتفي بما تحدثنا به عن المفهوم العام للثقافة وعن علاقتها بالاعلام وتطور هذه العلاقة وتأثيرها على الثقافة والاعلام والحياة معا . . لنتوقف عند الثقافة العربية والاعلام العربي .

فهل يمكننا الحديث عن ثقافة عربية معاصرة واعلام عربي معاصر ، بالمعنى الصحيح لمفهوم الثقافة والاعلام ؟

ثم اذا كان لدينا مثل هذه الثقافة ومثل هذا الاعلام ، فما هي ملامحهما وخصائصهما ؟

هل لهما حقا خصوصية وتمايز ؟

هل لهما دور مؤثر وايجابي في تغيير البناء الفكري والسياسي والاجتماعي للمجتمع العربي ؟

ام انهما يزيدان من بلبلة بنائه الفكري والسياسي والاجتماعي ، ويسهمان في زعزعة الروابط التي كانت تجمع بين ابناء الامة الواحدة ، والحضارة الواحدة ؟ . دون قدرة على اعادة البناء وتجديد الروابط . .

وهل للثقافة دور يتباين او يختلف عن دور الاعلام او يتمايز عنه ؟

امثلة تثير الاجابة عليها ، الكثير من الجدل والخلاف في واقع عربي مازالت تتنازعه الانقسامات الاقليمية والسياسية الحادة ، وتتحكم فيه معايير التعصب السياسي والمذهبي والاجتماعي ، ويفتقر الى النقد العلمي النزيه المتحرر من المؤثرات والضغوط غير الموضوعية .

هذا الواقع قد انعكس على الثقافة والاعلام اكثر مما انعكس في الثقافة والاعلام ، او اكثر مما نجحت وسائل الثقافة والاعلام العربية في نقل هذا الواقع المتخلف وتعريته والتحريض على زعزعة بنائه القوي الراسخ.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد استعاضت عقلية التخلف ، بالوسائل الاعلامية والثقافية الحديثة والمتطورة ، عما يمكن ان تحدثه هذه الوسائل من تحول هام في العقلية والسلوك والمفاهيم ، بل جعلت من الوسيلة المتطورة بديلا عن المضمون المتطور او نقيضا له . وتخلت عن الهدف ، واكتفت بالوسيلة ، شأنها في ذلك ، شأن من يكتب اكثر مضامين الشعر تقليدا ، باكثر اشكاله تطورا وتحررا ، ثم يدعي انه يكتب شعرا حديثا .

او كقروية امية محرومة من العيش في المدينة معزولة عن الثقافة تلبس « الجنز » وتعتقد انها بلباسها هذا ، قد اختصرت المدنية والتعليم والثقافة . واصبح بإمكانها ان تفاخر بانها امراة عصرية .

ما اريد قوله . ان واقع التخلف العربي قد نجح الى حد كبير فيجعل وسائل الثقافة والاعلام العربية ، جزءا من التخلف بدل ان تكون اهم عامل من عوامل تقويضه . .

وهذا لا يعني أن الاعلام العربي والثقافة العربية المعاصرين لا يسهمان بأي دور ايجابي في التهيئة لتحول اجتماعي وفكري . بل من الانصاف الاشارة الى ان وسائل الثقافة والاعلام العربية ، رغم عشوائية ما تقدمه ورغم وقوعها في الغالب تحت سيطرة من لا يؤمن بدور الثقافة ، قد اثرت تأثيرا ملحوظا في خلخلة المفاهيم والاعراف والمسلمات المغلوطة وبذرت بذور الفضول ، وحب الاطلاع ، ونزعة التساؤل عند الاجيال . . ويسرت إمكانية الاحتكاك او التفاعل الفكري والسياسي والاجتماعي والوجداني وامكانية التحول الاجتماعي والفكري . . .

كما ان تكاثر المدارس وانتشار المعاهد العلمية والجامعات ومراكز الدراسات والبحث ودور النشر في الدول العربية وتزايد عدد المتخصصين في ميادين المعارف والعلوم والاداب والفنون . . قد اثر بدوره على البنية القديمة المتخلفة للمجتمع العربي . وان كان هذا التأثير ، قد بقي في اطار حدوده الدنيا ، ولم يفلح حتى الآن في تحقيق نقلة هامة او واسعة في التحول الاجتماعي والفكري .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واعتقد ان من القسر او التعسف ان نتوقع تحولا سريعا او جذريا في البنية الفكرية والاجتماعية والسياسية العربية ، قبل ان تتوفر او تتضافر العوامل والاسباب الموضوعية لإحداث هذا التحول . . .

نعود للتساؤل : هل لدينا حقا ثقافة عربية معاصرة ، لها خصائصها وملامحها وتمايزها ؟ ولها دورها الهام بين منجمل الثقافات العالمية ؟

لا شك ان بالامكان الحديث عن ثقافة عربية موروثة لها خصائصها وتمايزها واهميتها العالمية ، ولها اضافاتها الهامة ، ودورها الانساني والحضاري البارز بين الثقافات ؛ ثقافة تعبّر عن ذاتية الامة وخصوصيتها وحركة حياتها صعودا وتعرجا ، وتعبر عن قدرتها على الابداع او الاضافات وعن استجابتها للتحدي واستعدادها للاخذ والعطاء للتاثير والتأثر كما

تعبر ايضا عن المعاناة الانسانية والمواقف الفكرية والحياتية وعن الاتجاهات السياسية والصراعات الاجتماعية والسياسية المتنوعة .

هذه الثقافة التي استمرت في الازدهار والتألق والاضافة اكثر من اربعة قرون ادبا وفنا وفكرا ماتزال من اهم عوامل الترابط الوجداني والفكري والمصيري بين ابناء الشعب العربي في كل مكان واحدى الضمانات في استمرارية التلاحم الوجداني والمصيري العربي .

الا أن من التعصب والقسر الحديث عن ثقافة عربية معاصرة ، تحمل هذه الصفات ولها مثل هذا الدور ، او لها القدرة على الابداع والاضافة ولها فعاليتها المؤثرة في عملية التغيير الايجابي للبنية العربية الراهنة .

فالثقافة العربية المعاصرة ماتزال في حالة تكون أو تبلور ، وما تزال مفتقرة الى العناصر والعوامل التي تجعل منها ثقافة اصيلة ومعاصرة في آن . ثقافة متصلة بالروح العربية المبدعة وبالجانب الحي والملهم من التراث ، نابعة من الواقع العربي والهم العربي ومعبرة عن قلق الانسان العربي ومعاناته وطموحاته ومنفتحة على ثقافة العصر وعلى المستقبل قدر وعيها لحركة التاريخ قديمه وجديده .

انها مزيج متنافر من الثقافات ، اكثر مما هي محصلة لتفاعل وتمازج وتأثر متبادل ، بعضها تقليدي مستورد ومجلوب ، وبعضها مستنبت في غير تربته وخارج مناخه ، وبعضها ركام توفيقي او محايد ، او استهلاكي لا يتعدى القشور ، وبعضها مزيج من الغيبي والعلمي ، وبعضها ينوس بين هذه التناقضات دون ان يكون لكل هذه الالوان قدرة على الانجاب المبـــدع .

الا ان عجز الثقافة العربية عن النهوض بدور مؤثر وفعال في تغيير الواقع العربي ليس مبررا لليأس من دور ثقافتنا الراهنة ومن امكانية تبلورها وتعزيز تأثيرها الايجابي .

فالمثقف العربي الان في حالة مراجعة لواقعه ولموروثاته ولمواقفه ولعلاقاته مع ذاته ومع الاخر ، وفي حالة بحث عن خصوصيته . وقد استطاع ان يقدم اعمالا ناضجة وهامة في ميدان الادب والفن ، وان كان قد اخفق في الميادين الاخرى ، نظرا للقيود التي تفرضها قوى القمع والتخلف على فكره وسلوكه. وليس لعجز ذاتي او لقصور في فهم الواقع.

واعتقد ان المجتمع العربي كله ، يعيش الان ، ولو على مستويات متباينة ، حالة من التململ والبحث والتساؤل والمعاناة .. وان اصطدامه الموجع والمتواصل بتحديات العصر وبالنكسات والاخفاقات والتراجعات سيولد لديه ولو ببطء حالة من اليقظة العقلية والتفتح الوجداني والغضب الواعي ، ويسقط من ذهنه الكثير من المسلمات البلهاء ، ويهز لديه الكثير من القناعات الخاطئة .. وهذا كله سيؤثر بالضرورة ليس على حركة المجتمع وحدها ، بل على مستقبل الثقافة .. الا ان القيود والمعوقات ماتزال اقوى من عوامل التغيير ومن ارادة التغيير ، وماتزال تحول دون ولادة صحيحة لثقافة عربية معاصرة قادرة على الاسهام في اعادة صياغة وتكوين الانسان العربي فكرا وسلوكا وفعلا ..

فما هي هذه الاسباب او القيود التي تكاد تلغي دور الثقافة في الوطن العربي ، او تمنعها من التبلور والتأثير ؟ رغم تزايد انتشار التعليم الابتدائي والجامعي ، ورغم انشاء مئات دور النشر والصحف والمجلات والاذاعات ووكالات الانباء ومحطات البث التلفزيوني ؛ ورغم ايفاد مئات الشباب العرب سنويا الى الجامعات العالمية المتقدمة ، للتخصص في مختلف ميادين العلوم والمعارف والاداب ؟ ..

لماذا لا نحس بتأثير ملحوظ او بتغيير جوهري قد طرا على المجتمع العربي ؟ .

بل لماذا يكرر الواقع العربي تخلفه في ظل هذا التوالد او التزايد العددي لوسائل الثقافة والاعلام وتزايد نسبة التعليم وتزايد عدد

المتخصصين في مختلف الميادين ؟ لماذا يزداد هذا الواقع تمزقا وتنافرا وبلبلة وضعفا ؟ .

لماذا يتعزز الواقع الاقليمي ويقوى على حساب النزوع الوحدوي او التضامني ؟

لماذا تزداد حالة التراخي واللامبالاة والعبث في وجه المخاطر والتحديات المتزايدة ؟ . . .

ثم لماذا تعجز كل وسائل التربية والتعليم والثقافة والاعلام العربية المدججة بالموازنات السخية والكوادر الضخمة والاجهزة الحديثة .. عن تغيير صورة الواقع العربي او التغيير في هذه الصورة . ؟ .

هل السبب ذاتي ، نابع من واقع التخلف ؟

ام هو ذاتي وخارجي في آن ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل هي عقدة الاستلاب تجاه الموروث ، ام عقدة الاستلاب تجاه ما هو غريب ؟

هل هي التجزئة الاقليمية التي وقعت على جسد الامة فاصابت روحها ووجدانها ، وشلت قدرتها على النمو والتفتح والتكامل والابداع ؟

هل هي النزعة القبلية ، أم هي القبيلة التي اخذت الآن شكل دولة ، تمارس كل طقوس القبيلة واعرافها ومفاهيمها داخل حدودها المغلقة او المقفلة عليها والمعترف بها عربيا ودوليا ؟

أم هي هيمنة واقع التخلف ، الذي يفرز فكرا متخلفا ، وفنا ، وادبا متخلفا ، ويفرز بالتالي ثقافة متخلفة ؟

هل هو غياب عنصر الديمقراطيين في الوطن العربي ، غياب الحوار والتفاعل ، ومصادرة او شراء الراي الآخر والمعتقد الآخر والاتجاه الآخر ؟.

هل هو التباين في عقلية الانظمة العربية وفي نظرتها للثقافة ودورها وفي اعتبار الثقافة تابعة او خادمة للسياسة لا قائدة او موجهة لها .؟

هل هي الامية المتفشية في صفوف الاكثرية الساحقة من ابناءالشعب العربي والمتشبثة في العقول والسلوك ..؟

هل هي هيمنة الاعلام وطغيان وسائله على المساحة المتبقية للثقافة؟..

ام هو غياب الاستراتيجية الثقافية ، او التخطيط للثقافة ؟

ام هو الغزو الثقافي الاستعماري والصهيوني الذي يستخدم احدث الوسائل الاعلامية والسياسية والاقتصادية لتشويه الانسان العربي فكرا وسلوكا .؟!

اعتقد ان هذه العوامل مجتمعة ، قد ادت الى عجز الامة العربية عن ابداع ثقافتها المعاصرة ، وافقدت ما يسمى بالثقافة العربية المعاصرة ، حضورها الابداعي ، وابطلت دورها كقائدة لحركة المجتمع وموجهة لها ، وجعلت منها مجرد زي خارجي او مادة استهلاكية تزيينية او وسيلة دعائية او ترفيهية ، او وسيلة تسلية وإلهاء وتخدير .

واعتقد ان غياب عنصر الديمقراطية وسيطرة النزعة الاقليمية والسياسية وطغيان وسائل الاعلام والافتقار الى استراتيجية موحدة للثقافة العربية والانسياق في تيار الاستهلاك الثقافي والاعلامي والانبهار به والعجز عن التواصل الحي مع التراث العربي .. كلها عوامل قد تضافرت لتولد نوعا من الثقافة او ثقافة اهم ما يميزها :

١ ـ انها ثقافة محايدة ، واعني ثقافة مبعدة او مبتعدة عن تحليل ومناقشة اهم المواضيع التي تؤثر في حياة المجتمع العربي كالدين والسياسة ..

٢ ــ انها ثقافة اعلامية تفاؤلية تبريرية ، هدفهــا الاساسي خدمــة الاغراض السياسية ، وتجميل الواقع مهمـا كـان قبيحا ، واكتشاف انجازات وبطولات غير موجودة ، وتبرير الاخطاء والحماقات ، وتوجيه الاهتمامات بعيدا عن القضايا الجوهرية والمصيرية .

٣ ــ انها ثقافة متعصبة ، متعصبة ضد القديم الموروث او متعصبة له . متعصبة ضد الراي الآخر والفكر الآخر والاتجاه الآخر وهذا مـا يجعلها ثقافة الاتجاه الواحد ، والراي الواحد : اي ثقافة السلطة او القوة المسيطرة ..

٤ ــ انها ثقافة نقل وتكرار ، اكثر مما هي ثقافة تفاعل وتمثل وابداع، انها مستلبة حيال التراث او مستلبة حيال ماهو غريب واجنبي .

٥ ــ ثقافة تابعة لا قائدة،تابعة للسياسة والإعلام والاقتصاد والمفاهيم والاعراف .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦ ــ ثقافة تسلية والهاء وتخدير ، وثقافة عائمة على سطح الاحداث والهموم والمشكلات ، منشغلة بما هو ثانوي وعابر .

هذه النماذج من الثقافة ستبقى هي الثقافة السائدة المسيطرة ..

مالم تتحرر الثقافة العربية مـن قيـود السياسة العربية وتقلباتها ومزاجيتها وتخبطها ، ومالم تتسع الساحة الثقافية للراي الاخر والفكر الآخر والاجتهاد الآخر ، ومالم تنزع القدسية عـن أي موضوع أمـام تساؤلات الفكر،وما لم نسمح للعقل العربي بالتساؤل والتحليل والنقد بل ما لم نزج الفكر العربي في غمار التساؤل والشك والتحليل والحوارالمفتوح والنقد الشجاع واعادة النظر ، وما لم نحرره من المخاوف ومن قيود الوثوق والسكون والاتباع ...

لقد فشلت كل محاولات اعادة قراءة التاريخ أو اعادة كتابته وفشلت محاولات الاصلاح الديني او الحوار الديني او الحوار الثقافي . ومحاولات الاصلاح الاجتماعي أو البناء الاشتراكي ، وفشلت محاولات النزوع الوحدوي ، في ظل العقلية العربية المسيطرة على وسائل الثقافة والاعلام التي لا تقبل الحوار والتفاعل بل ترفض الآخر وتعاديه . .

ولقد فشلت كل هذه المحاولات لانها محاولات جاءت من الخارج ، من رغبة استعراضية ، لا من وعي حقيقي ولا من خلال تغيير نوعي في البنية والسلوكية او من خلال اقتناع واع بأهمية التغيير .

لقد فشلت لانها محكومة بمفاهيم وبنية ثقافية وفكرية غير معنية حقا بهذا كله او عاجزة عن اعادة قراءة التاريخ برؤية جديدة قادرة على الاستنتاج والاكتشاف واعادة البناء . . . عاجزة عن قراءة التراث ، وقراءة الواقع وقراءة الحياة ، قراءة موضوعية . .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

يصف ادونيس الثقافة هذه بانها : « تجعل الجمهور يتحرك ضمن حياة عابرة كالحدث ذاته ، كالصورة ذاتها ، فمحور هذه الثقافة هو اليومي العابر . وهو الزي .

وهي تعمم مناخا فنيا وسطا ، ومبتذلا في معظم الاحيان وانسجاميا بشكل مخيف .

وهي استهلاكية محض ، اي انها اخيرا لا تبني الانسان ولا تخلق وعيا ولا تفتح افقا .

انها تنجح في التشكيك بالثقافة الخلاقة ، وتنجح في الغاء امتيازات الابداع ، وانها مع هذا كله ، تظل تابعة لثقافة الطبقة المسيطرة وخاضعة لاشكال سيطرتها الثقافية»(١٥) .

والواقع ان نمو وتطور وسائل الاعلام وطغيان هذه الوسائل من جهة والتضييق على الثقافة من جهة اخرى جعلها تذوب في المادة الاعلامية وتصبح

نوعا من انواعها وتفقد تميزها الابداعي وتأثيرها الفاعل الكاشف وقدرتها على الامساك بما هو جوهري واستمراري في حياة البشر ...

ولكن اذا كانت هذه هي اهم ملامح الثقافة العربية المعاصرة .

فما هي اهم ملامح الاعلام العربي .؟

ثم اين يلتقي مع الثقافة واين يختلف عنها ؟

وهل استطاع الاعلام العربي ان يسهم في توحيد ما جزأه الاستعمار والصهيونية وجزاته الاطماع والاهواء الفردية ؟. او ان يعزز الروابط القومية ويوحد المواقف والمشاعر العربية المتباينة في وجه المخاطر والتحديات ؟

هل استطاع هذا الاعلام ، ان يسهم في اعادة البناء الاجتماعي والثقافي والفكري للانسان العربي ، بناء سليما ، وان يوصلنا بالواقع الذي نعيشه أو بالعالم اتصالا حيا وفاعلا .؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل استطاع ان يسمو بالذوق ، ويشجع على التساؤل ، ويحض على التنافس والبحث والحوار والتفاعل ؟

ثم هل يمكننا الحديث عن اعلام عربي له خصائصه ومميزاته وتمايزه واهدافه الواضحة ؟ بل هل يمكن ان نسميه اعلاما بالمعنى الدقيق ؟.

لاشك ان الاعلام العربي المعاصر يشبه الى حد كبير الثقافة العربية المعاصرة فكلاهما وليد واقع التجزئة والتخلف ، وليد عقلية هذا الواقع وذوقه ومعاييره وقيمه ومفاهيمه واتجاهاته المتباينة وامراضه السياسية والاجتماعية والفكرية ...

واذا كان من غير الممكن ان نتحدث عن ثقافة عربية معاصرة ناضجة موحدة متحررة لها خصائصها وتمايزها واهدافها المشتركة ، فان من غير

الممكن ايضا التحدث عن اعلام عربي معاصر متحرر له خصائصه وتمايزه واهدافه المشتركة .

واذا كانت الثقافة العربية المعاصرة عرضة للمصادرة والتضييق ومزيجا غريبا متنافرا من الثقافة العربية الموروثة ومن الثقافات الوافدة والثقافات الاستهلاكية ، فان الاعلام العربي ايضا مزيج من الدعاية والاعلام والاعلان والترويج والترهات والثقافة الموروثة والثقافة الوافدة او الثقافة المستلبة .

ولكن علينا ان لا نغفل الاشارة إلى نقطة ايجابية بالغة الاهمية من حيث المدلول استطاع الاعلام العربي ان يحققها او يشير اليها .

لقد استطاع هذا الإعلام رغم تخلفه وتناقضاته ورغم المؤثرات السلبية عليه ، ان يحدث خلخلة في البنية الاجتماعية العربية الثابتة ، وخلخلة مماثلة في المسلمات والمفاهيم وانماط السلوك المتوارثة وأن يثير فضول المواطن العربي ورغبته في التساؤل والاطلاع والاكتشاف ..

http://Archivebeta.Sakhrit.com

صحيح ان هذه الخلخلة لم تؤد الى خلق تحول جذري . الا انه تحول هام بمدلولاته يمكن استثماره في خلق تحول اساسي في البنية العربية السائدة فكرا وسلوكا .. لكن الاعلام العربي عجز عن دفع هذه التحولات بعيدا في ألطريق الصحيح الى مداها المؤثر والحاسم ، عجز بفعل العقلية التي تحكمه وتقوده وتوجهه .

هذه العقلية التي ماتزال منشطرة مترددة تنوس بين الغيبي والعلمي، بين ماهو تحريري وبين ماهو جامد ، بين الثبات وبين الرغبة في التحول والابداع ، بين تقديس التراث وتكرار قراءته والتقيد به ، وبين الرغبة في اعادة قراءته وتجديده بين فضول الانفتاح على العالم وبين التهيب والخوف من هذا الانفتاح او العجز عن التحكم به والافادة منه .

أعود للتساؤل : هل لدينا حقا ؟ اعلام عربي معاصر ؟

واسارع للاجابة ، فأقول : نعم لدينا اعلام متقدم من حيث الوسائل، متخلف في المضمون قادر على النقل والايصال والتأثير ... لدينا عشرات الصحف والمجلات ووكالات الانباء والاذاعات ومحطات البث التلفزيوني وقريبا جدا سيكون لدينا قمرنا الصناعي العربي .

لكن ماهي محصلة كل هذه الوسائل ؟ ، ماهي الجدوى من كل هذا التوسع ، وهذا التنوع .؟

لقد بقي الاعلام العربي متخلفا . مستلبا موزعا بين عقليتين او بين عقليات مختلفة ، اختلافا لا يولد ماهو افضل ، وبقي عاجزا عن رسم ملامحه الخاصة واهدافه ، عاجزا عن السيطرة على مادته التي يقدمها للناس ، ضائعا بين ماهو اقليمي متعصب وماهو قومي مفتعل ، بين ماهو ذاتي بحت ، وبين ماهو غريب عن الذات . بين ماهو ثقافي وبين ماهو ترفيهي او دعائي ، . بين ماهو مرحلي وآني . وبين ماهو جامد وثابت . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الاعلام الذي كان بالامكان ان يسهم في توحيد المواقف العربية والمشاعر العربية والذوق العربي . وفي تذويب الحواجز الاقليمية وحشد الراي العام العربي حول هدف مشترك او حقيقة او مطلب . وفي تحريض الذهنية المتلقية الكسول المتقاعدة عن الفاعلية والتساؤل والولادة والتجديد والابداع .. قد اصبح في يد الانظمة المتخلفة القمعية الانعزالية او الانظمة الاستعراضية . . جزءا من الواقع العربي المرفوض . وتحول الى وسيلة لتعميق الخلافات العربية بل الى وسيلة لتعميق وتسويغ الصراع الاقليمي والاقتتال الطائفي . والتضليل الفكري والتشويه الذوقي . والى وسيلة لإلهاء الجماهير وخداعها وتزييف قضاياها ومواقفها وقناعاتها ..

بل تحول الى وسيلة تقلب الحقائق احيانا او تطمسها . والى اداة تزيد من تجزئة الواقع العربي المنقسم ، ومن استلاب العقلية العربية المستلبة .

فالاعلام العربي الراهن . اعلام بلا اتجاه ، بلا استراتيجية ، ليس على المستوى القومي فحسب ، بل على المستوى القطري .

ولعل اخطر مافي هذا الاعلام ، انه يولد لدى مشاهديه وهم المعرفة ووهم الثقافة ، وانه يخلق نوعا من الرضى او الاحساس بالامتلاء الكاذب بينما يبقى الوعي غائبا وتبقى الارادة مقيدة . .

ان بعض وسائل الاعلام العربية ، لا تكتفي بخذلان الحقيقة بل تحاول ان تخلق بدلا عنها أوهاما واكاذيب تحتل موقع الحقيقة وتنوب عنها . . ثم ان تردد الاعلام العربي وضغطه المتواصل ، وانتقاله السريع بين النقيض والنقيض ، يترك الانسان العربي بلا اقتناع ، بلا هدف معروف او محدد، فالوسيلة التي يتحتم ان تنقل له الخبر الصحيح والموقف الصحيح والراي الصحيح . عرضة في كل لحظة الى الانتقال من النقيض الى النقيض والى تكذيب ما كانت تجهد . . في تأكيد صحته دون اكتراث بالعقل او الذاكرة او المشاعر .

مثل هذا الاعلام لا يخون دوره ووظيفته ، ولا يستهين بالعقل فحسب، بل يشوه ويخون اعمق المشاعر واكثرها براءة وعفوية ، انه في بعض الاقطار العربية ، لم يكتف بالتخلي عن دوره التنويري والتعليمي والتحريري والقومي ، بل خان هذا الدور واستبدله بدور يخدم مصالح الاستعمار والصهيونية ويخدم واقع التخلف الفكري وواقع التجزئة بكل اشكالها .

فاعلام مصر السادات مثلا لم يكتف بتبرير تقاعد مصر وانسحابها من دورها الوطني والقومي والتحرري ومن مسؤوليتها التاريخية بل حاول ان يربطها بعجلة الاستعمار والصهيونية وان يبرر كل هذا ويسوغه . ولم يكتف بمحاولة خداع الشعب المصري واقناعه بصلاحية اغلال كامب ديفيد وجعلها انتصارا كبيرا .

ARCHIVE

بل سخر قدرة هذا الاعلام وأمكانياته وخبراته ووسائله الحديثة للتصغير من شأن العرب وللاستهانة بهم وبقضاياهم ، أو لاقناعهم بصوابية اتجاهه او جرهم اليه ، بل انه كثيرا ما تلاقى مع اعلام اسرائيل في تغذية وأثارة الاحقاد والفتن الطائفية في بعض الاقطار العربية . دون اكتراث بالنتائج الخطيرة التي تترتب على هذا الموقف . .

بعد هذا العرض لواقع الثقافة والاعلام هل بامكاننا القول ان لدينا ثقافة عربية واعلاما عربيا بالمعنى الصحيح ؟

وهل نطمح ان نحقق في ظل الاعلام العربي والثقافة العربية ، واقعا عربيا جديدا .

وهل يمكن ان نأمل في انقاذ الواقع العربي من مخاطر ما ينتجه ويقدمه العقل العربي المتخلف عبر وسائل اعلامه وما تفرزه التناقضات العربية وعقول بعض الانظمة التي استهانت بالثقافة وسخرت الاعلام ، فجعلتمنه وسيلة الهاء وتسلية ودعاية وتمويه .؟

اعتقد ، ان الثقافة العربية الراهنة ، رغم محاصرتها وكثرة قيودها ورغم طغيان الاعلام عليها او تسخيرها لاهداف واغراض غير ثقافية ، ما تزال وسيلة الانقاذ الاولى وقناة الوصول الانظف والانقى بعد ان تلوثت او اغلقت القنوات الاخرى بين ابناء الاقطار العربية ، وما تزال وسيلة الرؤية الاشمل والاعمق والتي يمكن ان توحد المشاعر والاهداف من خلال تعميق الوعي العربي على واقعه ، وعلى عوامل الاخفاق الثقافي والاعلامي والسياسي وعوامل استمرار توالد التخلف والجمود في وجه عالم يتجدد ويتحول ، وفي وجه تحديات تفرض تجديد الرؤية وتجديد المفاهيم قبل تجديد الوسائل والازياء والمقتنيات . .

اننا نلمح شيئا من التحول لكنه تحول بطيء .

وقد نحتاج الى زمن طويل والى عوامل متعددة ومتضافرة ، والى جهد متواصل والى مؤثرات متنوعة حتى تقوى عوامل التحول ويقوى تياره وتأثيراته ... لكن بالامكان اختصار الزمن وتعجيل عملية التحول ...

وهذه هي المهمة الاولى للثقافة والاعلام .

بل المهمة الاولى للمثقفين والاعلاميين العرب .

قائمة باسماء المراجع :

(١) يقال ان أول صحيفة صدرت في العالم هي صحيفة « كين كان » الصينية ، في عام ٩١١ ق.م كما يقال ان صحيفة الوقائع الرسمية Acta Doria الرومانية في عام ٥٨ ق.م هي اقدم صحيفة .

(٢) قصة الحضارة ، ول ديورانت مجلد ١ ج ٢ القاهرة ١٩٦١ ص ١٦٩ ـ ١٧٣ .

(٣) الاعلام ووسائله ، شاكر ابراهيم ، مؤسسة ادم للنشر والتوزيع ١٩٧٥ ص ٣٢ .

(٤) يحيى ابو بكر ، مجلة المستقبل العربي ، عدد شباط ١٩٨٠ ص ٥٥ .

(٥) ابراهيم امام ، المرجع السابق ص ٨١ .

(٦) سعد لبيب ، المرجع السابق ص ٦٩ .

(٧) لسان العرب والمزهر والعمدة .

(٨) معجم الادباء ، ياقوت الحموي مكتبة عيسى البابي الحلبي ، ج ١ القاهرة ص ٧٣

(٩) العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ج ٢ ، القاهرة عام ١٩٥٦ ، ص ٤٢٣ .

(١٠) طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي ، السفر الاول ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ص ٥ .

(١١) ليف كوغان ، مجلة مواقف بيروت عدد آذار ونيسان ، بيروت ١٩٧٢ ـ ص ١١ و ١٢ .

(١٢) اعلان مكسيكو بشان السياسات الثقافية اليونيسكو ، ١٩٨٢ ص ١ .

(١٣) مجلة مواقف ، عدد آذار ونيسان ، بيروت ١٩٧٣ ص ١١ .

(١٤) قضايا الثقافة العربية المعاصرة ، د. محي الدين صابر ، الدار العربية للكتاب طرابلس ١٩٨٣ ص ٩ .

(١٥) فاتحة لنهاية القرن ، ادونيس ، دار العودة بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٨ .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

اسئلة الابداع في الأدب العربي المعاصر:

بحث عن الأصول في الأدب والاعلام

أحمد المديني
«المغرب»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في السياق السوسيو ــ ثقافي للمجتمع العربي ، وللثقافة العربية ، وبالاعتماد على عوامل الاسناد المختلفة الآتية من تاريخ سحيق ، المتبلورة مع تاريخ حديث ، والاخرى الوافدة من عقود قريبة ، في هذا السياق يصبح هم البحث على ارساء نظرية او ارضية نظرية ومفهومية شرعية مطلوبا جدا ، ان هذا الهم يوطد الحاجة لاسباب عديدة ليس اقلها الاحساس بالفارق تجاه الذات ، وتجاه شروط ثقافية موضوعية ، تحصر المعرفة العربية إما في الاطر التقليدية العقيمة ، أو تبقيها على مشارف التردد من انجاز مغامرتها الخاصة ضمن المغامرة الفكرية الكبرى للعصر ، وليس اقلها كذلك هذا

التحول الجذري الذي شهدته الثقافة الانسانية في مختلف موادهـا ، وبالفروع الجديدة التي انصرفت اليها ، وجعلت وتجعل منها فاتحة على طريق الثورة النظرية الى تحرك تكلس الماضي ، وتفجر كل نوستالجية بائسة بقيم متوثبة في حيوية التراث والامتداد . لكن الادوات المعرفيـة الجديدة ـ وليدة تمثل الحاضر واقتحام المستقبل ، هي ما يقود العقـل ويدفعه بخطوات مترصدة في دروب اعادة اكتشاف الذات ، وهي تتجسـد معرفة وابداعا ـ ثم وهي تمارس بقيم الوجود الحار ـ والمتفاعل ـ قيـم التأمل النظري ـ واقتراح اجهزة معرفية ترمي الى صوغ القطيعة التي لا تفصل الانتاج عن مبدعه ولا عن تاريخه ، وانما تجدد هويته ، وبذور ما تعمق الاختلاف تصون حريته في التأمل والابـداع وتثبت اصالتـه الحقيقية ـ اذ كل مشروع في الحداثة ، والحالة هذه ليس انقلابا علـى الذات ولكن في الذات وبالصيرورة التاريخية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي حقل الانتاج والبحث الادبيين لهذا الهم اكثر من مكان ، وحوافزه متوفرة بدرجات قصوى ، خاصة لمن يريد ان يسعى لدراسة اصـول النهضة الادبية الحديثة عند العرب . واذا كنا في ميدان الفكر والبحث الفلسفيين نبحث عن اطر معرفية جديدة ، فاننا في الميدان الادبي أيضـا بامكاننا ، لا بل مدعوون الى صياغة الاسئلة المغايرة ، وقـد تولدت ، بدورها ، من الاسئلة الكبرى التي تستغرق مجتمعات هزها نفير العصر الجديد .

ان حقل الانتاج الادبي ينتج اساسـا منظوماته الابداعية والمقولات النقدية التي ترافقه ، ثم تستقي من جاهزيته ـ فسيرورته ، في السيـاق السوسيو ـ ثقافي ـ لا ـ انتاجا آليا ـ لقد ولى زمن سوسيولوجياالادب السوقية ـ ولكن في حدود الاشتراط النسبي والمرن . على ان هذه المرافقة الاشتراطية كثيرا ما ولدت اشكالا من العجـز والتثبيط النظري التي انحبست في الاطر الجاهزة للنزعة الموضوعاتية ، الاطر التي ولدت تشويشا

نقديا ، وليس استطيقا عربية كما كان المأمول ، وخاصة بعد مرور عقود عدة في انطلاق ما سمي بحركة التحديث العربيـــة .

ان عملنا الاتي يدرك هذا التثبيط ، ويطمح لتجاوزه ، حتى ولو لم تتوفر له بعد الادوات الكافية ، عن طريق الدعوة الى مراجعات اوليـة لتسهم في خلخلة عنف سكونية نظرية سائدة ، واستدعت اسهامات اخرى، عسى ان نعيش بكيفية خلاقة ابداع العصر ، وواقع ادبنا في صلب متنه اذ يكتب وبأدوات الكتابة ذاتها وفي خصائصها .

ليكن انطلاقنا من ان واقعـا ادبيا يشكل من التقاء وتفاعل عناصـر ومعطيات من داخل محيطه وخارجها ، مختلفة ، متعـددة ، منسجمة ومتداخلة . وان الانتاج الابداعي يخضع كما يتدرج ضمن ضروراته الخاصة بالقدر الذي تؤلف عناصر الخارج افقا ممتدا له يأتلف او ينشطر (١) ، فيكون تحديد الماهية فيه احدى القضايا الجوهرية التي تحدد بنيانه . ولا تأخذ الماهية عندئذ معنى الدلالة او تنتحل صفـة الموضوع . ان الموضوع ، ولا شك قائم ، وارد دائما ، وملحاح(٢) وان من الصعب علينا ان نتقبل انتاجا ابداعيا خارج الموضوع (٢) ومن هنا تهافت التجريبية او التحديث الذي يفتقد الحس التاريخي ويلغي عناصر الفضاء كاملة ليعوضها بلا شيء ــ وتلك مسألة ربما اقتدرنا على طرقها ببعض التفصيل لاحقا .

بيد ان تشبثنا بالموضوع ــ حامل المعنى ، بالسياق الدلالي، لا يعني بتاتا اننا نتعامل ، هنا مع شيء هين او مسترخص ، ان توافد المعنـى وتكاثره لا يقر او يفي حقا بالدلالة (٤) ، هذا فضلا عن ان الجاحظ كان تجريبيا صرفا حين اعتبر ان المعاني مبذولة على الطريق (٥) منصرفا عن التوتر الحاد ، القائم بين المبنى والمعنى الذي سيدرك الجرجاني (عبـد القاهر) وضعيته كمنظومة جوهرية في بلاغته مستفيدا من النقد اليوناني القديم (٦) وذلك بقرون عديدة قبل حداثة النقد الجديد التي تسهب في هذا الباب ، ان المعنى الهين والمبذول هو الواقع في حيـز الاتفاق ،

وعناصر الدلالة هنا مفترضة أو مسبقة ، ولكنها ابدا ، ليست متخيلة في حين ان ما يعنينا في الكتابة هو التخيل ، او نقل هـذه الى صعيد المتخيل (٧) وحينئذ فان الواقع يفيض بفناه ويصبح آهلا بمخلوقات الطبيعة ، ولكن ايضا بالخلق الفني .

وسنفترض ان الامر يتعلق بـ : التيمة Le théme (٨) وهو ما لا نجد له مقابلا بالعربية ولكن ما يفيد ، في النهاية ، الموضوع العام ، بما يجعل المعاني تنتقل الى الموضوع ، وهذا ينضوي في اطاره الاوسع ، وربما عنّ لنا عندئذ ، ان نمعن حتى نصل الى الفرضية الافلاطونية(٩) ولن يتبقى امامنا شيء من هذا الادب سوى جثة هامدة من الكلمات التي انفصلت عن ذاتها ، بقدر انفصالها عن موضوعها ــ الموضوع آية ــ .

لا نريد الخوض في أي الغاز لان البحث في الماهية هو ما يقدم ، في زعمنا ، المخرج الاسلم للخطيئة الاولى للكتابة ، كما تبلورت في (بويطيقا ارسطو)(١٠) ، وبالذات في حدود نظرية « المحاكاة » La mimosis (١١) ; ثم تكاثرت خلاياها ، ونمت تكويناتها بين مدارس الادب والاستطيقا والتيارات الفلسفية ، مما يمثل خصوبة لا نظير لها منذ اواخر القرن التاسع عشر وصولا الى الستينات من هذا القرن ، حيث نجد علم الجمال الادبي يكاد ينشطر اما الى شكلانية صرف او الى موضوعاتية خالصة رغم التماسها عناصر الشكل (١٢) وسواء تعلق الامر بالنقد القديم او الجديد يظل البحث عن نظرية للادب لا مجردة ، لكن مهيكلة ومبنية ، ودائمة التفتق بالمعنى ، سيرورة فكرية لا تتوقف وتحتاج لا الى اقامة معادلة مستحيلة بين ما يسمى بالشكل والمضمون ، ولكن الى وضع اليد على الماهية ، التي هي الخلق الفني التي ينجبها الاختلاف المعجز بين المادتين معا ، وستظل دائما في حاجة الى منهجية الحدين للوصول الى استكناه صداقة النص الواحد حتى ولو تعددت المسميات .

التساؤل حول ما هية النص الواحد ينبغي ان يلهمنا بـأن الفهم والموضوع والتيمة (١٤) هذه الاطراف ، وان تعددت ، تستطيع ان تخضع لتوضيح الرؤيا ، وان هذه ، في نهاية التحليل ، هي الجامع المشترك الذي تتوالد منه وبه الكتابة ، وعندئذ فنحن لا نحتاج الى القول بوجود او وجوب احتفالية لعناصر الشكل والمضمون ، ولكن بتضافر هذه الاطراف في القالب المصبوب المكتمل ، لنسج الرؤيا وبنائها ، وهي تتوالد بين حدي الفن ، الذي لا نهاية لامكاناته ، والواقع المادة الخام والصناع ، التي لا حدود لتوقفها ما دام الزمن وتيرة نابضة (١٥) .

هذا التقدير النقدي يستخرج مادته من مادة سابقة عليه ولا شك ، ولكنه يأتي ، ايضا بناء على ترتيب ذهنية جمالية تريد ان تأتي فتحمل معها ، بالتالي ، لا قانونا للكتابة ، او منهجية مطبوعة بالقطعية ولكن اجتهادا مفتوحا يريد ان يستوعب عنف مكونات الفضاء المادي والنفسي في الارتجاجات المتواصلة لعنف النص (١٦) ومتعته بلا قيد او شرط (١٧) او حين يظل سؤالا مفتوحا (١٨) واذ بدون ذلك ليست امامنا الا الانشائية المريضة ، وكذا النقد المريض بانشائيته ، يتخبط فيها بين دلالات محولات معلبة في قوالب الايديولوجيا واللائقة والتاريخية الكرونولوجية (١٩) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقينا ان توجها كهذا يقود الى مجابهة عنف وافد على آخر مسلط ، وربما طمح الى ضرب من التمذهب الجديد الذي اساسه الرفض لتمذهبات سابقة ، ولكن ، اي ضير في ذلك والبحث العلمي المتطلع نحو السداد والصحة لا يكف في سعيه بحثا عن النظرية او النظريات دون ان تكون هذه ، في حد ذاتها ، هي القصد . ولكن ايصال الرؤيا التي لا تتوقف حدتها بالراي الذي يفتني معرفيا ، وينقلب على محك صداقة النص والواقع ، ان مهاما مماثلة لم تتوقف في الفكر والثقافة الغربيـة (٢٠) ، وشهدنا ، نحن العرب شبيها لها في مرحلة معينة ، مما يشكل الان تراثنا الفكري (٢١) ، عدا انها كفت عندنا تقريبا ، منذ وقت طويل ليس بالضرورة

ان نعتبر ما يصطلح على تسميته اتفاقا بعهد الانحطاط تاريخا لها ــ ان مسالة الانحطاط هي احدى المعضلات التي ينبغي ان تدرس الكتابة العربية على ضوئها ــ ولكن بدءا من المرحلة التي انقطعت فيها الصلة بين المبدع وابداعه ، واستلام النص مهمة البشير والنذير . اما حكاية النهضة التي سنقول فيها رايا فعلى الرغم من انها فتحت « عهدا جديدا » الا انها ربما ، وبالسياق الذي تقلبت فيه انما تكون قد حرفت او اجلت طرح الاسئلة الحقيقية . وربما كان اخطر انحراف هو ان الواقع ، والنص منه والى جواره ، لم ينجب اسئلة شرعية تنتهي اليه ، وتتفاعل مع المعضلات الجوهرية لا الظرفية ، راح في الاغلب يبحث عن اجوبة لاسئلة سابقة او مقحمة اصطدمت به واصطدم بها حتى ان ما يسمى بـ : « فكر النهضة » يكاد يكون جدلية ممسوخة لجدلية اصلية سابقة عليها انتجت صدى مؤلفا من التناقضات والنماذج المبشرة اكثر مما ولدت هياكل فكرية ومادية قادرة على النماء والتبلور (٢٢) .

الاسئلة الحقيقية ، او الممكنة ، السؤال الواحد الذي يتهيا له ان يفلت من زمام التكرار والرتابة هو ما يؤهل النص والفكر والواقع لتفوقه ونضجه في قلب الصدام المتصل الذي تعيشه الاشياء والكلمات . ان ثقافة السؤال ، عندئذ ، ليست بذخا او تأجيلا للمواجهة بل هي رغبة في تعميق ما يخال دائما انه بدهي والا فما هي هذه الكتابة عند العرب ؟ وما هو الشعر ؟ وما هو النثر ؟ وما هي الاطر المعرفية والاستطيقية للاجناس الادبية الحسية العربية ؟ ما العلاقة بين المتخيل والواقع في حدود النص ؟ ؟ ؟ ؟ سيقال ان هذه اسئلة او قضايا تحتاج بالفعل الى ما تحتاج اليه من التحليل والبلورة ولكن ما ينبغي ان يقال ، كذلك ، هو ان غياب التنظير ، اي الجهد المعرفي للتحليل يسكبها سريعا في التاطيرات الاتفاقية المبدهة ، وتكون النتيجة هي انفصال معرفة ما ، اي اغترابها عن موضوعها ، ثم انفصال هذا عن ذاته ، باندراجه في مجال لا ينتمي اليه او قد ينتمي الى اي شيء مطلقا (٢٣) .

من أجل نفي الاغتراب تشترط العودة الى اصول الماهية في النص ، لان هذا هو الذي يعنينا في النهاية وتكوينها ، وقد ضيعها عنف اهوج ، اخرق حينا ، وآخر مشدود الى التوتر الكائن والزمن الذي يحاصرة او يخترقه ، ان تيمة العنف تستطيع بالفعل ان تقدم لنا امكانية انجاز مدخل مغاير لقراءة الكتابة العربية الحديثة ، من جهة ، والبحث في بنية ونشأة وطوبة الاجناس الادبية الحديثة عند العرب من جهة ثانية . ولن يكون المدخل في هذه الحالة ، افتراضا او طرحا تعسفيا ولكن فرضية تيسر لها الاسئلة التي ترافقها ، والاطار العام الذي يمهد لها ، يوضح تنشئتها ، ما يجعلها مشروعة كمشروع لاختيار القيمة المذكورة بالعلاقة الى متن محدد ، وكأداة اجرائية لاعادة قراءة الابداع العربي الحديث المعاصر على ضوء التطلعات التي اراد ان ينتج في اجوائها وبوحي من التطلعات الاخرى التي ضيعها بسبب صدام اكبر كان وما يزال مفروضا عليه ولم يملك ، وهو لم يملك بعد ، استقلاليته كي يفتتن بنفسه ، اذ بدون هـذا الافتتان النرجسي للكتابة بنفسها لا نرى كيف يمكن ان يتشكل الابداع(٢٤). الفعلان ، معا ، يكملان بعضهما ويشرط الواحد منهما الاخر ، ولنا ان نفتح ، مع رغبة صداقة الاسئلة القديمة الجديدة ، باب التامل في عنف النص والواقـع .

ARCHIVE

في عنف الواقـع :

مم تشكل الواقع السوسيو ـ تاريخي للابداع العربي الحديث(٢٥) ؟ وحين نفترض ان العنف هو ميسمه العام ، فما هي التلوينات الخصوصية لهذا الميسم ، كما علينا ان نتساءل عن محتواه ومحدداته ؟

وبدءا فنحن نجد انفسنا تحت طائلة محذورات عديدة تعرقل صياغة الاسئلة المباشرة للعثور على الاجوبة الاكثر وضوحا . ثم اننا في مرحلة

ثانية ، مدعوون لاطراح هذا المنهج واستبداله بقراءة واقـع الابـداع بواسطة طرح اشكاليات الواقع نفسـه ، والاشكاليات لا تعوزنا لان كثيرا من القضايا تظل مغلقة ولو ارتفقت بها اجوبة بدهية .

هناك واقع اجتماعي ــ تاريخي تحكم ودفع بظواهره واشتراطاته ليضبط آليات الانتاج الثقافي . وما يهمنا فيه اساسا هو ما يمكن ان يقودنا الى الحقيقة الموضوعية او الى موضوعية الموضوعي اي ما يسميه بيير بورديو بالحس العملي Le Sens Pratique (٢٦) وامام وجهات النظر المتعددة حول انطلاق ما يسمى بـ « النهضة » لا نملك الا ان نسلم مع الاجماع بحديثة القرن التاسع عشر ، علما بأن احداثا اهم قد سبقته ورافقته من قبيل غزو نابليون لمصر وبعثته العلمية الشهيرة ، ومن جانب اخر ، وعلى الساحل المتوسطي المشرقي ، فان العلاقات الثقافية بين غرب المدنية الحديثة وهذه المنطقة تمتد الى أبعد من هذا الزمن ، ولذلك لا عجب ان تكون سباقة الى طرح كثير من قضايا التجديد والتزحزح من تحت ركام الانحطاط(٢٦) .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الواقع العام الذي ساد القرن التاسع عشر في المشرق والمغرب الكبير على السواء مع فارق تحسس الازمات ونوعيتها ومستواها ، يتميز اول ما يتميز بسلبيته الكبرى من حيث الشعور بالعجز امام تاريخ مشلولٌ واخر يتقدم دون ان تتوفر له قدرة تطاله (٢٧) هذا هو التجلي الاول لعنف واقع ذي ميسم ساكن الى درجة ان كثيرا من ممارسات الرغبة في كسر حدة هذا الاحساس بالعجز انما تؤكده وتكرس مفهومه على صعيد البنية النفسية للمجتمع .

ومن غير شك ، كذلك ، ان هذا الاحساس ذاته يتحول الى فاعل بان ينتج نقيضه ، اي ما يواجه السلبية ، انه موقف **التعانف** بين تياريـن يتجاذبان التاريخ ، ولكن ضمن ذهنية واحدة ، اذ المناخ الحضـاري لم يكن قد تشكل بالقدر الذي ينتج ، بدوره ، مظاهر تمرده التي كان محتوما ان تصطدم بهذه الذهنية .

ان الموقف العام والظاهرة السائدة عندئذ ، هي التي تتمثل في وجود كامل اسمه ونعته : **العائق التاريخي** اي ان هناك وضعا يمثل السكونية والثوابت الضاغطة التي يمتنع عليها الانتقال من مرحلة الى اخرى ، وتمنع هي . في حد ذاتها ، امكانية هذا الانتقال . وهذا ما يمكن ان يمثل العجز المضاعف في سياق نمو حضاري معكوس حين تشده الجاذبية ليس الى الوراء . اذ ان الزمن في منطق الذهنية الواحدة ربما يكون قد اكتمل، انه الزمن الصحيح والمطلق متشبثا بمكوناته ، مجرداته وتفصيلاته فما عادت له القدرة على السمي الا لتأمل ذاته . وفي ماهيته لا سبيل يدرك الا هيكله القائم والمتهاوي في الان عينه . اي تناقض عجيب ، ولكن اية سخرية مريرة ! ! وعلى كل فان العائق التاريخي ليس مسطحا ولا ذا امتداد افقي . انه هرم تتصاعد ابنيته واحيانا تتراكم في ضرب من التنضيد المتداخل ، والابنية التي هي سياسية واجتماعية وثقافية ، تكون قد تحولت ، هي الاخرى، الى عوائق مركزة ومركزية ، متشكلة الثقافة السائدة والنظام العام (systéme) الذي يسير ، ويوجه ويقنن بل ويخطط لمستقبل يريد ان يكون على صورته.انه الواقع الشامل الذي يمارس من منطلق ثوابته عنف الخضوع والاخضاع والصورة السلبية لواقع هو نوع من القمع الذاتي ، والقمع الموجه الذي يظل رغم كل شيء مشسوبا بكبرياء البقاء وزهو الامتداد في التاريخ .

في السياسي :

ان العزة والمنعة قد تراجعتا وهذه الجغرافيا المسماة ارض السلام ممزقة بين العثمانيين وتحرشات الاستعمار الغربي ، ونموذج الحكم الاصل مفتقد وليس هنالك افق بديل لحكم مقبول (٢٨) ثم ها هي ذي قرون متصلة والامة تعاني من « طبائع الاستبداد » انه القانون العرفي الوحيد الذي استطاع ان يصمد ويستتب وقد تهافتت تحته وانسحقت

القوانين السماوية والوضعية التي تقر العدل والمساواة . واذا كانت الشريعة ، كاحد المصادر الاساس لتشييد عدالة ما في المجتمع قد تقاطعت وتضاربت بين قراءات المذاهب ومنظورات الشراع ، فان التأويل المرتبط او الموالي للسلطان جاء ليجهز على البقية الباقية مما يمكن ان يترك للانام من حس الكرامة. طبائع الاستبداد تحتاج دوما الى المزيد من الخنوع وسلب ادنى الحريات والإجهاز على كل حرية هو القابل الكامل للمجتمع ، بجعل الاحياء موتى وسيادة السكونية المطلقة ، هكذا يتطابق الموجود مع الوجود ولا تظل من رائحة سوى رائحة الموت منتشرة . لكن هناك نوعا آخر من الموت الذي ياخذ صفة الحركية نحو الماضي ، ويكون بحثه عن النموذج الامثل لا من خلال ما قدمه ويقدمه الواقع الحيوي من نماذج حية ومرتفقة بالنمو البشري والاجتماعي اي روح العصر والحاجة الى التغيير ، ولكن من النموذج الذي اكتمل سابقا ، ومن ثم فان الخلافة الاسلامية ، كبنية ونظام سياسي ، تكون هي الطرح الامثل لتشكل ايديولوجي يريد أن يتجدد وهو قديم ويسود وقد ساد دائما ومن منظور كلي، وتلك ورطة الافغاني ، ان يكرس الخلافة كمنظومة للوحدة السياسية والبنيان المرصوص ، ولو على حساب كرامة الشعوب التي كانت تستعد او تنشط من اجل دولة قومية خارج مفهوم الخلافة .

في الاجتماعي : لا تنفصل الحركة الاجتماعية عن نظيرتها السياسية . ان لحمة واحدة تجمع بينهما وهي المجتمع نفسه الذي تسير وتتمظهر فيه الحركة بيد ان هذا المجتمع قد شاخ . وما يظهر عليه من بعض الحيوية ليس إلا مكافحة للهرم بعد ان تبددت المنعة والتشكل الاجتماعي على صعيد التنضيد الطبقي ، بعد ان خضع لتراتبية طويلة كف عن ان ينتج اية نقائض ، بل امسى هو نقيض نفسه مع طول الامد . وليس عجيبا أن يكون الافراد الذين يتعايشون فيه ، بعد ان اغتربوا طويلا في آفاق التاريخ البعيد، قد شعروا بالغربة ، ايضا في وقتهم الخاص ، وبالبلى ياكل ذاكرتهم ، وبالرتابة تقطع كل طريق على تغيير النمط .

ان التشكل الايديولوجي(٢٩) قد طال نظيره الاجتماعي واعطاء تحديداته النهائية علما بأن هذا الاخير هو الذي يفترض وينبغي ان يكون دائم التأثير والتلقيح للاول . ولكن في مجتمع تكون فيه السلطة منفصلة عن مصدرها ، وقائمة على اساس العنف الجسدي المتواصل ينتفي الجدل الحي بين السياسة والاجتماع ، بين القانون منظرا واكراهيا وبين الواقع منشورا في الكائنات والاحداث والاشياء يصبح المجتمع ، وهو الاصل ذيلا وهامشا رغم انه المجال الوحيد والممكن لممارسة السلطة ولكن تراكم القمع ورسوخ الاستبداد والولاء يعطيان للحكم والحاكم اهابا تجريديا عجيبا بقدر ما فيه من الانفصام بقدر ما له من الذوبان والحلول في كل شيء ، وهذا ما يجعل الاحساس بالعائق وادراكه مضاعفا لان كل حركة اجتماعية في السياق الزمني المعطى ، لا يمكنها ان تثور وضعيتها أو تصقل الصدا اليومي الا اذا استطاعت خرق الجدار الايديولوجي السياسي ، وهو ما كان يبدو كالمحال امام الامتثال التاريخي لطابع الاستبداد وهل يمكن للفكر والابداع ان يتجددا أو ينفصلا عن طراز النمط الواحد والمكتمل ، دون ان يحدث هذا الخرق الاساس(٣٠)؟!

في الثقافي : هل يتعلق الامر بتراكم معرفي متدافع عبر الزمن ومتجاوز لنفسه على قاعدة التراكم ؟ أم بهذا الرصيد الاشمل الذي هو التراث بكل مكوناته وعناصره ووسائطه ؟ أم يتعلق الامر بالقيم والمفاهيم الكبرى التي تعبر عن الثقافة وقد تم تجريدها في قوالبها وتاريخيتها ودلالاتها النهائية ، اي وهي تصبح منظومة من الافكار بجهازها المفهومي ، ومحتوياتها وفضائها التاريخي المعين ؟

ان هذه الصيغ والامكانات تترادف وتلتقي جميعها في العصر المعني ، وهي تلتقي دون أسبقية أو راتبية او اتساق يحكمها . ولان الذهنية القادرة على ترتيب هذه الصيغ وتنظيم تلك الامكانات ، ومباشرة نشاط

التميز والفرز واعادة الانتاج الثقافي الخلاق لم تكن متوفرة او يتهيأ لها المناخ السياسي الاجتماعي الذي يمكن نشاطها من الازدهار بعبارة اخرى فان الوعي بماهية الثقافة كان شبه منعدم بعد الطمس الذي تعرضت له حرية التعبير ، والتكييف المتوالي والانسجامي لمفهوم الثقافة ، وافتقاد حس التقدم في التاريخ لا بد وان يقود الى غياب التمييز الصحيح لمراتب ومحتويات المعرفي والتراثي والمفهومي ، لأن الوعي بالثقافة وهو وعي بالزمن في جدليته المستمرة نحو التجدد والتغير ، وهو وضع آخر كان مفتقدا . وليس غريبا ان يظل هذا الوعي مغيبا ومطلوبا في آن الى الوقت الحاضر لان الممارسة الفكرية ظلت فوقية ، سطحة وقشرية اكثر منها مساءلة حيوية للواقع والزمن الحضاري ؛ ولأنها كذلك ، تدجنت تحت هيمنة السلطة التي تمارس القمع على الهيمنة التاريخية المطلوبة(٢١) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحصلة النهائية للثقافة ستكون بالتقريب ، عند الجميع ، هي التراث ، وكل ما هو متراكم من الماضي العربي ـ الاسلامي سيصبح تراثا مجبولا بالقداسة ، ولكن ايضا مكفولا بالانسجام مع السلطة السياسية والهيمنة الطبقية الاجتماعية يكون التراث خارج السؤال ؛ فهو ثقافة الماضي التي تكونت وتواصل التكون هنا كذلك يأخذ الثقافي محتوى وميسم عنف راسخ للعائق التاريخي .

مسالة التراث :

بيد ان السؤال الملح في هذا الباب هو معرفة ما اذا كان التراث ارثا ام عبئا ؟ اي هل انه ، بتراكميته وتتاليه ، جزء من رصيد امة ، مفخرة لها ، ووعاء لتجاربها وخبراتها المعرفية ، ام انه تحول ، بوصفه كذلك ووزرا وعائقا امام ارادة تشكيل تراث آخر هو ابداع الحاضر على طريق المستقبل .؟

لكن التراث يأبى الا ان يمارس استمراريته من ثباته(٢٢) من ترسيخ المقولات ، والمفاهيم وبنيات التفكير وقوالب التعبير . على أساس صلاحيتها « لكل زمان ومكان » ، ويصر على عادة انتاج مضامينه وخطابه ، لا بالصورة التي تتماثل مع اللحظة الحضارية ولكن مع الزمن الذي تألف سابقا وتكريس لخطاب الماضي هو ابادة لخطاب الحاضر ان امكن وجوده ، وهو الاجهاز المبيت على موهبة خلق العالم بالعالم وتحريف مقنن لمفهوم الخلق ذاته(٢٣) .

وليس ما يعنينا ، الآن ، البحث في محتوى الخطاب التراثي ، ولا نوعية محتواه المعرفي(٢٤) كما ان عملنا ليس ذا طبيعة معادية للتراث ، من حيث هو كذلك ، كما قد يعتقد ، او كما ساد عند البعض في السنوات الاخيرة ، ان هذا يدخل في باب الكتابة السجالية ، والتي تعمد ، بانتقادها غير المنهج لتراث الامة بالقمع الى ممارسة قمع آخر حين تنكر عليه حقه في الوجود ، والحال انه محصلة شاملة وجدت بفعل تراكم زمني وفعل بشري ما يعنينا ، نحن ، ليس كذلك التشكيك او الدس على تراث الامة من منطلق علمانية وعلموية مزعومة ، ولا الدعوة الى قطع نهائي وانقطاع عن الجذور بدعوى اننا متخلفون عن ركب الزمن وخلاصنا لا يمكن ان يكون الا في تقمص نموذج المدنية المتفوقة علينا(٢٦) ان مفهوما مماثلا للدخول الى زمن الحداثة وبلا ثمن اذا كان في ذلك طريق الخلاص(٢٧) لا يمكن ان يوصف الا بالعدمية ، والاغتراب عن الذات ، من نحو ، والاغتراب في الآخر ، من نحو آخر .

وقف استمرار التحقيب التاريخي ومواصلة الفعل الحضاري لجدليته المستمرة النقيض المحجوز الى الخلف هو ما يجعل من التراث عبئا ، ويحوله الى اداة عنف ضد واقع يقع اي يحدث يوما اثر آخر ويصنع هياكل ومحتوى مؤسسته المستقبلية . مرة اخرى نجد ان الامر رهين بوعي جاد وعلمي بوعي الثقافة في التاريخ والمعرفة في المجتمع وهذا

http://Archivebeta.Sakhrit.com

في السياسة ثم نستطيع ان نربط هذه الحلقات في سلسلة مغايرة ولا نجانب قصدنا عندئذ الذي ينبغي ان يتحقق عبر نمذجة مصقولة ومعمقة، ومتجددة طبقا للهوية الثقافية .

وفي القرن التاسع عشر كانت النخبة قد بدات تعلن تململها الاول بعد احقاب طويلة من السكون والاجترار وربما كان حريا بنا العودة الى ما قبل هذا التاريخ لولا اننا نوثر اختزال مبدا التحريك في الفترة التي يتحول فيها هذا الى ظاهرة ، والظاهرة استوجب تبلورها الصدام بين تاريخين نقيضين او متعارضين على الاقل صحيح ان الفكر الخلدوني والرشدي حاول في مرحلة سابقة ان يؤسس عقلانية جديدة في المعرفة والاجتماع والسياسة ، لكنها محاولة تداعت تحت مفهوم التراث ــ العبء ، ولأنها كانت نخبوية ، ونتاجا للتامل الذهني الذي لا يستطيع ان يقود قدرة التغيير بمفرده . والشيء نفسه يمكن ان يقال عن النماذج الشعرية المتناثرة في فترة ما سمي بالانحطاط ، والتي هي فلتات تعبر عن اصحابها كذوات اكثر مما تعبر عن حساسية فنية مستجدة(٣٨) في حين ان القرن التاسع عشر هو المجال الزمني الحقيقي الذي ارادت فيه النخبة السياسية والفكرية ان تحدث النقلة(٣٩) او لعلها وجدت نفسها مدفوعة بحوافز اما ان تستجيب لها بمنهجها ورؤياها الخصوية او لتزول لتخلفها نخبة اعتى يدفع بها التاريخ النقيض المواجه ، ونحن لن نجانب الصواب في شيءاذا اسميناها نخبة الوساطة بين مرحلتين زمنيتين ولكن ضمن الثقافة الواحدة وفي مواجهة حضارة غازية ومتحدية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويلزم البقاء ضمن الثقافة الواحدة وبحكم الاحساس بدور الوساطة التقيد بطبيعة الموقع التي تنشد اكثر الى ذاتها وتنفصل في مسافة ما بين السابق واللاحق ، ان حركة الاصلاح في القرن التاسع عشر وتسميتها تدل عليها ، ما جاءت لتنتمي الى التغيير او تقوم بالمراجعة التي تؤسس

للجديد ففعلها اذا كان يدور في حلقة الحاضر يستعمل ادوات الماضي اي يستعمل التراث ولكن بتوجيه من ذات ووعي خاص يريد أن يتفاعل مع كتلة ومقولات محددة من التراث ، تلك التي يعتقد انها قادرة على الاجابة على اسئلة ملحة يطرحها واقع يتغير في السياسة والاجتماع والثقافة(٤٠) فالتموضع ، هنا وسيطي وارتكاسي وخصوصي بطريقة ما في آن واحد فأي جمع للمتناقضات هذا له اول عنف سيفرض على الفكر التي في بداية نهضته هذا الذي يريد ان يجعل في التناقض اصالة ، ان فكر الاصلاح كان قد حكم على نفسه بالبقاء سجين الماضي وخارج زمن التجديد بمجرد اقتراحه ان لم نقل فرضه لمفهوم اصالة مشوشة وقلقة ، وهو القلق الذي لم يتوقف الى اليوم في استكمال الكلمة واعطائها من الدلالات ما تحتمله وما تنوء به ولكن التي تعبر ، في العمق . على ان الفكر العربي الحديث قبل مرحلة النقد الابستملوجي التي يجريها اليوم بقي يضطرب في مصالحة مستحيلة بين الماضي والحاضر(٤١) دون ان يعمل على ضبط المحصلة المركزية في التراث اي الجوهر الاصلي للمعرفة العربية الاسلامية. وربطها بالمعرفة المعاصرة وليس بتحكيمها واعتبارها هي الاصالة وسواها نافل ، دخيل ومجلوب ــ وحركة الاصلاح اعتبرت الغرب دخيلا فرفضت ان تغترب فيه لتغترب في مساحة معرفية من الماضي ثم تنتقل او تنقل مرة اخرى تلك المعرفة لتجعلها بدورها ، تغترب في حاضر اذا كانت بعض ملامحه قد تشكلت منها . فلا يعني هذا بالضرورة انه حريص على البقاء سجينا ان الحاضر يتقدم نحو المعرفة الجديدة فهل بوسع الاجوبة القديمة ان تجيب على اسئلة الحاضر ؟..

الالحاح على طرح هذا السؤال واثارة القضية ذاتها مرات عديدة مبعثة الوهم المتولد ، مع بداية حركة الاصلاح وموجة النهضة . بتمرحلاتها وتجلياتها المختلفة ، بوجود قطيعة(٤١) كاملة وحقيقية بين فترتين من التاريخ بل ومجموعة قطائع ، تلك المتوافقة مع تحقيبات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تاريخية تتخذ اسماء عديدة بين العصر الاسلامي الاول والعصر الذهبي ثم مرحلة التقهقر فعصر الانحطاط الذي يراد له ان يكون قاع الانحدار ـ ان هـذا التصنيف هو ما يسود على الاقـل ، مثلا الدراسـات الادبية الكلاسيكية وسيما تلك التي يتزعمها التيار الوصفي لشوقي ضيف(٤٢) وهذه التوصيفات ما تزال سائدة في النقد الادبي والابحاث الفكرية رغم بطلان اسسها ، وهي الشائعة في المدارس والجامعات رغم او بسبب التسرب البطيء للمناهج النقدية الجديدة ، ومقتضى الحال انوهم حدوث القطيعة الزمنية على الاقل جعل الكثيرين يغفلون عن استمرار المحتوى ذاته الذي كان موجودا والذهنية التي كانت سائدة والقلق في العلاقة بين الشكل والمضمون . ان الزمن في هذا المستوى ومن هذا المنظور شكل وعاء او قالبا او سياقا تاريخيا تتبدل فيه الاحداث وتتراكض الوقائع والشخوص(٤٣) ولكن القوانين الخفية التي سيرت الماضي وارتكز عليها هدم التراث ، هي ذات القوانين لم تنقضها قوانين جديدة او حين حاولت هذه ان تواجهها بالمجتمع الجديدوالمعرفة الوافدة والحداثة الفكريةالعميقة كانت الغلبة لما هو مستحكم في النفوس والعقول ، خاصة وان الصراع اما سطحي او نخبوي . لقـد غلب المضمون القديم ، اذن ، على الشكل المستحدث وبالتالي فهمت القطيعة بوصفها لونا وصدى خارجيا لا قانونا جديدا يخترق جسد السياسي والاجتماعي والثقافي ، وتلك آفة في الفهم والتأويل لا حد لجناياتها الى اليوم ، انها ازمـة فهـم وتأويل آخـر للسيريالية(٤٤) .

الثبات في عنف الاتباع :

ومن ضمن التراكم التراثي الثقافة الادبية ووضعية ادب العرب عامة التي كثيرا ما يتم السكوت عن القوانين الكبرى التي حكمت فيه ولا ينظر اليه سوى من حيث خصائصه ومميزاته الخارجية ولا يمتد التحليل

الفكري اليه وكأن الادب مجرد قول نافل ومنبت الصلة بالمنظومة الفكرية والاجتماعية التي يخضع لها الواقع ، ويبلورها في الآن عينه(٤٥) .

ان حركة الاهتزاز تحت عبء التراث كانت في البداية خافتة من الجانب الادبي ولو انها جزء من الحركة النهضوية العامة وعنف التراث واجه المبدع كما واجه المفكر وهكذا فان حل المقاييس الحدية التي وجدت عبر تاريخ الادب العربي في جله هي التي تهيأ لها الاستقرار ولم تجد مـا ينقضها ، الامثلة التي يمكن ان تقدم في هذا الصدد عديدة ، ونحب ان نقتصر منها على ما يرتبط بصلب تكوين الانواع الادبية(٤٦) ومحتوياتها الجوهرية ، والنمط او الانماط التي سادت ضمن النوع الواحد مع علاقة الابداع والمبدع معا بالخط الفكري والاجتماعي السائد .

ــ ان المتتبع للظاهرة الابداعية العربية سيلاحظ سريعا هذا التقييم الثابت الذي لا يتزحزح للكتابة الى شعر ونثر ثم الى الثبوت الراسخ لكل واحد من هذين النمطين والملفت للنظر هو غياب التمايز والحركية ضمن النوع الواحد ، ولاول وهلة يخال المتطلع ان هنالك تنوعا سواء في الشعر او النثر عليه فقط ان ينظر الى تعدد الاغراض الشعرية وغزارة القاموس اللفظي والصورة البلاغية المرتبطة بكل غرض على حدة وان يلاحظ النمو الفني والتخييلي والمادي في القصيدة العربية على امتداد مراحل محددة وله ان يلاحظ في النثر كذلك تعدد اغراضه بين خطابة ورسائل سلطانية واخرى اخوانية واساليب « روائية » اخبارية وثانية تاريخية تفسيرية او ادبية نقدية ولكنه حين يكتفي من ذلك سيجد ان التعدد الملحوظ خاضع لوحدة مسبقة ولنسق متواتر : ان القصيدة العربية كانت واستمرت الى الخمسينات من هذا القرن واحدة تزدهر فيها البلاغة الشعرية الكلاسيكية ويقود خطواتها الموضوع الرتيب ونموها يحدث على مستوى بنيتها الخارجيــة واذا قدر لها ان تنتشر افقيــا لتستجمع جدة عناصر الواقع المتطور فانما لتكيفها مع واقعها هي كقصيدة

اما النثر فعدا انه في اغلبيته يبدو محدود القيمة اذا ما قيس بالشعر الجاهلي ، وان تكون الفحولة الاولى لهذا الشعر على سواه .

اما النثر فعدا انه في اغلبيته يبدو محدود القيمة اذا ما قيس بالشعر يكاد يسلك مسلك التبليغ وتكون مهمته وظيفية . وفي فن المقامات ستصبح اللغة تسلية وترفا فضلا عن ان الغرض وهو « الكدية » هو الاسبق ومهمة اللغة عندئذ ان تتبرج في ابهى حللها . انها تخدم كفاية وليس لخلق افتتان فني . وهنا تضيع على الادب فرصته . ولازالة كل التباس نقول ان الكتابة هنا تصبح بلاغة صناعة وليست بلاغة ابداع . اما الناثر فهو ليس اديبا . الاستحقاق انه موظف وخير ما يطمح اليه ان يكون كاتبا في ديوان الخليفة ، او ان يصبح مثل « ذي الوزارتين » . وفي العصر الحديث سنجد ان النثر حين حاول ان يجنح الى النص الفني ويستشري التقليد الخبي انتقص من شأنه واعتبرت هذه الكتابة مجرد تسلية تليق بالعقلاء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد كان الشاعر والناثر معا مواجهين بصلابة النموذج الواحد وبثبات الانواع واذا كانت عقلية الثبات هذه تبرر دائما بالذائقة العامة(٤٧) نفس المقياس المعتمد اليوم في استمرار الشعر العمودي فانها مرتبطة بهيمنة النموذج الفكري والخط السياسي الذي لا يمكن خرقة والسلطة النقدية نفسها كانت محكومة بالسلطة السياسية التي تجيز هذا الشعر او ذلك او تعطي الف دينار للبيت الواحد .

ولا يعني هذا التقليل من اهمية الصراع الذي دار بين القدماء والمحدثين ولا من حركة التحديث الاولى التي شهدها الشعر العربي في القرن الثالث الهجري واستمرت صعدا الى ان سقط الشعر في قوالب التقليد الفج . لقد كان هذا الصراع على اشده واصطدم فيه منهجان وثقافتان حين اراد المحدثون بلورة رؤيا معاكسة الصق بالمعيش منها بالموروث او المسخر ، وحين دابوا على استثمار عناصر الحياة المستجدة واعطاء المرئي والمحسوس مرتبة التخييل الاولى والاستمداد منهما . ولكن

وكما وصفت الحركة الفكرية العقلية بالمروق وصف هؤلاء الشعراء بكافة النعوت وعلى راسها الزندقة . ومعنى هذا ان السلطة السياسية ضد التجديد وتهيء له التهمة المادية والشبهة المطلوبة ان المجون والزندقة تهتمان تستوجبان حداً ماديا ربما كان الجلد او الحبس لا بل الموت نفسه. والحد المادي هنا ، يطال فكرة التجديد نفسها التي هي فكرة مارقة ما دامت اللغة العربية مستوفية لكل جدة بين الشعر الجاهلي والقرآن ، ففي هذين النموذجين ابتدأ التجديد واكتمل نهائيا . ما هي مهمة المبدع ، الشاعر حينئذ ؟ لقد كان الشاعر دائما صوت قبيلته واللسان الداعية لمفاخر الاسلام ، ولسان الخليفة الذي يحصي خصاله ويثني على افعاله ... ان مهمة الشاعر مرتبطة برسالته ولذلك فان صدمة الشاعر المحدث قديما وحديثا لقرائه او سامعيه انهم قل ان يجدوا ما يغري آذانهم اي مقول القائل اما هو فقد انصرف الى سؤاله الكبير وهو كيف يقول ، وما طاب له ان يقوله لكي يعبر عن ذات انسانية وفنية اغرقت طويلاً في المطلب الكلي وتبحث اليوم عن التفرد(٤٨) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهل كان من السهل التصدي لعنف التراث الادبي على يد رواد النهضة الادبية العربية ؟ وهل استطاع هؤلاء الذين ارتبط بأسمائهم ما سمي بـ « البعث » في الشعر والنثر ان يسلكوا مسلكا فنيا مغايرا ، ام تراهم عمدوا هم بدورهم الى تكريس العنف الذي سلط على التجديد وعاق تطور ما كان موجودا من انواع ادبية ؟ ثم هل يتيسر لحركة التجديد أو التحديث العربية الاولى اجمالا ان تنهض على اسس نظرية جديدة وتنجز تصوراتها ورؤاها الفنية ، من ضمن قدراتها الابداعية الخاصة ومن وحي تمازجها مع عطاء ادبي وافد ، ام انها بقيت تراوح في المساحة التراثية بكل ما حاولته من التحليق في فضاء مغاير ؟ ويمكن لهذه الاسئلة مجتمعة أن يستقطبها محور سؤال واحد هو ما يعنينا اكثر من غيره ، وبصرف النظر عن الجزئيات التي ترتبط به ، اي هل كان الانتاج النهضوي والتحديثي الادبي يتحرك في دائرة التجديد مطلقا أم ان البحث عن التجديد

ظل مشروطا بضوابط التقليد وثوابت ما هو مرسوم وراسخ في الذاكرة الفنية الجمعية (٤٩) .

في الشكل والمضمون لا تختلف حركة « البعث » الشعرية عند البارودي وشوقي وحافظ ابراهيم في مصر ، والرصافي والزهاوي في العراق ، ونظرائهم في اقطار عربية اخرى ، عن حركة الاصلاح عامة . ان مقصدها ومحتواها وحوافزها واحدة ، والخط الفكري الذي ساد عند رواد الاصلاح الفكري ذاته الذي كان يوجه شعر النهضة والتنمية التي اتخذتها الحركة تدل عليها . فالنهضة هنا ، تعني الوقوف من كبوة أو سقطة ، هي التي عاشها الشعر العربي عهد الانحطاط ، ومن هذا المقام تتخذ الكلمة مدلولا سياسيا اكثر منه فنيا ، كما تحيل على الانتاج الشعري المصنوع والمليء بالزخارف اللفظية ، المثقل بالمحسنات البديعية التي آل اليها طموح شعراء ذلك الزمان .

وكما في الحركة السلفية التي ارادت اعادة تأسيس المجتمع العربي الإسلامي على نموذج السلف الصالح ، فان البحث يقصد به استعادة نموذج الشعر « الصالح » ايضا ، اي شعر الشعراء الفحول (٥٠) ، من الجاهلية الى القرن الثالث الهجري ، فالتجديد يعني حركة باتجاه الوراء وليس حيال وصوب المكان والان ، والامر يتعلق بـ « احياء التقاليد الشعرية للعصر الذهبي » ، أو هكذا يتحدث نقاد الادب الوصفيون ، ومن المفارقة ان النموذج المحتذى يظل متفوقا وجديدا ، اصيلا بالنسبة لزمانه اكثر من المادة التي لا فضل لها الا محاكاة القديم « وانك مهما قلدت العرب فلن تأتي بخير مما جاؤوا به »(٥١) ، وما اعتقد أنه تجديد عند شوقي(٥٢) ، وحافظ ابراهيم ، لم يعد ان يكون حلية لفظية وتنميقا صوريا أو تحصيلا مرئيا لمواضيع « مبذولة على الطريق » ، والا فان ما يسمى بالشعر الاجتماعي عند حافظ ابراهيم ليس سوى غرض ينضاف الى اغراض اخرى ، ونبرته التعليمية ـ الوعظية تزيد في اعباء كاهله الفني(٥٣) .

بأنه تكريس رتابة التراث الادبي ، وتعطيل آخر ، لامكان انطلاق التجديد المطلوب ، شديد الصلة بمناخ السياسة والاجتماع واغراقهما في عنف الثبات . فالتجديد مغامرة واقتحام لمجهول ، ولكن من سيغامر وورا،ه تراث باهر ، والشعر ديوان العرب ، وفيه كل الكمال . هذا ما سيجعل المحاولات التي ستتلو حركة شعر النهضة وجله اقرب الى المثال الموجود منها الى مثال يراد ايجاده ، واميل الى المحافظة على القالب والدلالات المرعية منها الى اصطناع قالب منفلت عن التقليد . اجل انه حصار التقليد لم يكن هينا ومع ذلك ففي شعر مدرسة الديوان والمهجر تلمح التمرد اللصيق بواقع يتغير ، وثقافة تزاحم الثقافة الموروثة ، وانزياح تدريجي للقاموس الشعري المبعوث . قد كانت ملامح نهضة الشعر ، فعلا ، تبدأ من هنا . واذا كان شعر مدرسة الديوان ذا خطوة فنية كبيرة ، فان بعض الافكار والتأملات التي ابدتها هذه المدرسة حول مفهوم الشعر وطبيعة القصيدة والفن الشعري ، والتي كانت في اغلبها عالة على نشار من الثقافة الادبية الانكليزية ، اسهمت في تهيئة المواهب والنفوس لضرورات التجديد ، ولإعداد مناخه الفني ، فيما كانت مدرسة المهجر ، التي لا تجمعها في الواقع سوى صفة الهجرة (وهي مسألة موضوع لا فن) ، والتيار الشعري الرومانسي يفك قيود التجربة الابداعية من اسار « الموضوعاتية » فيكون تحرر الذات وتعبيرها عن مواجدها ، حيرتها ، وصبواتها ، جزءا من رغبة التحرر الشاملة في الحياة والثقافة والادب — ان النزعة الذاتية الرومانسية . كما ظهرت ، على رخاوتها واسفافها ، كانت عنفا نقيضا ، حيويا ومحتدا ، ضد عنف طال امده ، رغم ان اسس وجوده كانت قد شرعت تتهاوى .

زمن « الآخر » او صدام الخارج :

اننا في استقصائنا لطبيعة ومقولات حركة الفكر والابداع العربية عن العائق التاريخي ، الثوابت التي ارست تراثا ، والضوابط التي نظمت استمراريته ، ثم الكوابح التي جعلت وتجعل هذا التراث ، بمنطقه .

وقوانينه ، وذهنيته ؛ يواصل عنفه ضد حرية الحاضر المغلبة ، وامكانية التجديد الهامشية والمهمشة بتواطؤ وتعاضد السلطة الفكرية ـ السياسية ـ في استقصائنا هذا اعتمدنا الاطار الداخلي الذي يخصنا ، وبقينا متوافقين مع الامكانات والمثبطات في ارتكازها العمودي . والصحيح ان ما حدث ويحدث . على صعيد بنيات التفكير والابداع ، وبناء المجتمع وهيكله الدولة ، لم يكن ابدا خاضعا لديناميكيته الداخلية فقط ، ولا ذا بعد واحد ابدا . فعقيدة العرب التي جعلتهم يتصدرون العالم فترة اتجهت الى الخارج لتنتشر ، ويصبح وجودها معترفا به حضاريا وتاريخيا . ونهضة العرب الفكرية التي حققوها في فترة مجدهم الذهبي نجمت عن التفاعل مع اقوام اخرى بالترجمة والاقتباس والتدوين وحين بدات اركان الخلافة العباسية تتهاوى فان التحرش الخارجي هو ما سيوقعها صريعة التفكك التدريجي لتذهب ريح الامبراطورية العربية ، ومع سيطرة الباب العالي سيكون الداخل قد توارى كليسة مترديا تحت ضربات الخارج وهيمنته . بيد ان الخلافة العثمانية . رغم هيمنتها ، لم تكن تمثل واقع احتلال خارجي ، لانها جزء من الجسد الاسلامي ، والاسلام عضو اساسي في تكوينها ، ومن ثم فان عنفها يمكن ان يعزى الى الداخل ، يلحق بالكيان الذاتي ـ العربي ـ الاسلامي . صحيح ان الاتراك اضطهدوا الثقافة العربية ، وآلت اليهم ، او الى اتباعهم السيادة السياسية من دون العرب. ولكنهم كانوا ينطقون باسم الشرق ، او باسم كتلة بشرية ـ جغرافية شاسعة ، وذلك في مواجهة القوة الغربية ، المدينية نعم . ولكن كمسيحية تواجه الاسلام (٥٤) .

ان الاستعمار هو ما سيهز المشرق والمغرب ، على السواء ، ويخلخل التوازن المختل ، اساسا ، والمسكوت عنه ، فهو يتقدم ويتبلور كظاهرة خارجية ، بادوات اقتحامها الجديدة ، ونواياها للهيمنة المعرفية والمادية المباشرة . واخطر ما في الامر انه ياتي ليغـزو حضارة الشرق المتبـدة

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

والعتيقة ، التي تمثل خاصة اساسية من تاريخ البشرية . ان الوقوع تحت هيمنة العثمانيين لم يكن له وقع الكارثة ، والاحساس بنوع من الاضطهاد الثقافي واللغوي كان مأمولا تجاوزه .

ان الاستعمار يأتي ليضع حدا وفاصلا نهائيا بين تاريخين ، فهو سيفصل المشرق والمغرب ، ايضا . عن تاريخهما ، كما سيفصله عن التاريخ الحاضر . في العملية الاولى سيشعره بأن كل تاريخه وتراثه بات عاجزا عن الاستمرار في الزمن ، ما دام غير قادر على مواجهة التحدي المسلط عليه ، وفي العملية الثانية سيطرحه في العراء ، وقد ضاعت منه اليقينيات السابقة ، وليس بين يديه ما يدافع به عن تاريخه امام العنف الوافد من الخارج ــ ان التخلف ليس مقولة ذاتية ، بل هو وضعية اجتماعية ــ اقتصادية بأبعادها الثقافية (٥٥) ، واخطر عنف مارسه الاستعمار هو خلقه ودفعه للاحساس بوضعية التخلف هذه . وهو حال لا يخص العرب وحدهم ، كما انه لا يخص ثقافتهم وتراثهم بمفرده بل هو ما سرى على الشعوب والحضارات القديمة ، في اغلبها والتي بات عليها ان تقترب في زمن المدنية الحديثة ، انه عنف الشرخ التاريخي ، وهي ، ولا شك ، وضعية مأساوية بالنسبة لهذه الشعوب لان الامر لا يخص احتلال الارض فقط ، ولا فرض السلطة السياسية الخارجية ، وحدها ولكن نزع السيادة الحضارية ، باسم حضارة مغايرة . فهل كان العرب قد انهاروا ، فعلا ، أم ان رصيدهم وتغانيهم في الاعتداد بتراثهم كان قادرا على « حمايتهم » من مد « المدنية الحديثة القادرة ، والكاسحة » (٥٦) ؟ .

الاجابة عن هذا السؤال يمكن ان تأخذ منحى آخر ، من خلال مواصلتنا استقصاء الظواهر الناجمة عن ما اسميناه **بالشرخ التاريخي** ، ومن بينها الكيفية التي تم بها التماس مع الحداثة ، أو على الاقل نموذج التحديث الذي يقدمه الغرب الزاحف . قبل القول بالتحصيل لهذا التحديث ، مما يعتبر احدى اكبر المعضلات (٥٧) ، انه لمن نافلة القول،

اليوم ذكر اننا دخلنا العصر الحديث من باب الاستعمار ، ولكن ما يعد اليوم كذلك أقرب الى البداهة كان بالامس شبه استحالة ، لان الاستعمار الذي جاء يطرح أو يفرض بالاحرى نموذجه وصل معززا بجيوشه وعتاده الحربي الحديث الذي لم يملك امامه المستضعفون في الارض من العرب الا الاستسلام نقول الاستسلام المادي وليس الروحي ، والروح عند المسلمين من أمر ربها وهي اشد غموضا وأكثر تعقيدا من ان تستسلم للضربة الاولى ــ هذه الروح مشبعة بماضيها ، ولا ترى جدة غير التي يمكن أن يحتويها تراثها . من هنا يأتي عنف التحديث الذي يريد ممارسة وجوده بادوات حضارة اخرى ، ولكن الرفض ليس هو الموقف الوحيد، فثمة قوى وحساسيات جديدة تتململ في الواقع وتسعى للاستجابة لا لانها قبلت واستسلمت لعنف مفروض ، ولكن لاحساسها ان ليس من سبيل للتصدي والبعث والنهوض الا باستلام امكانيات الاخر ، فيما يخلق تيار التحديث نقيضه ، والامر ليس مفارقة ولكنه الاستجابة للتحدي بمقولة الخصوصية والاصالة المنوه بها سابقا ــ ان السلفية والحالة هذه ، هي تحدي للتحدي ، ولكن هذا لا يحول بينها وبين التواصل مع الزمن المحدث ، اذ الهيمنة تحفز على التجديد ، بشكل ما لكن على الشكل ان لا يتعارض مع المضمون لان هذا اعنف في قدراته ، وادعى لان يعمم رفضه ، ولكن كان هناك خيار حقا ، ان العنف الاستعماري كان من القوة بدرجة لا تسمح للصروح المتآكلة من الصمود ، وادوات ومظاهر الجاذبية امام واقع من الركود والرتابة وغياب كل أبداع كان لها اغراؤها الكافي ؛ هذا الاغراء القسري . من هنا سينتج العرب احد القوانين الاساسية في منهج التعامل مع الغرب ومدنيته الحديثة . ومن العجيب ان هذا القانون ستلتقي حوله ، تقريبا التيارات الفكرية النهضوية ، بين اصلاحية وتحديثية وتقنوية ، ووضعية(٥٨) ، بل ومنها ، ايضا . تلك التي ستجنح الى استعارة الماركسية ، والتحليل المادي للتاريخ . كل ذلك رغم تضارب

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحتوى بالمعرفي لكل تيار والمنحى الايديولوجي المختص به . ولكن رغم التضارب وتشتت المحتويات والمنحى . وتناقضها مع الجذر المعرفي الذي تنطلق منه ، فان القانون واحد وهو : **فصل الشكل عن المضمون ، ونحن نرى ان هذه الصيغة هي التي تحكمت في الفكر العربي منذ بداية نهضته الى فترة متاخرة دون ان تنزاح لتخلي المكان لقانون جديد ، وان وجد ما يزاحمها** رغم ان وجوده مايزال يتعثر لان هيمنة الصيغة واقطاعيتها النظرية ، تأبيا الا ان تجذبه لمجالها . وحين يقال بأن الفكر العربي عجز عبر مراحل التكون الجديد والمثاقفات المختلفة التي مر بها (٥٩) . ان ينتج جهازه النظري المستقل سواء من وحي معرفته الاصلية او بالاتصال بمعرفة ثانية ، وضمن مخاض التغيير العام الذي اعترى ويعتري **الوجود العربي** ، فلانه ، في الحقيقة ، كان محكوما بقانون الفصل بين عنفه الذاتي ، عنف مضمونه ، وبين مد معانقة الشكل الموضوعي ، اي اللا - ذاتي ، وهذا ما جعل التلفيق الذي نسميه تهذيبا بـ « الانتقائية » احدى خصائصه الاولى . وما يعتقد أنه تغيير ، مس العلاقة بين زمنين متضاربين ، وما يدرك ، وهما ، بأنه تطور في المفاهيم ، وتعميق للمدارك ، أو بهذه العبارة المضخمة تأسيس للحداثة العربية المعاصرة ، ليس كذلك الا مظهر الانفصال آخر بين الشكل والمضمون .

ففي الديمقراطية اعتقد ان استعارة الشكل البرلماني ، وهو وهم لطفي السيد ، والمؤسسات ذات الطبيعة الدستورية كاف لاقرارها ، ولجلب المناخ الليبرالي مع جملة من الاجراءات ذات الوجه الشكلي بطبيعة الحال ، وحين جاء من سموا انفسهم بـ « اليساريين » بفصائلهم المختلفة اعتبروا ان صياغة جمل تقريرية ذات نكهة « ثورية » ، والقيام بخلخلة حذرة ومترددة للبينات التحتية هو ما سيقيم دعائم المجتمع الجديد ، الناهض ، التقدمي (كذا) ، وهو شكل آخر . فيما تظل الديمقراطية كمضمون اصلي يتحكم او ينبغي ان يتحكم في هذا الشكل ،

او ما يسمى في المصطلح السياسي ـ النضالي ـ بـ « الممارسة » محتجبا ، وكانما كانت مهمة رواد الفكر والاجتماع والسياسة من العرب المحدثين هي حجب الحقيقة وتزويرها ، احيانا ، دون فعل مقصود (٦٠) واستعارة التقنية ، وما كان في اساس تمدن المجتمع الغربي ، اعتبر لدى سلامة موسى بمثابة المفتاح السحري لاطلاع العرب على الكنوز المرصودة في الغيب(٦١). ان رجل التقنية Le technophile هذا ، كما سماه عبد الله العروي (٦٢) ، لم يذهب ابعد من ارنبة انفه ، هيمنت عليه النزعة الميكانيكية غافلا عن جدول التطور الذي حدث في الغرب ، فالآلة التي تعمل بالنجار هي شكل ومضمون في الان عينة ، والاختراع المادي هو جزء من التجربة الفكرية ـ العقلانية التي عاشها ويعيشها الغرب .

ولا يعوزنا المزيد من الامثلة اذا ما سعينا الى اثبات ملاحظتنا ولكننا نؤثر ، ان نشير سريعا الى وجود نزعة للتجريد طاغية عند مفكرينا وروادنا المحدثين ، وحتى المتاخرين منهم ، وربما كانت ، في اساس القانون المشار اليه . انها تحفر فصل العلة والمعلول ، وانما يعز على اصحابها ادراك جدل الاشياء ، او لأن هذا الادراك قد يؤدي اما الى التيه او الى المراجعة الحقيقية ، الجذرية والشاملة لكن هذا المسلك اذا ما صح سيكون من شانه اليقينيات ، ونعني القداسة عن التراث ، والانقلاب على المضمون المهيمن بدل الخضوع له ، وانجاز نقد معرفي جذري ومتمحض في الهوية الثقافية العربية الحديثة والمعاصرة على هدي من مكتسبات الماضي ، وعيوبه وانجازات الحاضر ومتطلباته .

هكذا يظل الشكل تجريدا للعلاقة ، وقمعا للمفهوم بالابقاء عليه كما هو ، واعطائه سموا برانيا فيما الحقائق مترحلة ،، والمادة الخام تصقل من الخارج والعتة تاكلها من الداخل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المضمون الكابح والشكل الكسيح :

ان منهج استعارة التقنية هو الذي نجده سيسري على صعيد التعاطي الاول الذي تم مع الاجناس الادبية الحديثة ، وإذا كنا لا نريد تفصيل القول او استباق الحديث عن هذه القضية بالذات لكونها لاحقة ، فاننا مع ذلك ، نسارع الى ابداء رأي اولي نرجو ان نفصل فيه في مكانه من هذا الموضوع .

سننصرف عن ما اذا كانت للعرب تقاليد خبرية ، قصصية وروائية، او ان القصة القصيرة والرواية لم تكن غريبة عليهم البتة ، لان الخوض في شأن كهذا لن يكون الا مجلب سجال لا طائل من ورائه (٦٣) ، ولكننا نلتقط منه شيئا واحدا فقط هو مكمن الخلل في تقديرنا ، اي هو الذي بتحكيمه اعتبر هذان الجنسان الادبيان مجرد شكل فني خارجي تطلب حشوه بالمادة التي يحتاج . ان العلاقة بين الدال والمدلول ، التي هي جذر راسخ في تكوين العمل الفني لم تكن واضحة ، وما هو الشكل ؟ انه مجرد تعريفات للاقصوصة والرواية بين موبسان ودستويفسكي ، بين ادغار الان بو وبلزاك (اننا نقوم بهذا الخلط عمدا) . وللاقصوصة بداية ووسط ونهاية ، وهي خاضعة لحبكة معينة ولخطة تنوير ، وللرواية ، بدورها ، ما تشاء من التعريفات ، بين القطاع الطولي وتعدد الشخصيات والمصائر والعناصر الوصفية ، والسردية والحوارية الخ ... لكن هذه التوصيفات ، جميعا ، لو اردنا ان نعتمدها وقد سقناها على هذا الوجه من الاضطراب ، ليست ولا يمكن ان تكون برقعا خارجيا (٦٤) ، وعند رواد التحديث الادبي العربي ظهرت طرية ومضى عليها مدى طويل لا ينمو عودها لان المضمون كان وظل سابقا عليها ولان عنف الموضوع وليس الرؤيا (٦٥) . هو ما تحكم في نسجها ، ومن هذا الاعتباط في التقويم الذي نسميه نشأة ثم بحثا عن التطور وتعثرا لخطوات الفن القصصي وهو الكامن

في الاعتباط الاصلي القائم على استيراد الشكل وتعبئته بالمضمون المحلي عدا ان هذا المضمون ينزل بكل ثقله ويكتم انفاس الصياغة الفنية التي لا بد لها ان تتدخل في انتقاء مادتها وتصفيتها من شوائب ما هو «مبذول على الطريق » وبتصنيف المرئي وحجر المادة الكفيلة بالانضواء في شكل يتلاءم معها وهو يوجهها كما توجهه لتتحقق الحامية الجمالية التي هي شكل ومضمون معا(٦٦) .

مرة اخرى لا بد ان يخيلنا هذا السياق الى مسألة الانقطاع والقطيعة والقطيعة المنوه بها سابقا في منهج ونظام الفكر العربي الحديث والتي تستدعي نفسها بالحاح ايضا من اجل مقاربة نشاة الاجناس الادبية الحديثة عند العرب واذا كان لا يتهيا لنا معالجة هذه القضية مستقلة اذ فضلا عن شساعتها تتطلب معالجة تطبيقية موسعة يحتاج اليها النقد الادبي العربي من اجل تقويم اكثر دقة واشد عمقا لظاهرة التحديث عندنا والتي كثيرا ما تعالج كما اسلفنا الذكر بكثير بداهة في حين انها احدى الاشكاليات الكبرى في ادبنا .

لا يمنعنا هذا من اقتراب اولي من مسالية القطيعة والانقطاع ، وسوق ملاحظات ومساءلات اولية ، ربما كانت توطئة لموضوع لا بد ان يطرق :

ــ ما هو الجهاز النظري المعرفي الذي تولدت به اولا التجربة الادبية الحديثة عند العرب وتغتني به ومعه ثانيا وقد تشكل واكتمل اهابه فتحددت بنياته وتراتبت كما وصفت محتوياته وصيغت رؤاه المتعددة المستفردة والوحيدة ؟

ــ وهل بالفعل يوجد هذا الاطار على وجه التحقق ــ نعني الجهاز وليس على سبيل الافتراض لان هذه التجربة الابداعية وهي مصروفة في الانواع الادبية المختلفة ومصبوبة في قوالب الفن الموروث والمكتسب لا بد وان تكون قد انتجت انساقها الفكرية ونظامها ومنظوماتها الرؤيوية وان لم تكن قد فعلت فمعنى هذا ان ثمة خللا ما وان هذه التجربة بنت الاعتباط اي ان الادب وكذا المنظور هو تلك الشذرات من القص ، والشعر والتجارب المرتكبة اما تعشش في تيه وحدة الكاتب المفردة او تقطنها الكائنات والاشياء اتفاقا وبعيدا عن الادبية(٦٧) ؟ .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

ـ وفي هذه الحالة فما هو الخلل وهل نلصقه بما يتفق على تسميته بـ « الذاتي » و « الموضوعي » . وعندئذ يتم استدعاء الاطار التاريخي والإحالة السوسيو ـ ثقافية ، او تدرس وضعية المبدع وعلاقته بالاطار المذكور او يدرس النص في حدوده التكوينية وربما بدا الامر هنا ، وكأنه مطروح لخيار المناهج ولكن هذه المناهج نفسها احدى المظاهر المستعصية والتي لها ارتباط مكين بوجود النظام او غيابه تجدد الانساق الفكرية والاستطيقية او شيوع الاعتباط (٦٨) وحتى الان . فان قضية المنهج في الدراسات الادبية تظل واردة وكأنما هي مسالة مزاج اي قضية شكلية برقعية بحتة ، وكأن الاعتباطية في متن التجربة تتناسل في المتن النقدي المزعوم ؟

ـ الا يعزى ذلك كله الى ان التجربة الادبية الحديثة وعلى الخصوص المتن الادبي الذي انطلق ينشد البعث او النهضة الى سنوات قريبة ، كان فيه من التشوش والتعثر في فهم مناخ الجدة التي اراد ان يقتحم بما يجعله يتأهل لتحقيق مطلبه التجديدي ، وعقدة ذلك انه توهم التحديث ولم ينغمر فيه ، والتمس بعض عناصره ، فكان له منها الزبد . ولكن الذي حدث ، بعد ذلك اعتى اذ عوض تحقيق طموح القطيعة التي تأتي نتيجة تمثل كامل لحصيلة التراث الادبية ووعي بامكاناته وحدوده ، وقدرة على انتقادها بممارسة ابداعية متجاوزة ، انصرف هذا المتن الى ضرب من التوقيع ، شابكا القديم والمستجد في نسيج مقتطع وواضعا تجربة الابداع على سرير بروكست(٦٩) او ليس الانقطاع ، في النهاية وهو مؤقت ،بالطبع، معناه السمة الغالبة على افق هذه التجربة .

ـ ويصح لنا ان نقف متسائلين ، على خطى رصد وملاحظة التشوش امام هذا التجاوز العجيب والهجين الذي تعيشه الاجناس الادبية الحديثة مع انماط واساليب التعبير الكلاسيكية ، بل وكيف نشهد استمرار تجاوز ما يمثل اليوم النضج في المتن الابداعي العربي . شعرا ونثرا ، مع ما كان بالامس بدائيا قلقا ، غير مقنع في شيء وبعبارة ادق ، ما الذي يجعلنا في مناخ ادبي واحد ، قصة قصيرة مكتوبة على نمط قصص محمود تيمور

او عيسى عبيد أو عبد الرحمن الفاسي جنبا الى جنب مع نماذج اخرى منسوجة على طريقة ابراهيم اصلان او محمد زفزاف او وليد اخلاصي ، والامر لا يخص هنا ، التعايش او الساكن في الاذواق والتيارات والامزجة الفنية في المناخ الثقافي الواحد ، ولكن يعود الى التباس مفهوم التحديث بدءا عند الرواد المجددين العرب . ثم الى التداخل والسيادة التي لعنف التراث على مؤهلات الحاضر (٧٠) ؟ .

لو توقفنا عند هذه المساءلات ، وحدها الآن فان بين أيدينا عناصر عديدة تغذيها ، وتوطد من الحيرة التي حصرنا ، اذن لتبين لنا مظهر جديد من العنف اللا متوازن بين قطيعة وهمية هي الانقطاع ، والقطيعة الحقيقية المؤجلة .. وليست القفزات المعمورة بالثغرات والاختلالات في النظـرة والمنهج على كل حال ، هي يمكن أن تحقق سداد التحول .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من اشكاليات الابداع العربي الحديث :

الوقوف عند تجليات الكتابة العربية الحديثة يمكن ان تعتمد على ما يقوم في اساسها ، على مفاهيم سابقة واخرى لاحقة لم نتطرق اليها،والتي يمكن أن تمثل قوانين امست مستقرة ، هي بمثابة الوحدات النقديـة التي تستقرأ وتدفع بها تجربة الادب العربي في مغامرة التحديث لنسم هذه المغامرة بالبحث عن الابداع . وككل بحث فلا بد أن تكون له دوافعه ومرتكزاته ، واحيانا نجد الاثنين معا ، يشكلان محورا واحـدا ، هو في النهاية ما يكون ماهية هذا الابداع .

وإن من يمتلك اطلاعا ، ولو محدودا على المتن الادبي الحديث مـن العرب ، في اقطار مختلفة (٧١) ، وبين عقود متباينة ، سيجد ان ثمـة نزوعين اساسيين يتجاذبان هذا المتن ،ويتدافعان فيه التدافع المزدحم ، والمتنافس ، والذي به يتغذى هذا النص ويتكون .

المنزع الاول جمالي : يخص بنية الكتابة ، لغتها واسلوبيتها ، صفاؤها التخيلي وخصائصها التعبيرية . وبالطبع فان قاموس التوصيف النقدي وبخصوص هذا المنزع ليست محدودة أو يمكن حصرها بضربة لازب لأنها، وبالاساس ، مقترنة بجنس الكتابة من نحو ، وبالامكانات الجمالية ذاتها ، التي تفتني بها هذه الكتابة أو تضيعها . وهذا الاقتران ، بدوره يخضع ، من وجه آخر الى منهجية القراءة التي تأخذ بها هذا النص او ذاك .

ولا بد ، ونحن بصدد هذا النزوع ، ان نسجل الملاحظتين التاليتين لرفع التباس قد يطرأ على ذهن القارىء او ربما استفرآب :

اولا : كيف نعتبر الامر خاصية ، والحال ان اي ادب ، غربيا كان او اجنبيا قديما او حديثا ، هو عبارة عن انجاز فني تشترك في صياغته عناصر متفرقة ، تصنع قالبه وتنحت مياسمه ؟ والجواب بداهة ان الامر كذلك ولا غبار عليه لولا ان الادب العربي الحديث وجد نفسه يمتحن بالاطار الجمالي في كليته اي ان وجود هذا الاطار او عدم وجوده ، توفر جملة من العناصر الفنية أو غيابها ، التراوح مثلا في النثر بين اسلوب السجع او الاسلوب المرسل ، استخدام القاموسية الكلاسيكية بحوشيتها وغريبها ، او الكلام الميسور ، الاقرب الى الاذن اليومية ، وفي الشعر بين القصيدة الصارمة في عموديتها ، وقافيتها وبلاغتها ، اذ تمتح من بيئة ولت وازمان خلت ، او القصيدة الاخرى التي بنيتها ، الوزنية الايقاعية ، ووحدتها العضوية ، واستطيقيتها المستمدة في كثير من الشعر الغربي الحديث ، هذا التراوح ، وذلك التلازم او الانقطاع مدماك يحفر على القول بأن النص جزء من بنية التحديث او التقليد ، والخصائص الجمالية ، حينئذ تصبح مقياسا او مقاييس الى جانب كونها مميزات لمتن بذاته .

الثانية : ترتبط بمفهوم الاطار الجمالي في الكتابة العربية الحديثة وحبذا لو توفرت لدينا مرجعيات غنية تجعلنا نطلع على آراء المبدعين

أنفسهم في الكتابة ، أو ما يشبه البيانات الادبية المعهودة والمرافقة لتيارات الادب الغربي وعدا قليلين ، بين متقدمين ومتأخرين ، وهم ندرة ، وخلا الاستجوابات الصحفية التي تضج بخيلاء فضفاضة ونرجسية عارمة ، فان الادباء المحدثين لم يفصحوا عن تجاربهم الفنية، نظريا ، إلا في مناسبات محدودة(٧٢) ، وتكون هذه مجرد ملحوظات لا تتجاوب مع انتاجهم . ومن الحقيقة ايضا ان كثيرين منهم يعانون امية ثقافية مقنعة .

ويبقى الاحتكام الى المتن ، ولا شيء الا المتن وعدا بالعثور على الضالة المفقودة ، اي على الشكل ، وهنا جوهر ملاحظتنا الثانية ، فمرة اخرى لا بد من الاحالة على الموقف الشكلي من الشكل ، والبرقعي او الخارجي الذي لا يتفاعل مع ما قبله ، وما بعده علما بان الشكل يمكن ان يكون هو الكتابة عينها اذا توصل الى بغيته ، اي بان يصبح ماهية . ولكن الوضع هنا مختلف ، مرتهن وليس مشترطا . وبين هذين الحدين تتولد الصيغة المثلى للابداع أو تنعدم ، فلا يكون الشكل في الحالة الاخيرة الا ذلك الرداء الفضفاضي او الضيق ، قد يطول او يقصر يتعدد الوانه وتخطيطاته دون ان يطال ابدا حقيقته .

هكذا فان من معضلات الكتابة العربية الحديثة انها لا تقدم على مدى متتالية متينة هامة وعيا فنيا مكتملا ، ولا اطارا جماليا مدركا بالتناسب مع الاجناس وقواعدها .

النزوع الثاني : الذي تنجذب اليه التجربة الادبية الحديثة ان لم نقل انها تغرق فيه ، ويعتبر العدة فيها ومناط شواغلها وارهاصاتها المختلفةهو **النزوع الاجتماعي او المجتمعي** ، اي أن الادب والحالة هذه يكرس كله او جله لتشميل ما هو في المجتمع ، وان هذا التشميل يقود خطا ، ويرسم حدوده ، ويصنع آفاقه فهو كائن بالمادة الاجتماعية ، وليست هذه كائنة فيه ومنبثقة عنه(٧٣) وسيقال ثانية بأن لا تضيف جديدا او انك كما قالت العرب : ما ترانا نسمع الا معادا من القول مكرورا ففي ادب الامم كلها لابد

ان ينصب الابداع على موضوع . وتجربة الانسان في الواقع وبالواقع ، تجليه ومرتعه ثم ما هو ادب العرب القديم ، من صحارى الجاهلية الى الضفاف الاندلسية سوى التياع العربي بمحيطه وعقيدته، بقبيلته وخليفته وهمومه الخاصة المنفعلة بالهم العام . ان التجربة الادبية لا بد ان تكون حسب هذه الموضوعية موضوعية لها من الدلالات والرموز والعلامات ما يجعلها ملتاعة بالواقع ، ناضجة بسيماته وشفافة . ولكن مهلا ان القصيدة العربية الكلاسيكية منقوعة دائما ، ان لم تكن مصبوبة صبا في التيمة المباشرة (الغرض) والقصيدة التبليغية (الرسالة) والشاعر كان لسان القبيلة والخليفة والجماعة ، هي متمردة . ليس لانه مسكون ، بالضرورة بهم هؤلاء جميعا ، ولكن لان القانون الذي ارساه الواقع للادب هو أن يكون كذلك وعلى كل فبغيتنا ، هنا تقع خارج وأكبر من هذا التوصيف المحدود .

النزوع الاجتماعي الذي يصل الادب العربي الحديث ارتهاني وليس اشتراطيا وحسب ، وبما انه يصل هذه الصفة فهو مفروض على الادب فرضا ، انه حتمية منطلقة وما له ، موضوعه وشكله ورؤياه ، انها هزة عنف المضمون الضاجة التي تسكن اوصال هذا الادب ، وتجعله عارما لا بالاقناع أو بالشفافية ، والاستحداث الذي يسمى ابداعا ، ايضا ، ولكن بالمعمول المباشر ، والغائية الموجهة لا بمعنى المعنى . او بالايحاء الافتتاني الشامل الذي هو جزء من علاقة عضوية ، الماهية الفنية للكتابة ولا يعوزنا اي شيء للتدليل على هذه الهيمنة ، ونزعم أننا صفينا بعضا من الحساب معها في اطروحتنا عن القصة القصيرة بالمغرب (دار العودة بيروت ١٩٨٠) ؛ وكان استخدام المتن القصصي المغربي بحثا في تأسيس جنس ادبي، معتمدا بمفرده ، ونيابة عن متون عربية أخرى لتأطير تجليات هذا الجنس الادبية الحديثة عند العرب ، حتى وجودها لا يكون مكفولا ضرورة، الا باستعارتها تقليدها واقتباسها ، ثم مدى تمثلها ، لاحقا للشكل الادبي الغربي أنما تأسست بمعزل من دلالات الشكل المستعار ، وان الوحدة

العضوية التي تشد عضدها هي التيمة القبلية ، التي تنتج المعنى ، ويراد لها بالضرورة ان تنتج الفن ، وانها الاشكالية ليست هنية بالمرة .

يفكر الشاعر في موضوع قوله وليس في كيفية القول ، في حين ان هذه الاخيرة هي الشعر . ويفكر القاص والروائي في القصة التي سيحكي ، والحدث الذي سيبلور واجمالا العالم الصغير الذي سيقدم ، او اللحظة التي يقتنص ، ولكن معماره هذا العالم والتكنيك والمناورات الغنية لهذا التوصيل اذا كانت لا تغيب عنه بتاتا فهي ليست بالشاغل اللحاح ، واذا لم تأخذ هذه الصفة فلا قصة ثمة ولا رواية بالمعنى الفني .

النزوع المجتمعي او الاجتماعي هو مما يقلب المضمون على الشكل ، ويعتبر الاولى مصدر الادب محتواه وجماليته ، ومن هنا تلك التقويمات الاتفاقية بمدى قرب الادب او بعده عن (كذا) وتعبيره عن (كذا) .. ان اكتساح المضمون انما يستورد عناصر من خارج التجربة الابداعية ويقحمها نشازا في صلب هذه التجربة ، وهذا لا يستقيم لانها ، على كل حال تظل نشازا . والخطاب المقحم على خطاب آخر(٧٤) انما يضيمه دون ان يستطيع تعويضه . وكل ما يحدث هو هجنة ، واخضاع علاقة الدال والمدلول الى الدلالة ، طارئة ومستقلة الوعظ التبشير الايديولوجيا ، التاريخ ، قصدية الاصلاح والنقد الاجتماعي ، التحريض او الثوير الوثائقية والفولكلورية الشعبوية والتمثيل السطحي ، وباختصار انها **الرسالة** (Le message) (٧٥) ، وعلى هؤلاء الكتاب والكتبة المستكتبين أن يكونوا اصحاب رسالة !

لا داعي للدخول في تفاصيل البداهة ، ولا اثارة الجدل العقيم اذ سيقال « الابراج العاجية » ، و« الفن للفن » والنزعة الشكلانية ، وما هو من قبيل تسميات تطلق جزافا وليس لها اي اساس نقدي . ولكي تفلت الادب فعلا ، من هذه الجزافية يتطلب الامر وضع قضايا الادب في سياق البحث عن نظرية للادب العربي الحديث ، عن اسس وعلائق التكوين

للاجناس الادبية وموسيقى الشعر وجماليات الرؤيا ، وقواعد السرد وأركان الفضاء القصصي الروائي وسيميائيات المحكي ومفهوم ووظيفية اللغة في الكتابة .

في هذا السياق نكتفي بطرح جملة مساءلات ، وحصر بعض اشكاليات من ضمن شاغل يأخذ منا كبير اهتمام ، ويخص مفهوم الواقعية في المحكي العربي : الحديث والمعاصر : وان كان الاهتمام ينصرف هنا اولا للمتن الشعري .

في الشعر لنتساءل عن تأثير ووضعيتي النزوعين المنوه بهما في القصيدة العربية الحديثة ، عن حقيقة الانتقال من شعر الاعراض الى ضرب من الشعر المطلق ، او القصيدة لذاتها ، وهل حدث التحرر فعلا أم الامر هو مظهر آخر لخدمة القطيعة .

ـ الشعر دائما بين بحثه وسعيه للتوفيق بين الذاتية والموضوعية في حين ان القضية ليست في هذا المابين وان التوفيق لعبة تلفيقية خارج الموهبة اذ الرؤيا وحدها هي البديل والجامع لكليهما .

القصيدة الحديثة في مواصلة ارتباكها بين النص التراثي المسبق الذي وان اختفى نصا يبقى يتنقل في اعضائها ويعوقها عن الاستقلال برؤياها الخاصة التي تصبح من ضمن الرؤيا العامة للشعر العربي .

ـ مقاربة الحداثة في النص الشعري هل تمت وتتم بالحكم المسبق للتحديث ، وبالتالي فما هي الضرورات الفنية ، وهذه الضرورات عندئذ لابد وان تتفاعل مع بنيات أخرى تتجاذب وتتحرك وتفعل فعلها في الفضاء الادبي .

ـ بين ان يكون الشعر الحديث ثوريا وبين ان تكون القصيدة جزءا من ثورة شاملة ما هي المقولات النقدية التي تصوغ المتن الشعري المعاصر ضمن هذا الفارق الجوهري ؟

ــ التراكم الذي سجلته الحداثة الشعرية حتى الآن ، وبرغم كل المآخذ عليها . هي قطعة من فسيفساء الحداثة العربية ، أولا ، وهي تطوير لحساسيات التعبير المتحولة في واقع يتحول . هي عنف في تعبير الواقع وفي مضمون هذا العنف . فما المسافة الفاضلة بين عنف محتواها ، وعنف عناصرها الحداثية . اي بالتحديد : اين يكمن الصدام الحقيقي للحداثة اذا سلمنا بوجودها ؟

ــ اذا سلمنا ، ايضا ، بالترابط الجدلي بين الادب كجزء من البنية الفوقية وعلائق هذه بالبنية التحتية ، فهل ان هذا الترابط كان دائما على مستوى واحد او مستويات عدة ام ان الواقع يتطور في اتجاه ، وهي تأخذ اتجاها مغايرا ، وبالتالي فان ما يشبه الانفلات الحالي لقصيدة حداثة مطلقة ربما كان يدعو بدوره ، التساؤل عن شعر شعري للشعراء انفسهم وشعر آخر يقول بضرورة مسايرة واقع التحول الاجتماعي البطيء ، او الذي لم يفض بعد الى شيء ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ــ ان المثاقفة هي تاريخين وثقافيتين ، ولغتين ، وبلاغتين ، وفي الشعر تنتج تأثيرها على مستوى بنية اللغة تخصيصا . **والقصيدة العربية الحديثة قصيدة مثاقفة** ، وهكذا هي الحداثة كلها في الادب والفكر الاجتماعي والسياسة بالرغم من كل زخم الموروث في هذه الميادين مجتمعة . لكن ماهي الكيفية التي اعادت المثاقفة انتاج نفسها بها في البنية التعبيرية ؟ اي ماهي المقولات والوسائط والقوانين ان وجدت ، ونحن نطرح غلو المضمون كفرضية سابقة ؟

ــ استمرار المثاقفة في تنمية قصيدة الحداثة ، محلية « شعر » الى آخر التجارب المبعثرة هنا وهناك على من يدل ؟ ترى هل استلاب الواقع تاريخيا واجتماعيا لا يمكن ان يولد سوى هذا الشعر الذي تمارس عليه الثقافة الاجنبية عنف التأثير ، ويظل عاجزا عن ابداعه صدامه الفني الخاص ؟

البحث عن أسئلة أخرى وحصر المزيد من الاشكاليات في سياق النص النثي ومتخذة من لعبة السرد الجدية اهتمامها الوافي هو كذلك احدى اهم القضايا التي ينبغي ان تشكل الباحث منذ السعي لتأصيل جـدي ومكتمل للابداع العربي الحديث والمعاصر .

ان ادراك ورغبة الايفاء بهـذه الغاية يتطلب تلـك القراءة الموسعة ، الشاملة لكن المفردة (المونوغرافية) للنص الحكائي العربي ، وبالذات لهذا النص وهو يعالج العنصر الدرامي ، بالمفهوم الارسطي للكلمة ، وينطوي في الاطر ، واعتمادا على المقومات المحددة لدى ارسطو في بويطيقاه(٧٦) ونحن عندئذ لن نتخلى عن تراث النثر السردي العربي الذي ليس عينة ولكن فيه الحكاية والاخبارية المألوفة لزمن احتوى فضاء مضى ، اي تلمس او لم يتلمس معضلة الوجود ، وكتبة الوجود لسياق ذاتي ـ تاريخي ينطلق من الاخبار والقصص البدائية الاولى المتداولة في مـا يسمى دينيـا بـ « الجاهلية » ليصل في امتداد افقي بالغا ذروته . بالاحرى مبلغه من النمو الذي لا يمكن ان يتجاوزه الى شيء آخر بعده ونعني بذلك النظام النثري المتبلور في « حديث عيسى بن هشام » للمويلحي بين هذين الحدين يمكن البحث عن نظرية او ثوابت لنحو السرد العربي ، من منطلق بداية يصعب الجزم بها . ولكن بنهاية الخلاف حولها لن يكون الا مفتعلا لاننا ازاء نص يمثل اكتمال النمذجة الخبرية التقليدية وتختنق فيه محاولات للانطلاق في افق التحديث السردي .

ARCHIVE

من هذه اللحظة الكتابية ، وامتداداتها استقبالا يصبح من المشروع البحث عن نظرية مغايرة للنثر العربي الجديد ، وعن معانقات اخـرى لحقت هذا النثر وولدت فيه اجابات فريدة من احتواء الذات والتاريخ .

انه طموح كبير بالغ الاهمية ولاشك ، ولكنه ايضا الطموح بعيد المنال مادام النص لم يكتمل بعبارة اخرى نحن نعتبر انفسنا ازاء متن يتكون

وليس متكونا تماما وبهذه الصورة فهو لا يمتلك بعد الوضع النثير الذي تتحدد فيه السمات والخصوصيات (Le statut intelligible) النوعية ، وتنفرد معه ارهاصات فن الحكي، وربما كان الادراك او الاحساس بهذا الغياب احد الاسباب التي تجعل التعاطي النقدي مع المتن الخبري ـ السردي ـ الرؤى . يكاد يقتصر وباغلب الواصفات على المضامين والمحتويات العامة . ولا نقول الدلالات ، ثم تأتي التوصيفات اللاحقة اي ما يحاول سكب تلك المحتويات في اتجاهات مفردة ليس اكثر من محاولة يائسة لوضع وترسيخ ثوابت تلك المضامين .

وامامنا معضلة اخرى تعوق الوصول الى هذا المنال ، وتجعل صوغ النظرية السردية مهمة مؤجلة ، وتكمن في ضرورة وضع اليد على المصادر وفي هذا الباب اذا كان من السهل عادة الرجوع الى المصدر التراثي الاخباري ، ففي الانتاج القصصي ـ الروائي الحديث تولد الجنس (Le genre لنسمه مؤقتا نحن : قناة العبور وثانيا : المسار نفسه الذي اتخذه العبور ، لكي تصل في النهاية الى الطريق المنحو(٧٧) وهذا بالمناسبة سلوك يتجاوز التحقيقية والتأطيرية السوسيو ـ تاريخية رغم ان هذه ليست متيسرة دوما ، خاصة اذا جانبت الطرح المسبق وحاولت اتباع نسق الدلالة L'ordre semantique وليس نسق المحتوى . L'ordre du contenu

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان قراءة السردي العربي المقترح بالصيغة والصيغ العصرية لن تكون ممكنة ومجدية الا اذا تم التمهيد لها ببذر ارضية الاصول والنظر في تداخل الفروع من ناحية والا اذا تم الاقتدار على القيام بعملية « نخل » دقيقة تصفي شوائب اقحام ما هو خارج على المادة الادبية او لكل ما هو عنصر تشويش . وبالنسبة الينا فنحن في بحث مستقل ،لنا(٧٨) اتجاهنا ونلجأ الى اعتبار مصطلح « الواقعية » كتيمة اساس يدور حولها الادب العربي المعاصر كله وبالذات ما اختص فيه بفن الحكي Le recit والتيمة هنا تأخذ دلالتها الفنية المنصهرة اي الواقعية كماهية وليس كمجردمحتوى .

من الواقعية الى ادب الاعلام :

واذا كان هذا المصطلح يصلح في منهج تعامل دقيق او يحاول ان يكون جصيفا مع المحكي العصري ، فاننا نجده من نحو آخر قد استثمر واستنفد الى درجات قصوى لكن في غير مبناه ولا معناه او قل انه تعرض لحالة تبسيطية كاسحة هي احدى اكبر الجنايات على الادب العربي الحديث التي شوهت معالمه ودفعت في اهابه الوليد بالعاهات من كل جانب . اننا ندرك دخولنا هنا في حكم قيمة عارم وهو من القسوة بحيث انه قد لا يغضب فقط الرواد المحدثين والرواد المعاصرين ولكن يغضب ذهنية ثقافية وادبية كاملة تربت في بلادة يسر وتبسيط المفاهيم ومن ضمنها مفهوم الابداع والاخفاق النصي . فالنقد الادبي الحديث العربي هو جزء من تبعات هذه الذهنية التي تعنى بنشر الشاعر وليس بنشر الادب ثم يحلو لها ان تتحدث ومن عجب عن كتابة يراد تسميتها ادب الاعلام لتغطية فشلها النظري ولا اتساقية مقولاتها النقدية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحقيقة انها قضية عجيبة هذه التي تسمى « ادب الاعلام » خاصة اذا كان مفهوم « اعلام عندنا قابلا لشتى التاويلات وليس خاضعا لأوليات التعريف العلمي والتقني وانما يقع في مشاعية التعريفات المبتذلة بما يجعل الاعلام نفسه مشاعية اي شيء واي كلام يطلق على عواهنه هذه الملاذ والذريعة المشجب والمنتج لكل انهيار او اسفاف سواء بالنسبة لاباطيل وذكتاتوريات الكلام السلطوي او الكلام الادبي او الكلام النقدي .

من هنا لابد من ضرورة اقامة حدود الاشياء ، فيبدا السؤال :

ماذا يعني بـ « اعلام » اولا ، ثم ماهي الرسالة او المادة التي يقدمها الاعلام ، ثانيا ، وينبغي ان نتفاهم سلفا بان كل استقصاء في هذا الباب لا ينبغي ان ياخذ في حسابه ضجيج التعريفات الانشائية التي تتحدث عن الاعلام ، وعن لا شيء ، على وجه التحديد ، ان الاعلام علم تقنية ، اما

رسالة الاعلام فكلام يخص حقلا مغايرا قد يكون السياسة او الايديولوجيا او النضال وسواها من القضايا ، وهو شأن مغاير ، ومن هنا فالوحدة والتناسب ، بل والانسجام الذي يقام ، ضمنا بين حقلين لا جامع بينهما وتتحكم فيهما قوانين متمايزة باطل اساسه .

لنحاول ، بدءا ، وتجنبا للخط ، تحديدا بعض المصطلحات ، ولا غنى لنا عن استعارة الاصل الاجنبي، وارسم السياق نسوق ثلاث مصطلحات :

١ ــ mass media والمقابل الشائع للمصطلح بالعربية ، وسائل الاتصال وسائط الاتصال الجماهيري وهذه تشكل كل وسيط يصل الناس بعضهم ببعض بمقتضى التشميل الاعلامي ، او يصل هيئات ومنابر اما اعلامية ــ ثقافية ــ سلطوية بالناس عامة وقصد ابلاغ في معنى معين .

ARCHIVE

وفي العالم العربي ، وبلدان العالم الثالث اجمالا ، من الصعب التحدث عن وسائط الاتصال الجماهيري ، لان هذه الوسائط ، في صورتها المكتملة مرتبطة بمراتب عالية من التطور التكنولوجي واردة اليوم في الغرب والعالم الانكلوسكسوني واليابان ، ولان نسبة الامية مرتفعة عندنا ، او لان هذه الوسائط خاضعة لإحتكارات امتيازية ، نخبوية او طبقية(٧٩) .

٢ ــ Communication والمتاتية من فعل communiquer بالفرنسية ويعني لغة ابلغ(٨٠) واتصل ، وفي صيغة Le pronominal (فعل يصرّف مع ضمير الفاعل) تواصل ، والعربية تعطي للمصطلح معنى الاتصال والاتصالات ، هكذا وعندئذ فانها تصبح جزءا من وظيفية ووسائط الاتصال الجماهيري ثم اداة وصفة لها في آن واحد ، ولنتفق ، نحن على معنى التوصيل الذي يخص مجال الاعلام .

٣ ــ L'information وهي الخبر (نشرة الاخبار في بعض البلدان) وهي الاعلام ، والتوصيل والاتصال ، ووسائط الاتصال الجماهيري وللمعلومات ايضا ، ولاشك فان هناك مميزا بين كل واحد من هذه

التسميات او المصطلحات(٨١) يمكن ان يكون في الدرجة وليس في المحتوى بالضرورة ، وهناك ترابط كلي بين الاخبار والتوصيل ، او الابلاغ ولا يقوم اي واحد منهما دون الاخر(٨٢) ، وهناك اجماع بين عديدين ممن عالجوا نظرية الاعلام (shannon - wcaner) بان الاخبار او الخبر في معناه الستاتيكي الضيق ، وبوصفه امكانية ، لا علاقة له بالمحتوى الحقيقي او الزائف للابداع لنقل للرسالة (Le message) .

هذه ادوات ورموز الاخبار ، وبالفعل ، فانها كلها لا علاقة لها بالرسالة بمحتواها ونوعيتها ، مادامت نظرية الاعلام تتطور من حيث الكم وليس النوع(٨٤) ومن هنا ضرورة ان نفصل ، نحن في التقدير بين المفهوم التقني والاجرائي لما هو اعلامي ، وبين المادة الاعلامية نفسها في بنيتها الايديولوجية ومحتواها المعطى ، واذا ما وجد الميل لجعل الاعلام ، في بعض البلدان اليوم هو الدعاية (La propagande) فالواقع ان لهذه ، بمفردها ، منهجيتها ، تقنيتها وطرائقها المعينة في توصيل رسالتها ، ويكون الاعلام عندئذ واحد من ادواتها وليس هو الرسالة عينها ، وربما كان الخلط الواقع بين الادوات في بلدان العالم الثالث ناجما عن ضعفها ومحدوديتها، في النهاية ففي البلدان المتطورة نجد المستوى المتفوق الذي وصلت اليه الاختراعات التكنولوجية (في ميدان المعلوماتية مثلا (L'informatique) يقدم امكانات عديدة للدعاية والتوصيل ، في الحملات الانتخابية وترويج السلع والافكار والمفاهيم والتحريض والاغراء والتشهير احيانا ، كل ذلك ضمن نمط مجتمع ملائم هو مجتمع الاستهلاك ، فيما تصبح اجهزة الاعلام ومنها الصحيفة في بلداننا في اغلب الاحيان هي الاداة الوحيدة والناجعة للقيام بمهمات مماثلة بل ان الصحيفة الواحدة تصبح المظهر والرمز المتحقق الوحيد لكيان سياسي مفترض باكمله ، او لسلطة مغيبة حين تحول دون وجود سواها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اننا هنا لسنا ازاء فصل بين الشكل والمضمون ، ولكن بين حقلين متمايزين ولكل حقل (champ) قانونه الخاص المعلوم له(٨٦) .

لكن وضمن الوضعية التي عرف بها الاعلام في العالم العربي علينا ان نفترض نوعا من الخصوصية التي تجعله قاصرا على الصحافة ، ثم نفترض ايضا عدم وجود تمايز بين الحقلين المذكورين بحسب السياق السياسي والتاريخي الذي برزت فيه هذه الصحافة والسبل وظفتها فيها ، وعندئذ سنجد ان مهمتي التلقين والترويج هما اركز ما التزمت به ، وكلتا المهمتين تنتعشان بالدور الايديولوجي والتوجيه السياسي المباشر او الضمني في وضعه معطاة متعددة المجالات والمشارب الذهنية والاختصاصات التيمية .

ومن هنا لنحاول أن ندنو الى مقارنة الادب بالصحافة ، ثم مقاربة هذه بالادب ، ولكن نصرح به الان هذه المقاربة لا يمكن ان تكون مكتملة ، وانما مجرد ابتدائية لأنها ، من نحو ، لا تطمع حتى طرح كل الاسئلة الضرورية التي تتطلبها مقاربة من هذا النوع ، لا عن تخوف ، وانما لتشعب الموضوع نفسه ، ووجود حقول عديدة تتداخل فيه ، ولأنها زمن نحو آخر ، تمس قضية معالجتها لا يمكن ان تكون الا تجريبية بسبب عدم انتظام واتساق المصطلح النقدي في مضمار الابداع العربي المعاصر .

لهذا السبب سننتهج مقاربتنا في هذا الموضوع مكتفين بطرح ما نرى ضرورة تلمسه من اشكاليات :

١ ــ اشكالية الاشتراط المتبادل : وتتبلور هذه الاشكالية اول شيء في أن الصحافة عملت على اظهار الادب الحديث ونموه ارتبط من بين عوامل اخرى بالطبع ، الى حد ان تيسير النشر وتطويعه ، اي تخلصه وتخففه من اثقال البلاغة يعود الى الصحافة فضل كبير فيه ، ولقد لعبت كذلك دورا كبيرا في تشييع الادب وتوصيل نماذجه الى عموم القراء بعد ان كان بضاعة مترفة او محدودة التداول .

لكن هذه الخدمة التي اسدتها الصحافة الى الادب ، وتأثيرها عليه وتكييفها له في اكثر من وجه جعلت من نفوذها فيه يصبح قيدا وممارستها داخلها وضمن اطرها تمسي تقييدا ، حتى ولو تبين ان العملية تتم بكيفية اتفاقية ، وبعيدا عن كل اشتراط متعمد او ضمني .

تتجلى عملية الاشتراط المتبادل والتقييد الضمني ، وكمثال واحد فقط ، في ان على الادب ، وهو يمارس وينتج في الحقل الصحفي ، ان يتكيف ، اي ان يكتب حسب شروط وملابسات حقل معطى ، ان كثيرا من الباحثين مثلا ، الحوا على دور الصحيفة في ظهور وتطوير القصة القصيرة ، ولكن على الخصوص في تكوين حجمها(٨٧) والشان نفسه بما يخص ظهور المقالة الادبية الحديثة وتطورها ، وكتابة المذكرات الواقعة بين الخاطرة والملاحظة العينية العابرة ، وهو نوع وليد لم يستقر بعد عندنا ، ولكن عدا هذا التكيف الذي كان له تماس بالنوع في مرحلة اولى نجد الأثر الأبعد ، والذي نلمسه في ما يمكن ان نسميه بـ « تصحيف الادب » والكلمة تحتمل اكثر من معنى ولذلك نحصرها في التبسيط والتسطيح او ما كان عبد القادر المازني يسميه « كتابات عالماشي » ان هذه الكلمات ربما حملت المعنى القدحي ، ولكنها في الان عينه ، تقر بحقيقة ان الادب لا يستطيع ان يدرك عمقه الفكري المطلوب ، وعباره اللفظي المتقن ، وفضاءه التحيلي الرحب ، في حقل من الكتابة تتحكم فيه قوانين غريبة عنه ، ومهمته التوصيل بأدنى الكيفيات ودون وسائط (بلاغة ـ تخيل ـ علامات ادبية ـ مفاهيم) ـ ان الادب ، والحالة هذه بعد ان يتسطح يتشوه .

٢ ـ اشكالية التلقي : هناك بعد اساسي وجد ويوجد دائما في عملية الكتابة ، وحين تتحدث اللسانيات الحديثة اليوم تعتبره مصدرا لاغنى عنه (المرسل اليه) ، انه المتلقي او المستقبل (بكسر الباء) Ledestima taire Le recepteur

ان عملية التلقي باتت لا تخرج عن كيان الكتابة وممارسات النقد الادبي المختلفة الى حد ان هنالك مدرسة مستقلة في سوسيولوجيا الادب

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وقراءته(٨٨) او في الاستطيقا نفسها(٩٨) تأخذها في الاعتبار ، وتبحث العمل الادبي على ضوئها ، ومن اسف ان لا نجد في الدراسات الادبية العربية ما يثير هذا الوضع ويلتفت الى اثره في العملية الابداعية كما في تحديد مستويات النص ومكوناته على ضوء قراءات مختلفة .

ان وضع الادب في حقل الاعلام يثير بالحاح ، بعد المتلقي كما يستدعيه ولكن بطريقة مغايرة منه في النقد الجديد ، الذي هو بدوره ، حقل متمايز ومتشابك المعارف متعدد المناهج ، فالاعلام او لنقل هنا الصحافة العربية تعتمد حدين هما : التشبيع وهذا مرتبط بالاخبار (communication) والادلجة وهي مختصة بالتوظيف ، ومرهونة بالثابت او المبدا الايديولوجي Le dogme وعندئذ ، ولكي تؤدي وظيفتها المركزية التي هي الوصول الى القارىء ، قارىء مطلق ثم قارىء يجري احتواؤه تدريجيا ثم توجيهه ، فانها تعتمد اوليات العالم الاعلامي(٩٠) والمحيط الاجتماعي وخصوصا الايديولوجيا ، فهي اجمالا تنسج خطابا متعدد الاصناف وليس متماثلا الا ظاهريا ، والانسجام الذي يمكن ان يوحي به خطابها ، وتطمح اليه في الان عينه ، يجد تجليه الوحيد على صعيد البنية اللغوية التي تخفي وراءها بطبيعة الحال بنية فكرية ايديولوجية او اكثر وفي حالات كثيرة قد تنجح في بلورة ذهنية تتطابق مع الايديولوجية التي تتحرك وراء خطابها وفي قلبه .

ما يعنينا مباشرة هو اللغة الاعلامية او قاموسها ، وضمن اوليات الاعلام والتي اما يحاول الادب الالتقاء والتفاعل بها ، واما يزج به في معمعها(٩١) وفي كلتا الحالتين ، فان ثمة خاسرا او انه لا يوجد اي خاسر ، لانه في تقديرنا يحدث انتقاء لكل حالة من يخسر الادب ، من يشوه الصحافة ، ومن هو هذا القارىء على وجه التحديد الذي تتجسد به وفيه الخسارة ، وعلى كل فان ثمة خسارة لا بد من حصرها ، ويمكن ان تظل عائمة مادام هناك ايضا من يتحدث عن ادب اعلامي او ادب في الاعلام او يقترح وساطات متعذرة ، مفتعلة ، او مستحيلة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ـ اشكالية الادب العربي المعاصر
(في اطار اشكالية زائفة ومفترضة)

ان مقاربتنا للادب ضمن الحقل الاعلامي لا بد تقودنا الى ادراج موضوع الادب في حقله الاصلي ، ومحاولة نبش كيف تطرح ماهيـة الابداع ومهامه في الادب العربي المعاصر ، وفي المقدمات النظرية الاولى من هذا البحث سعينا الى وضع اليد على ما اعتبرناه مصدر أو مصادر خلل في انجاز ابداع مستقل عن كل توصيف او اقحام من خارج المحيط الذي تتفاعل فيه الكتابة ، واتجهت اسئلتنا في خط وضع واقتراح بعض الاطروحات لادبنا حاولت تخطي ما هو اتفاقي او بدهي .

واننا ندرك ان صيلغة الاسئلة تكون احدى حين تنطق من اشكاليات مرصودة ، وتعبر في العمق ، عند الهموم والاشتراطات المختلفة ، وليدة النزوعات المتضاربة في نصوص شتى او في النص الواحد ، مـن ناحية او عبر المراحل العامة للتطور الادبي ، من ناحية ثانية ، وبالقياس كذلك لما يسمى بالعوامل الموضوعية التي تتحكم في انتاج الادب اي انبثاقـه في المؤسسـة الاجتماعية متعددة الاطر(٩٢) .

المؤسسـة الاعلامية احدى اطـر المؤسسـة الاجتماعية الكبـرى اذا اقتصرنا على انتماء بارز لها يخص التوصيل وصناعة الراي العام . وهي تقوم اجمالا على مبدأ برغماتي ، وعندما ينخرط فيها الادب فلا بد له ان يخضع للمبدأ ذاته ، واذا شذ عن ذلك ، فانه يتعرض لاغتراب مزدوج على أعتبار ان هيمنة الاعلام تعد اغترابا اول له ، ومن العبث او التمويه التفكير في مرحلة اولى في ترتيب للادوار ، وفي مرحلة ثانية التكيف مـع الترتيب بما يخلق تراتبيه ضمنية تتحول في الصحافة الى عرف سائد(٩٣) ان سلوكا من هذا القبيل لن يعمل على مزيد من افسـاد الجو الثقافي والاكثار من الخلط في المفاهيم(٩٤) .

ان السؤال : «ماذا يراد من الاعلام ؟» هو عينه ينتقل الى الادب،دون اي استبصار بالاختلاف العلني والعاري لكلا المضمارين والانتاجين ، وبدل التساؤل عن ماهية الادب يكون الجواب جاهزا من خلال طرح الوظيفية بحيث يلغى السؤال اولا ، ويعوض الفرع الاصل ثانيا ، بعبارة اخرى انه يتم القفز على المقدمات النظرية والتمهيدات الاصلية للبدء من نتائج لم تخضع للمحاكمة العقلية (النقدية) ولا تخضع لها ، لانها مطروحة في حدود احكام قيمة جبرية ، ومن هذا الضرب بعض التعريفات الشائعة للادب والتقسيمات الثنائية التي تنصرف اليها الكتب المدرسية عندنا(٩٥) هذه التعريفات وسواها مما نصادفه في كتب النقد الادبي تعطي الجواب المسبق لسؤال مسكوت عنه « لاي شيء يصلح الادب ؟ » ولعمري ان كان المطلوب هو المنفعة ، ولا مشاحة ان هذا هو المقصود ، فالادب لا يصلح لاي شيء على الاطلاق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعوض ان نستمر في محاولة تفكيك الخلط بين عملية الابداع وعملية التوصيل ومفهوم الرسالة ، في الارتباك بين اصناف الايديولوجية والنوعية النضالية ــ التحريضية ، والابداع في ذاته وفي ماهيته ، وايديولوجيته هو ، لو صح القول ، من صلب انتاج الكتابة ، وكذلك دون ان ننجر الى ما يشبه المماحكة في تهم قد تطالنا عند اولئك الذين لا يفهمون في الادب سوى « ان عليه ، وينبغي ويجب ان يكون في خدمة (كذا) .. الخ .. » .. بدلا من ذلك يكون من الملائم الانصراف الى الاشكالية نفسها في الادب العربي المعاصر ، والتي تريد من الادب ان يكون ادبا ، وان يكون مبلغا ، وهو في اطار التوصيل ، بحيث يدخل في نسيج وسائط الاتصال الجماهيري ،في الاعلام وعامة ولا يفقد هويته ، بحيث يتطابق ويختلف في الآن عينه ... هل هذا ممكن ، وعبر الاشكاليات الثلاثة التي اتينا على حصرها(٩٦) ، مدركين اننا لم نستوف كامل عناصرها هل نستطيع تحديد صيغة لعلاقة او تساكن ممكن بين الادب والاعلام او بين هذا الاخير وأدب ينجبه ، واذا ما التفت القارىء الى مقدماتنا النظرية :

واسئلتنا السابقة (٩٧) فسيجد لا محالة ان الامر ، في الحقيقة يتعلق بالبحث عن الصيغة المستحيلة(٩٨) اما الاداة ، فالمقترح منها حتى الآن هو الواقعية ونعود لنقر مع الناقد المجري الشهير جورج لوكاتش ، وان في سياق مغاير بأن « المسألة تتعلق بالواقعية » فعلا (٩٩) . .

ملحق اعلامي حول مهام الثقافة ومن ضمنها الادب ــ السياسات الثقافية (١٠٠) :

عاش العالم في السنوات الاخيرة تحولات عميقة ، والتقدم في الميدانين العلمي والتقني عدل من مكانة الانسان في العالم ومن طبيعة علاقاته الاجتماعية ، ان التعليم والثقافة اللذين اتسعت دلالتهما ومحمولهما هما ضروريان من اجل نمو اصيل للفرد والمجتمع .

وفي ايامنا هذه ، وبالرغم من ان امكانات الحوار قد تزايدت ، فان على مجموع الامم : ان تتصدى للمشاكل الاقتصاددية الصعبة ، فانعدام المساواة ذاهب صعدا ، والعديد من النزاعات الحادة تهدد السلم والامن .

ولذا فانه من العاجل اليوم واكثر من اي وقت مضى توثيق التكافل بين كافة الامم ، وضمان احترام حق الاخرين والتأكيد على اهمية ممارسة الحريات الاساسية للانسان والشعوب وحقها في تقرير مصائرها ، كما بات مستعجلا اعلان روح « الدفاع عن السلم » عن طريق التعليم والعلم والثقافة .

ومع المؤتمر العالمي للسياسات الثقافية ، المنعقد بمكسيكو فان المجتمع الدولي قرر الاسهام الفعلي في التقريب بين الشعوب ، وبغية تحقيق التفاهم الامثل بين الاغنياء .

لذلك ، وتعبيرا عن الامل في توافر التقاء قريب حول الاهداف الثقافية والروحية للبشرية ، يعتبر المؤتمر :

ـ ان الثقافة في معناها الاكثر اتساعا ، يمكن اعتبارها اليوم بمثابة مجموع السمات المميزة ، المعنوية والمادية ، الثقافية والعاطفية التي تميز مجتمعنا ، او فئة اجتماعية ما ، انها تشمل عدا الفنون والاداب انماط الحياة ، والحقوق الجوهرية للكائن البشري ، ونظم القيم ، والتقاليد والمعتقـدات .

وان الثقافة تعطي للانسان مقـدرة تأمل نفسه بنفسه ، انها هي ما يجعل منا كائنات متميزة بشريا ، عقلانية وناقدة ، وملتزمة مبدئيا ، وبواسطتها نميز القيم ونمارس الاختيارات بواسطتها ، ايضا ، يعبـر الانسـان ، يعي ذاته ، ويتعرف على نفسه كمشروع لم يكتمل ويعيد النظر في منجزاته ذاتها ويبحث دون وهن عن دلالات جديدة ويخلق اعمالا تصعيدية لـه .

وتبعا لذلك فان المؤتمر يصرح علنا بالمبادىء التالية التي ينبغي ان توجه السياسات الثقافية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهويـة الثقافيـة :

١ ـ كل ثقافة تمثل مجموعا من القيم فريدا ولا نظير له ، لانـه بتقاليدها واشكالها التعبيرية يستطيع كل شعب ان يبرز الكيفية الاكثر اكتمالا حضوره في العالم .

٢ ـ ان تأكيد الهوية الثقافية يسهم اذن في تحرير الشعوب ، وخلافا لذلك فان كل شكل للهيمنة يلغي او يفسد هذه الهوية .

٣ ـ ان الهوية الثقافية ثروة حافزة تنمي امكانات تفتح النـوع البشري ، بحفز كل شعب وكل مجموعة على ان تتغذى من ماضيها وان تقطف الثمار الخارجية الملائمة لخصوصياتها ، وان تواصل بهذا مسلسل ابداعها الخاص .

٤ — ان كل الثقافات تنتمي الى التراث المشترك للانسانية والهوية الثقافية لشعب ما تتجدد وتغتني في الاتصال بتقاليد وقيم الشعوب الاخرى ، ان الثقافة حوار ، تبادل للافكار والتجارب وتقدير لقيم وتقاليد أخرى ، اما انحباسها في العزلة فيستنفدها ويفنيها .

٥ — ان العالمي او الكوني لا يمكن ان تطرحه بكيفية مجردة اية ثقافة خصوصية ، انه ينطلق من تجربة كل شعوب العالم ، وهي تؤكد هويتها ، فالهوية الثقافية والتنوع الثقافي ، لا يتجزان .

٦ — ان الخصوصيات الثقافية لتؤهل لالتقاء وتكافل القيم العالمية التي توحد الشعوب وليس العكس والاعتراف بواقع ان الهويات الثقافية المتعددة تتجاوز هنا حيث تتعايش التقاليد المختلفة ليجد في الحقيقة ، جوهر التعددية الثقافية .

ARCHIVE

٧ — والمجتمع الدولي يرى من واجبه السهر على الحفاظ والدفاع عن الهوية الثقافية لكل شعب .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

٨ — هذا كله يلقي على عاتق السياسات الثقافية مسؤولية الحفاظ وتشجيع واغناء الهوية والتراث الثقافي لكل شعب ، واقرار الاحترام والتقدير المطلقين للاقليات الثقافية ولباقي ثقافات العالم ، ان البشرية تنفسخ حين يتم تجاهل او تخريب ثقافة مجموعة معينة .

٩ — ينبغي الاعتراف بالمساواة والكرامة لكل الثقافات وحق كل شعب ، وكل مجموعة ثقافية ، بأن تؤكد ذاتها ، وبان تحافظ وتفرض احترام هويتها الثقافية .

البعد الثقافي للتنمية :

١٠ — تشكل الثقافة بعدا جوهريا لمسلسل النمو وتسهم في دعم الاستقلال والسيادة وهوية الشعوب ، وانه كثيرا ما نظر الى النمو من منظور كمي دون ان يؤخذ في الاعتبار اهمية البعد النوعي ، اي ارضاء

التطلعات الروحية والثقافية للكائن البشري ، ان النمو الاصيل يهدف الى تحقيق العيش الافضل والاستجابة المستمرة للجميع وللفرد في آن واحد .

١١ ــ انه من الضروري انسنة التنمية التي لا بد ان تتخذ كفاية مثلى الفرد مشمولا بكرامته الشخصية ومسؤوليته الاجتماعية ، وتفترض التنمية ان كل فرد وكل شعب يتوفر على امكانية ان يطلع خبريا ويتعلم ويوصل خبرته .

١٢ ــ ولكي تتاح للجميع فرصة صياغة مستقبل امثل من الملائم التكييف المستمر لوتيرة النمو .

١٣ ــ ان اعدادا متزايدة من النساء والرجال يأملون اليوم في تحقيق عالم امثل ، انهم يبحثون ليس فقط عن ارضاء الحاجات الاساسية ولكن ايضا ، تفتح الكائن البشري عيشه في وضع افضل ، وتعايشه في جو التضامن مع كل الشعوب ، ان هدفهم ليس الانتاج ، الربح او الاستهلاك في ذاتــه ، انه تحقيقها الكامل ، الفردي والجماعي والحفاظ على الطبيعة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٤ ــ ان الانسان هو مصدر التنمية ، وهو ايضا هدفها .

١٥ ــكل سياسة ثقافية ينبغي ان تستعيد المعنى العميق والانساني للتنمية . . ان هناك نماذج جديدة تفرض نفسها ؛ وانه لفي ميدان الثقافة والتربية حيث يمكن العثور عليها .

١٦ ــ ان نموا متوازنا لا يمكن ضمانه سوى بادماج المعطيات الثقافية في الاستراتيجيات التــي تهدف الى تحقيقــه ، وبالنتيجــة فان هذه الاستراتيجيات عليها ان تأخذ في الاعتبارات السياق التاريخي الاجتماعي والثقافي لكل مجتمــع .

الثقافة والديمقراطية :

١٧ ــ نجددالمادة ٢٧ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان بأن : « لكل شخص الحق في ان يشارك بحرية ، في الحياة الثقافية للمجتمع ، وان يتمتع بالفنون وان يسهم في التقدم العلمي والمنافع التي تنتج عن هذا » وان على الدول ان تتخذ كل الاجراءات الضرورية لبلوغ هذا الهدف .

١٨ ــ ان الثقافة تنبثق من المجموعة البشرية كلها والى هذه ينبغي ان تعود : وليس لانتاج الثقافة ولا منافعها ان تكون حكرا على النخب ؛ ان الديمقراطية الثقافية تستند الى المشاركة الاوسع للفرد وللمجتمع في مسلسل خلق المنافع الثقافية والقرارات التي تخص الحياة الثقافية ، والشيء نفسه بخصوص التمتع بالثقافة .

١٩ ــ ينبغي تحقيق لا مركزية الحياة الثقافية على الصعيدين الجغرافي والاداري ، وذلك بالسهر على ان تكون المؤسسات المسؤولة حسنة الاطلاع على الاولويات والاختيارات وحاجات المجتمع في ميدان الثقافة ، انه من المهم ، اذن مضاعفة فرص الحوار بين السكان والمنظمات الثقافية .

٢٠ ــ ان الامر يعتمد على فتح سبل جديدة امام الديمقراطية ، وذلك بضمان التكافؤ في الفرص في ميداني التعليم والثقافة .

٢١ ــ ان ديمقراطية الثقافة تستلزم قبل كل شيء لا مركزية فرص الوصول الى المتع والفنون ، ان سياسة ثقافية ديمقراطية لمن شأنها ان تؤهل مجموع السكان للاستمتاع بالاعمال الفنية الكبرى .

٢٢ ــ ومن أجل ضمان مساهمة كل الافراد في الحياة الثقافية يجب القضاء على اللا مساواة المتأتية اصلا من الموقع الاجتماعي ، ومن التعليم والجنسية ، والسن واللغة والجنس (ذكورة أو أنوثة) والمعتقدات الدينية، والصحة والانتماء الى مجموعات عرقية ، اقلية او هامشية .

التـراث الثقـافي :

٢٣ ـ ان التراث الثقافي لشعب ما يجد مجاله الاوسع في اعمال فنانيه ، ومعمارييه ، وموسيقييه ، وكتابه وعلمائه ، وكذا في الابداعات المجهولة ، المنبثقة من الروح الشعبية ، ومن مجموع القيم التي تعطي معنى للحياة ، بانه يتضمن الاعمال المادية وغير المادية التي تعبر عن ابداعية هذا الشعب : اللغة ، الشعائر ، المعتقدات ، الاماكن والمعالم التاريخية ، الادب ، الاثار الفنية ، الوثائق والمكتبات .

٢٤ ـ ولكل شعب الحق والواجب في الدفاع والحفاظ على تراثه الثقافي ، بالنظر الى ان المجتمعات تجد هويتها في القيم التي هي منبع تطلع خلاق بالنسبة اليها .

٢٥ ـ ان الموروث الثقافي كثيراً ما تعرض للضرر او التخريب بسبب الاهمال ، وكذا نتيجة العامل العمراني (التوسع الحضري) والتصنيع وتسرب التكنولوجيا ، ولكن ما ليس مقبولا ابدا هو المساس الذي يلحق بالتراث الثقافي على يد الاستعمار ، والنزاعات المسلحة والاحتلال الاجنبي والقيم المفروضة من الخارج ، ان كل هذه الافعال تمكنهم في قطع الصلات التي توحد الشعوب وتجمعها بماضيها تمحو هذا الماضي من ذاكرتها ، وان الحفاظ على موروثها وتقييمه هو ما يسمح لهذه الشعوب بالدفاع عن سيادتها وعن استقلالها ، وهو ايضا ما يؤكد ويسمح بانبعاث هويتها الثقافيـة .

٢٦ ـ اناستعادة كثير من البلدان الام للاثار والاعمال التي نهبت منها هو مبدا جوهري في العلاقات بين الشعوب . وفي هذا الصدد فان الامكانات المتوفرة ، من قبل الاتفاقات والمقررات الدولية الموجودة يمكن تقويتها للزيادة من فعاليتها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الابـداع الفنـي والثقـافي :

٢٧ ــ ان تحرر الثقافـة لا يتجزأ شـأنه شأن اسـتقلال الشعوب وحرية الافراد ، ان حرية الراي والتعبير ضرورية للنشـاط الابداعي للفنـان والمثقف .

٢٨ ــ انه من الضروري خلق الشروط الاجتماعية والثقافية الملائمة لتسهيل وحفز وضمان الابداع الفني والثقافي ، دون اي تمييز ذي طابـع سياسي ، ايديولوجي اقتصادي واجتماعي .

٢٩ ــ ان التنمية وتطوير التربية الفنية تفترضان ليس فقط اعداد البرامج الخصوصية الكفيلة بايقاظ الحساسية الفنية ومسايرة الجماعات او مؤسسـات الابداع والتوزيع ولكن ايضا ، انعاش الانشطة التي من شأنها تنبيه الراي العام الى الاهمية الاجتماعية للفن والتربية الثقافية .

علاقات الثقافة بالتربية والعلم والاخبار :

٣٠ ــ ان التنمية الشاملة للمجتمع تستلزم سياسـاتتكميلية في ميادين الثقافة والتربية والعلم والاخبار ، قصد اقامة توازن منسجم بين التقدم التقني والاعداد الثقافي والمعنوي للبشرية .

٣١ ــ ان التربية هي احدى افضل الادوات لتوصيل القيم الثقافية الوطنية والعملية وعليها ان تؤهل لتمثل المعارف العلمية والتقنية دون المساس بالكفاءات والقيم التي تمتلكها الشعوب .

٣٢ ــ ان ما نحتاج اليه اليوم هو تربية (تعليم) تتجاوز مهمته مجرد الاخبار والتوصيل ، ولكن ايضا التكوين والتجديد ، تعليم يسمح للتلاميذ بان يعوا حقائق زمنهم ومحيطهم ويمكن مـن تحرر الشخصية وبعلـم الانضباط الذاتي ، واحترام الاخرين ، والتضامن الاجتماعي والدولي ؛ تعليم يعيد للتنظيم والانتاجية لانتاج المنافع والخدمات الضرورية حقا ، ويحث على التجديد ويحفز على الابداع .

٣٣ ــ انه من الهام اعادة تقييم وتثمين اللغــات الوطنيــة كادات التوصيل المعرفــة .

٣٤ ــ ان محو الامية شرط لا غنى عنه للنمو الثقافي للشعوب .

٣٥ ــ ان تعليم العلوم والتكنولوجية ينبغي ان ينظر اليه كصيرورة ثقافية لتنمية الفكر النقدي وان يندمج بالنظم التربوية وفق مستلزمات نمو الشعوب .

٣٦ ــ ان ادوات التوصيل العصرية مدعـوة لتسهيل الاخبــار الموضوعية عند التيارات الثقافية التي بمقدورها الوصول الى كافة البلدان دون ان تلحق اي اذى بالحرية الابداعية والهوية الثقافية للامم .

٣٧ ــ ان التنقل الحر والتوزيع الافضل والاحسن توازنا للاعلام ، وللافكار والمعارف الذي يشكل واحدا من مبادىء النظام العالمي الجديــد للاعلام والاتصال ليفترض حق كل الامم ليس في ان تتلقى وحسب ، ولكن في ان توصل رسالاتها الثقافية ، التربوية العلمية والتكنولوجية .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣٨ ــ ان اشكال التقدم التكنولوجي في السنوات الاخيرة قد ساعدت على انطلاق الصناعات الثقافية ، وكيفما كان تنظيمها فانها تلعب دورا هاما في توزيع المنافع الثقافية انها تتجاهل في ممارستها لانشطتها الدولية ، القيم التقليدية للمجتمع وتستحث على آمــال وتطلعات لا علاقة لهــا بالحاجات الحقيقية لنموها ، ومن جهة ثانية ، وخاصة في البلدان السائرة في طريق النمو ، نجد ان الصناعات الثقافية الوطنية يمكن ان تؤدي الى الاستلاب والتبعية الثقافيــة .

٣٩ ــ ان وسائل الاتصال العصري تلعب اليوم دورا اساسـيا في ميدان التربية والتوزيع الثقافي ، وعلى المجتمع ان يبذل كل الجهــد لاستعمال التقنيات الجديدة للانتاج والاتصال بما يجعلها في خدمة تنمية اصيلة ، فردية وجماعية ومؤهلة لاستقلال الامم مع الحفاظ على سيادتها وبما يدعم السلم في العالــم .

هوامش البحث :

(١) انظر :
René Wellek et Austin Warrend
La théorie Littéraire . éd Seuil . Coll . poétique
Paris , 1971 . pp 22 - 41

(٢) انظر مثلا :
Jean Paul Weber
Domaines thématique - Gallimard (N. R. F.) , Paris 1963
pp. 9 - 22 , voir aussi p;30

(٣) Julia Kristeva : La thématique : rupture et au frontiére
in : La révolution du langage poétque, ed. Seuit coll « tel quel »,
Paris , 1974 pp. 41 - 42

(٤) انظر :
A. J Greimas - Du sens - essais sémiatiques
Seuil , Paris 1970
(La structure sémantique p (39 - 49)
(pour une sociologie du sens commun pp ; 39-103)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٥) انظر : ابو عمرو الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، الخانجي ، القاهرة ١٩٦٥ .

(٦) عبد القادر الجرجاني : اسرار البلاغة ، تحقيق هـ . ريتر ، ط ٢ ، دار المسيرة بيروت ، ١٩٧٩ ص ٢٤١ ــ ٢٤٥ و ص ٢٦٥ ــ ٢٦٧ وانظر ايضا : نظرية المعنى في النقد العربي للدكتور مصطفى ناصف ، دار القلم ١٩٦٥ .
ــ ادراسيد الناقوري : المصطلح النقدي في نقد الشعر ، في تحديد اللفظ ، انظر ص ٢٤٧ وفي تحديد المعنى انظر ص ١٢ ــ ١٥ ــ ١٧ ــ ٦٨ ، دار النشر المغربية الدار البيضاء ١٩٨٢ .

(٧) انظر :
Emberto Eco - L'oeuvre ouverte
Seuil, points, Paris 1965 (voir , surtout pp ; 15-25)

(٨) thème = فكرة او موضوع يرد باستمرار وتواتر ، وهي أيضا الموضوع المطروق
isotopie

انظر :
Bernard Dupriez - Gradus
Les Procédes Litteraires 10/18 Paris 1977

(٩) انظر : Platon - oeuvres complètes - La république traduit par Robert Boccou - Classiques Garnier, Paris 1950 pp. XXVII - XXIII et pp 395 d - 606 d

والمقاربة العربية لنظرية المحاكاة يمكن التماسها بوضوح وتوسع من : أبو الحسن حازم القرطاجني : منهج البلغاء ، وسراج الادباء ــ تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ١٩٨١ انظر خاصة الفصل المعنون بـ « معلم دال على طرق العلم بما تنقسم اليه المحاكاة » ص ٢١٠ ــ ٢٧٠ .

(١٠) انظر :

Aristote - La Poétique , texte, traduction, notes par Tosolyne et Jean Lallot, et du Seuil. Coll poétique, 1980 . voir surtout chap. 1 - 3 - 4

(١١) وانظر :

Pierre Somvill - Essai sur la poétique d'Aristote, Vrem, Paris, 76 voir essentiellement le chapitre intitulé ; La mimesis pp. 43 - 55

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٢)

Hegel - Esthétique, ler volume - Flammarion - Paris 1969

(١٣) بشأن التبدلات وسيرورة النقد الاوربي في هذا الصدد انظر :

Romul Munteance : Les métamorphoses de la critique européenne moderne - en français par Polares et Rodu Toma Univers, Bucarest 1981 .

(١٤) للتوصل الى تعريف وتحليل جديين ودقيقين لهذه المقولات انظر :

A. J. Greimas : Semantique structurale , Larousse,

Coll « Langue et Langage », Paris 1966 (voir surtout les deux chapitres intitulés : La structure élémentaire de la signification manifestée .... Le semène 42 - 44

(١٥) انظر :

Philippe Sollers ; Vision New York 10/15 Paris 1980 .

(١٦) تحيل هذه العبارة الى المعاني المطروقة عن :

Maurice Blanchot ; L'espace litteraire - Gallimard, idées . Paris 1955 voir surtout le chapitre intitulé « les caractéres de l'oeuvre d'art » pp. 297 - 338 .

(١٧) انظر :

Roland Barthes : Le Plaisir du texte. Seuil , « Tel quel » Paris 1973

(١٨) انظر :

Jacques Sojcher : La démarche poétique 10.18.1976 pp. 15-22

(١٩) يمكن أن تدخل في هذا المجال كتابات نقدية لنقاد مثل غالي شكري واليه ينتمي كثيرون ممن تمرنوا اما على الدردشة النقدية أو الدوغمائية ، في مجلات معروفة .

(٢٠) اننا نقصد التطورات الجذرية التي لحقت ميدان العلوم الانسانية ، ان الاعمال التي ترسم منهجية ومحتوى هذا التطور أكثر من أن تحصى ونسوق هنا مثالا واحدا نرى انه يقدم صورة شمولية عن هذا التطور ، وخاصة في الابستمولوجيا :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

Jean Piaget - Epistémologie des sciences de l'homme. Gallimard / idées, Paris 1970 .

(٢١) نعتقد ان هذه القضية ومتفرعاتها طرقت بحصافة علمية وقراءة جديدة في كتاب الدكتور محمد عابد الجابري (الخطاب العربي المعاصر) ، دار الطليعة . بيروت١٩٨٢.

(٢٢) د. محمد عابد الجابري ، نحن والتراث . دار الطليعة .١٩٨ .

(٢٣) يمكن احصاء عدد محدود من الابحاث الجادة التي تناولت التراث الادبي العربي فضلا عن امهات الكتب العربية التي سعت نحو التنظيم وهي معلومة وبالنسبة للادب الحديث يمكن ايراد كتاب الدكتور محمد غنيمي هلال .. النقد الادبي الحديث وهو من الصنف الذي تنسحب عليه ملاحظة المتن .

(٢٥) ربما كان هذا أحد الجوانب شديدة البروز من اغلب الرسائل الجامعية التي تناولت الادب الحديث ولكن مع الاسف ، فان أغلبها حبيس مفاهيم بالية في النقد الكلاسيكي ، سانت بوف أو النقد اللانسوني مثلا ومن جهة اخرى ، فان الناظر السوسيو ـ تاريخي يظل مفصولا عن المتن المدروس في هذا الصدد يمكن الاشارة الى اطروحة جامعية مغربية تمثل بوضوح هذا المنحى :

د. محمد الكتاني ، الصراع بين القديم والجديد في الادب العربي الحديث ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٨٢ .

(٢٦) انظر :

Mohamed Arkoun - La pensée arabe ed. PUF 1957

حيث يتحدث محمد اركون بتفصيل عن مقولتي التاخر والانحطاط مقابل النهضة والتقدم ويحدد تاريخيتها بالنسبة للفكر الغربي المعاصر .

(٢٧) انظر :

Pierre Bourdieu ; Le sens Pratique . éd minuit , 1980 (Lire préface)

(٢٨) انظر : البرت حوراني ــ الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨، ــ ١٩٣٩ ، ترجمة كريم عزقول ، ط دار النهار بيروت .

(٢٩) انظر الفصل الخاص بهذه القضية عند :

Charles Rizk ; Entre l'Islam et l'Arabisme .
Les aabes jusqu'en 1945 - Albin Michel. Paris 1983, pp 74 -142

(٣٠) انظر :

Bensalem Himmich - La formation idéologique dans l'Islam Antropos . paris 1981 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٣١) انظر :

Abdallalh Laroui ; La crise des intellectuelsarabes -Maspero-textes à l'appui - paris 1974 , voir surtout le chapitre intitulé « Historicisme et modernisme p. 103 .

(٣٢) انظر :

Gramsi - Textes , essentiel, éditions sociales, Paris , 1983 p. 239 - p. 319

(٣٣) انظر : د. فهمي جدعان ، أسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم العربي الحديث ــ ط ٨ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٩ يعتبر جدعان ان وجود مثقفي التيار السلفي ذو امتداد في الزمان البعيد ويشرح هذا بقوله : ذو امتداد اجتماعي ثقافي عتيد ، لكنه لا يناقش نوع الاستمرارية وطبيعتها .

(٣٤) انظر : الخطاب العربي المعاصر ــ مرجع سابق مقدمة الكتاب بمجملها .

(٣٥) نحن والتراث ، مرجع سابق ، المقدمة .

(٣٦) سلامة موسى : ما هي النهضة منشورات مكتبة المعارف ١٩٦٢ يقول : لا استطيع ان اتصور نهضة عصرية لامة شرقية ما لم تقم على المبادىء الاوروبية للحرية والمساواة والدستور مع النظرة العلمية والموضوعية للكون ، ص ١٠٨ .

(٣٧) عبد الله العروي : العرب والفكر التاريخي . دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٣ — ص ٥ .

(٣٨) حاول الشاعر أدونيس تجميع عشرات النصوص المتناثرة ، النصوص ، الفلتات في ديوان الشعر العربي .

(٣٩) محمد اركون . مرجع سابق ص ٩٠ — ١١٠ .

(٤٠) كمال عبد اللطيف ، سلامة موسى واشكالية النهضة . دار الفارابي / المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ١٩٨٢ .
انظر خاصة الفصل الكامل حول : الخطاب السلفي ص ٥٣ — ٧٢ .

(٤١) يمكن اتخاذ كتاب د . حسن حنفي (التراث والمعاصرة) نموذجا للمصالحة والتوفيقية.

(٤١) نعني مفهوم تطبيعه ، وفق التحليل الابستمولوجي الذي نجده عند :

Michel Foucoult : Les most et les choses - Gallimard . (VRF) le chapitre intitulé : les sciences humaines pp. 355

(٤٢) خذ دراسات شوقي ضيف في الادب العربي ، واحمد الحوفي وبدوي طبالة وابحاث تلامذتهم للتوزعين بين المغرب والمشرق .

(٤٣) لمعرفة احدى وجهات النظر في مفهوم الزمن عند العرب والمؤرخين العرب ، انظر كتاب ، عزيز العظمة ، الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية ، دار الطليعة . بيروت — ١٩٨٢ واقرأ خاصة الفصل المعنون (زمان الارض وتاريخ السماء) ص ٩٤ — ١٢٧ .

(٤٤) لمزيد من التفصيل في هذه القضية انظر :

Laroui op. cit , voir le chapitre intitulé : l'essence de l'intellectuel pp. 145 - «48 .

(٤٥) يستطيع كل دارس حصيف ، وذي تتبع منتظم للدراسات في الادب العربي ان يتبين الى أي حد يفتقر ادبنا الى الابحاث التي تتولى تاسيس نظرية استطيقية . رغم ذلك لاتعدم بعض الاعمال الجادة التي سارت على هذا النهج ، ونخص بالذكر منها ما حاوله ادونيس في كتابه (الثابت والمتحول) ذي الاجزاء الثلاثة ، وان كان كثيرا ما تضيعه بعض المسبقات الحماسية ، فلا تساعده على استخلاص الاطروحات النظرية الضرورية . ونحب في هذا الصدد كذلك أن ننوه بالدراسة القيمة للدكتور جمال الدين ابن الشيخ **La poétique arabe** وتختص بالشعر العربي الكلاسيكي ، وبالنسبة للشعر الحديث يمكن التركيز على دراسة هامة للمرحوم كمال خير بك :

« Le mouvement moderniste de la poésie arabe contemporaine » Publications orientalistes de France , paris 1978 » .

في النقد العربي هناك الخطوة الهامة التي قطعها د. عز الدين اسماعيل في كتابه (الاســس الجمالية في النقد العربي) ، دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٦٨ .

(٤٦) إنا في هذه المرحلة على الاقل من هذا البحث نتبنى المفهوم كما اشار اليه التحليل الوارد في (بويطيقا) أرسطو ، وكما نجده كذلك في كتاب (نظرية الانواع الادبية) لابي سافانتا ، ترجمة وتعليق د. حسن عون ، منشات للعارف ، الاسكندرية ٧٨ .

(٤٧) لا يتعلق الامر ، هنا ، بمصطلح نقدي ولكن بتسمية اتفاقية conventionnel وهي عند العرب تعتمد اكثر من اي شيء آخر على عنصر الاطراب وما يستعذب من الشعر في المجالس ولا تدخل في حسابها ابدا عملية التلقي واشراك القارىء في ابداع النص .

(٤٨) « ان تاريخ الفن ، اذا ما نظرنا اليه في افق التصور الجمالي ، هو تاريخ التمرد ضد القواعد القائمة ، وهذا التمرد يهدف الى التفرد » :
Jan Kukarousty , cité par pierre v. zima , in Pour une - sociologie du texte litteraire 1018 . 1978 p. 260 .

(٤٩) نحيل القارىء الذي يحتاج الى معرفة تفصيلية بالصراع الذي دار في هذه المرحلة بين القديم والجديد، والتيارات الادبية المتضاربة حولهما، الى اطروحة الدكتور محمد الكتاني ، مرجع سابق الذكر .

(٥٠) محمد بن سلام الجمحي من أوائل من استعملوا مصطلح الفحولة ، وذلك في كتابه «طبقات فحول الشعراء» (تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة، جزءان) وقد قصد به الشعراء المجيدين الذين وقع اختياره عليهم ، وقد استعمل المصطلح ابن قتيبة في « الشعر والشعراء » والاصمعي في « فحول الشعراء » وابن طباطبا في كتابه « عيار الشعر » واستعمله قدامة بن جعفر لغة بمعنى : الذكر القوي من الابل أو غيرها المنجب ، واصلاحا ليشمل المجيدين من جاهليين ومخضرمين أو اسلاميين أو محدثين ، انظر : المصطلح النقدي في نقد الشعر ، مرجع سابق الذكر .

(٥١) العبارة للاديب المصري عبد القادر المازني جاءت في سياق مفاضلته بين حافظ ابراهيم وعبد الرحمن شكري ، انظر : عبد القادر المازني (شعر حافظ ابراهيم) البوسفور ١٩٥٥ ، ص ٩ .

(٥٢) إننا نجد راي عباس محمود العقاد في شوقي ومأخذه الاساسي عليه ، والذي يسميه هبوط شعر الشخصية ويعني به ضياع الشاعر في الملامح الفنية لشعراء الماضي ، انظر : ع . م . العقاد ، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ .

(٥٣) المرجع السابق ص ٩ ـ ١٠ حيث يقول المازني « ان حافظا شديد التمحل مفرط التكلف كثير التأنق ، وحافظ يكسو المعاني المطروحة البالية » .

(٥٤) لا ينتهي الخلط بين نظرتنا هذه ، ونظرة جمال الدين الافغاني في حرصه على بقاء سيادة الخلافة العثمانية بوصفها قادرة على ضمان القومية الاسلامية والتصدي للتحدي الخارجي ، انظر الفصل الخاص بجمال الدين الافغاني في كتاب البرت حوراني ، مرجع سابق الذكر .

(٥٥) انظر :

Aimé Césaire : Discours sur le colonialisme , présence africaine , paris , 1955 , ed Consultée 1970 .

(٥٦) انظر :

Hichem Djait ; La personnalité et le devenir araboislamiques, Seuil , Paris , 1974 pp. 40 - 59 .

(٥٧) المصدر السابق ص ١٣٩ ، ١٤٣ .

(٥٨) استعمالنا لهذه المقولات مستمد من الاستعمال العام الذي شاع في الابحاث التي تناولت قضايا النهضة العربية ونجدها متداولة عند عبد الله العروي ، أنور عبد الملك ، هشام جعيط ، جاك بيرك ، محمد عابد الجابري وآخرين وقد تمت الاشارة الى بعض هذه الابحاث في الهوامش .

(٥٩) بالنسبة للمثاقفة والمثقفات يمكن الرجوع الى : **G. E. Von Grunbam - L'identité culturelle de l'Islam - Gallimard N. R. F. Paris 1973**

وانظر خاصة الفصلين المعنونين :

- « Le problème de l'influence culturelle » pp. 1 - 19 .

- L'acculturation , théme de la littérature arabe contemporaine pp. 183 -216 .

(٦٠) انظر هشام جعيط ، وعبد الله العروي .

(٦١) انظر (سلامة موسى واشكالية النهضة) مصدر سابق ، ص ١٩٢ ـ ٩١٥ .

(٦٢) الايديولوجية العربية ص ٢٥ ـ ٢٨ .

(٦٣) هناك أبحاث عديدة تناولت هذا الجانب ويمكن الاشارة خاصة الى كتاب فاروق خورشيد : في الرواية العربية ، عصر التجميع ـ ط ٢ دار الشروق القاهرة ١٩٧٥ .
والى كتاب د. طه وادي : مدخل الى تاريخ الرواية المصرية (١٩٠٥ ـ ١٩٥٢) مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٧٢ انظر بخاصة الباب الاول المعنون : فجر الرواية المصرية .

(٦٤) انظر د. شكري عياد : فن القصة القصيرة في مصر ـ في تأصيل فن أدبي ، المعهد العالي للدراسات العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .

(٦٥) نفهم الرؤية بالمعنى الذي يعوض الازدواجية التقليدية ، الظاهر والباطن ، بالاستقطاب بين اللانهائي والنهائي الذي يضع هذا الاخير في مقام الاول .. انظر :

J.P Sartre , L'être et le néant , Gallimard , 1947 , ch 1 .

ونفهمها كذلك في التبدلات التي يأخذها الشيء ـ قد يكون هو العمل الفني ـ تدريجيا بحسب درجة ومستوى الابصار . وما يلحق كل ذلك من تحولات ، وفق نظرية مرلو بونتي :

Phénomonologie de la perception . Gallimard , 1945 pp. 381 . 383 .

(٦٦) انظر :

T. Todorov - Théorie de la littérature , textes des formalistes russes - Seuil , Paris 197 .

Voir : Comment est faite « Le manteau de Gogol » , par B. E. Ikhenbanm , pp. 218 - 233 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦٧) انظر :

T. Todorov : Qu'est-ce que le strucralisme poétique - Seuil Pointes - pp. 15 - 20 .

(٦٨) انظر : Romul Kunteau مصدر سابق . المقدمة .

(٦٩) انظر :

Robert Graves - Les mythes grecs T. I Pluriel . Paris 1983 P. 96 ke .

(٧٠) قليلة هي الابحاث التي عالجت بجدية موضوع التحديث والحداثة في الادب العربي . ونحب ان نخص بالذكر :

ـ قضية الشعر الجديد للدكتور محمد النويهي . ط مكتبة الخانجي ودار الفكر ـ القاهرة ـ ١٩٧١ .

ـ المنهج المصطلح (مداخل الادب الحداثة) ـ خلدون الشمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ١٩٧٩ .

(٧١) تسحب هذه الملاحظة على الانتاج الادبي في بلدان المغرب العربي الذي لا تكاد تكون معروفة منه الا نتف وأغلبه مغمور لاسباب ليس هذا مقام ايرادها .

(٧٢) التجارب الشعرية لادونيس ، نزار قباني ، صلاح عبد الصبور ، وفي الرواية نجيب محفوظ ، عبد الرحمن مجيد الربيعي ...

(٧٣) انظر : La théorie litteraire op cit .

انظر الفصل المعنون : « Littérature et société » pp 129 - 153

(٧٤) في طبيعة ونوعية التناص في الخطاب الادبي ، انظر :

J. Kristeve - Le texte du roman , Mouton 1970 (pp 146 - 149)

وانظر أيضا لنفس الباحثة :

Recherches pour une sémanalyse . Seuil . 1969 p. 144 .

وانظر بحثا دقيقا وتفصيليا حول هذا الموضوع :

- L'intertextualité , enquête sur l'émergence et la diffusion d'un champ notionnel , in Revue des sciences humaines .Paris 1983 . I (Lille ...) 189 .

(٧٥) في هذه المعاني كلها تدخل المقاربة السوسيولوجية للادب ، وهذه اكثر من أن نحصي مصادرها والاعمال المكتوبة بشأنها ، ونكتفي تحديدا بالاشارة هنا الى تلخيص نراه شموليا لشتى المعالجات في هذا الباب عن :

Jacques Dubois : L'institution de la littérature . Dossiers . éd . Labor . Paris 1970 .

انظر خاصة المقدمة (٩ ـ ١٧) والفصل الاول الذي يحمل عنوان :

« Vers une théorie de l'institution littéraire » .

انظر كذلك ص ٧٢ من نفس الكتاب .

(٧٦) مصدر سابق الذكر .

(٧٧) هذه مصطلحات وتسميات نقترحها وهي تجريبية وليست نهائية وقد آثرنا ان نفعل ذلك ، هنا ، على استعارة المصطلح الاجنبي .

(٧٨) انظر دراستنا : في الادب المغربي الحديث ـ (الموسوعة الصغيرة) بغداد ١٩٨٣ .

(٧٩) انظر مادة Communiquer في قاموس Le petit Robert/1977

(٨٠) انها كلمات ما دامت لم تخضع لوضع وتحديد اصطلاحيين كافيين ، وتستعمل على اكثر من وجه . ان اول شرط في المصطلح هو خضوعه للضبط وكضابط Norme

(٨١) A. Eco - op cit p 84

(٨٢) op cit p 84

(٨٣) و (٨٤) op cit p. 94

(٨٥) نستند هنا على ظاهرة موجودة حاليا بالمغرب ، حيث برزت عدة صحف باسم احزاب ليس لها أي وجود قاعدي والخطاب الاعلامي هو ما يوهم بوجودها وهيمنتها احيانا .

(٨٦) نستعمل الكلمة هنا بالمعنى الذي يعطيه لها بورديو ، انظر :

Jacques Dubois . op. cit . p. 70 .

(٨٧) انظر : د. محمد يوسف نجم ــ القصة في الادب العربي الحديث . دار الثقافة ، بيروت ، ط ٢ ــ ١٩٦٦ ص ١٥ ــ ٢٠ .

وانظر كتابنا : فن القصة القصيرة بالمغرب . مصدر سابق (المقدمة) .

(٨٨) انظر : - Jacques Leenhardt et Pierre Jauss

Lire la lecture - le sycomore , coll . arguments critique , Paris 1982 .

(٨٩) انظر :

- Hans Robert Jauss - Pour une esthétique de la réception Gallimard (N. R. F.) Paris 1978 .

انظر بخاصة الصفحات ٢٤٣ الى ٢٦٣ .

(٩٠) انظر في هذا الصدد الابحاث الهامة التي كتبها العالم الكندي .

(٩١) يستطيع المرء أن يطرح أكثر من علامة استفهام أمام ما يطرح في بعض الاوساط الاعلامية ــ الادبية (في لبنان مثلا) من حديث عن اللغة التي ينبغي أن نكتب بها الصحافة وهنا لا ينبغي السكوت عن الخلفيات الايديولوجية لهذه الدعوة .

(٩٢) هذا التوزيع الثلاثي استعرنا اولياته من جاك دوبوا ، مصدر سابق ، انظر المقدمة ، ولا نعرض لتفاصيله لأنها تخص تمرحل الادب الغربي وقيمه الجمالية ، ونحس أن استقرار التمرحل عبر الكتابات النقدية العربية مهمة من حيث صنع دوبوا مع النقد الكلاسيكي ، ثم بارث وصولا الى أدورنو .

(٩٣) بتصفح سريع للصحف والمجلات العربية ، مثلا ، يستطيع أي كان أن يتبين ببساطة هذه التراتبية ويلاحظ كيف ان الثقافة تحتل في النهاية حيزا يسمى المنوعات أي التسلية ، وان اخطر ظاهرة يعاني منها الادب العربي اليوم هي أن تصبح كتابة المنوعات هذه هي تجليه الفعلي ، وان يفسد الصحفيون وأكثرهم اميون ثقافيا حقل الادب .

(٩٤) ... والا فمن هو الكاتب اليوم ، من هو الاديب ، من هو الصحفي وما الذي يميز أدب الصحافة عن غيره ؟ سيقال ان كل شيء نسبي في مجتمعاتنا ! هكذا تتحول الذريعة الى هزيمة الابداع واحباط لكل عقد نقدي ، وهلم جرا .

(٩٥) افتح أي كتاب أدبي في مقررات المدارس الثانوية تصادفك في تعريف الادب عبارة مثل : الادب هو الذي يعبر عن الواقع .. (كذا) ، ومرجعنا المحدد كتاب الادب والنصوص المقرر للصفوف الثانوية بالمدارس المغربية والذي لم يطرأ عليه تغيير منذ سنوات وكأنه كتاب منزل !

(٩٦) كان الحرص اكثر من أي شيء آخر على العناصر الالصق بموضوعنا والمتسقة مع المقاربة التي تريد احالة الادب على الاعلام .

(٩٧) خاصة الاسئلة المنضوية تحت عنوان : اشكاليات الابداع العربي الحديث .

(٩٨) نحيل هنا بخصوص مفهوم الاستحالة على بحث لنا عن الرواية العربية . أنظر : مجلة (الطريق) اللبنانية . آب ١٩٨١ .

(٩٩) أنظر :

G. Luckacs - problémes du réalism - L'archéditeur - Paris 1975 pp. 22 - 43 .

(١٠٠) الملحق الاعلامي الذي نقترحه ونترجمه بقصدية تامة . حفزنا الى ذلك ما نعتبر انه بالغ الاهمية بالنسبة للذين يبحثون عن المنافع المباشرة التي يراد للثقافة والادب تحقيقها والتجسيدات والاشتراطات المادية التي تمهد وتؤكد هذا التحقيق .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

واننا من ناحية ثانية مقتنعون كامل الاقتناع ، باستثناء جزئيات حول مجمل ما ورد في هذا الملحق وبدل أن نسهب باعادة تكرار المعاني والمفاهيم والحث على نفس التوجه واننا من ناحية ثانية مقتنعون كامل الاقتناع ، باستثناء جزئيات حول مجمل ما ورد من الارادات والكفاءات الثقافية والخبرات في ميداني الثقافة والاعلام .

ومن ناحية ثالثة . فان ما ذكرناه من تخصيصات بشأن الحقل الادبي تظل ثابتة وموقفنا منها لا يتزعزع . فيما يتجه التقرير المترجم الى رصد الاطر الكبرى لتبلور الثقافة والهوية الثقافية والشروط الاجتماعية المادية ، وضمنها ولا شك ينتج الادب . ونحن نشاطر هذا التحليل ما دام يضع اليد على أسباب رئيسية تعوق نمو الحقل الابداعي الثقافي . في هذا التحليل يمكن ، مثلا ، معايشة موضوع الاعلام والتوصيل بينما تظل للابداع الادبي والفني الى جانب هذه الاسباب مكوناته الذاتية التي حاولنا البحث عنها وطرح مسائلياتها أو ما اقتدرنا عليه حتى الآن .

Conférence mondiale sur les politiques culturelles
Mexico , 26 Juillet - 6 Aout1982
Ropport Final - Unesco
ALT / MD / 1
Paris , Novembre 1982

الأدب والصحافة
علاقة داخل المغامرة

ادريس الناقوري
« المغرب »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في فقـرة مشهورة ، من كتاب (طبقات فحـول الشعراء) خصصها ابن سـلام الجمحي للحديث عن الشعر المصنوع المفتعل الموضوع الذي لا خير فيـه ولا حجة في عربيته ، نقرا هذه العبارة :

وقد تداوله قوم من كتاب الى كتاب ياخذوه عـن اهل البادية ولم يعرضوه على العلماء . وليس لاحد اذا اجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على ابطال شيء منه ، أن يقبل من صحيفة ولا يروي عن صحفي .

وبعد كلام مركز اداره ابن سلام حول محمد بن اسحاق بن يسار يخلص هذا الباحث والعالم والناقد الى النتيجة الاتية :

« ... فلو كان الشعر مثل ما وضع ابن اسحاق ومثل ما روى الصحفيون ما كانت اليه حاجة ولا فيه دليل على علم » .

طبقات فحول الشعراء ٤/١ ـ ١١/١ والذي يعنينا من كلام ابن سلام هو أن هذا الناقد كان قد اثار ، ولربما لاول مرة في تاريخ الادب والنقد الادبي والنقد العربيين ، علاقة الادب ، والشعر منه خاصية ، بالصحافة والرواية .

وقد تنبه ابن سلام الى التأثير السلبي الذي يمكن أن تمارسه وسائل الاعلام في عصره على الادب وعلى الشعر على وجه التحديد . ويمكن اعتبار ملاحظات ابن سلام الدقيقة وعيا متقدما جدا وناضجا بخطورة المسالة وبما قد يترتب عنها من مضاعفات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد طرح هذا العالم مسالة العلاقة بين الفعاليتين : الادبية والاعلامية في اطار توثيق الشعر العربي وتمييز صحيحه من زائفة حتى يأتي الحديث عنه بعد ذلك ؛ وبحثه بنوع من الاطمئنان والثقة اذ لا يعقل ان يبحث الناس في ظاهرة لم يتأكدوا من نسبتها الصحيحة ومن اصولها ومصادرها الاولى . وكأن ابن سلام اراد ان يكون كل بحث واستقصاء في الشعر العربي القديم مبنيين على أسس سليمة وعلى حقائق لا ترقى اليها الشبهات ، ولذلك حرص على اثارة قضية النحل في مقدمة كتابه ولفت الانظار الى ضرورة حسمها قبل الشروع في اية مناقشة علمية او نقدية تتناول مادة الشعر .

وما جاء من آراء وملاحظات في مقدمة كتاب «طبقات فحول الشعراء» يؤكد جملة حقائق منها على سبيل المثال الصلة التي تربط وسائل الاعلام بالشعر حيث كانت الرواية والصحف من أهم هذه الوسائل لنشر الادب بين الناس .

ومنها كذلك وجود وسائل اعلام تلائم المرحلة الحضارية التي تحدث عنها ابن سلام وكثير غيره من مؤرخي الادب ونقاده ، وبالفعل فالاعلام ليس وليد الساعة . فهو كما نعرف عملية قديمة قدم الانسان نفسه ونشاط بشري توافر وتطور عبر مراحل التاريخ الانساني . فهو استجابة لحاجة الانسان الى وعي واقعه وبيئته والى تنظيم علاقاته بالمجتمع وبالجماعة التي تحيط به . وقد استدعت هذه الحاجة ظهور وسائل اعلام مختلفة كانت في الاول بدائية مثل الالواح الفخارية ووسائل البردي والخطابة والرواية ... ثم تطورت عبر مراحل التاريخ واصبحت وسائل متقدمة تبعا لتطور المجتمعات والعلوم والمعارف ، فالشعوب البدائية التي كانت تعيش في مجتمعات صغيرة لا يتجاوز عددها بضع مئات او آلاف قليلة من الناس كانت تستقبل الاخبار عن طريق الكلمة الشفوية المتداولة من فم الى فم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي أثينا وروما القديمتين كانت الاحاديث المتداولة في الاماكن العامة والحمامات وحلبات الرياضة الوسيلة الاساسية لنقل الاخبار . كما كان الفراعنة يلجأون الى معابدهم والواحهم واحجارهم لتدوين حياتهم واحوالهم التاريخية والحربية والسياسية والاجتماعية . فكان الامير المصري اذا اراد أن يعرف الشعب خبر من الاخبار امر بتدوين هذا الخبر على الاحجار ووضعه عند مداخل المعابد حيث يفد جموع الشعب للعبادة .(١)

ومن البين ان تطور وسائل الاعلام في العصر الحديث قد أدى الى ظهور مفهومات مختلفة وتعاريف متعددة تحاول حصر دلالة الاعلام الاحاطة بمضمونه .

فقد قيل عنه « انه التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت »(٢) ورغم تعدد تعاريف الاعلام وكثرة نظرياته فانه لا يزال عرضة لكثير من الالتباس في اذهان الناس .

(١) الاعلام والتحول الاشتراكي مختار التهامي دار المعارف . ١٩٦٦ .

(٢) تعريف اوتوجورت الالماني .

راجع الاعلام ودوره في التنمية — شاكر ابراهيم — المنشأة الشعبية .

فهو وان كان يعني في مفهومه العام تبادل المعلومات بعد استقائها من مصادر معينة او انتاجها مباشرة ؛ الا ان هذا المفهوم العام تطور في العصر الحديث واختلف من ثم عن المفاهيم التي كانت سائدة في العصور القديمة . « ففي الماضي البعيد كان تدفق المعلومات تدفقا محليا فقط وفي حدود جغرافية ضيقة ولم يكن هناك نقل للمعلومات لمسافات بعيدة الا بسرعة بطيئة للغاية . ولكن الثورات الحديثة في تكنولوجيا الاتصال ونظم المعلومات غيرت جوهريا من تدفق المعلومات كما ونوعا وسرعة داخل المجتمع الواحد وعلى صعيد العالم بأسره ، وذلك بفضل انتشار التعليم والبعثات التعليمية والصحافة والاذاعة والتلفزيون والهاتف والتلكس وخدمات الكابل والكمبيوتر والميكروفيلم واشرطة التسجيل الصوتية والمرئية ورقائق السيليكون وبنوك المعلومات والاقمار الصناعية فضلا عن التطور الكبير في وسائل النقل والمواصلات »(٢) .

وهذا التطور ليس وليد مرحلة تاريخية بذاتها ، وان كانت بعض المراحل تميزت فعلا بالثورات الصناعية والعلمية ، ولكنه في حقيقة الامر ، حصيلة جهود بشرية متواصلة منذ أقدم العصور وثمرة كفاح الانسان الطويل لتحسين أحواله ومغالبة الطبيعة . وقد كان لهذا الكفاح نتائجه الايجابية بالنسبة للدول المتقدمة والضعيفة على السواء .

« ومن بعض نتائج هذا كله أن موجة التوقعات المتزايدة لرفع مستوى المعيشة قد غمرت دول العالم الثالث واحاطتها علما بطرق المعيشة في الدول الاكثر نموا . وبفضل انتشار طرق الاعلام الحديثة ايضا يتم استقطاب التجمعات والنظم السياسية في أحزاب ومعسكرات متزايدة الاحجام والقوى سواء داخل الدولة الواحدة ام على صعيد المجتمع العالمي . وبالمثل فان المنشآت الاقتصادية يتم ادماجها وتشعبها في أشكال وأحجام اقتصادية

(٢) الاعلام الانمائي واعداد البنية البشرية الاعلامية العربية د. سهير بركات الاعلام العربي ع ١٩٨٢/٢ ص ٩٠ .

فعّالة ، وارتباطا داخل الدولة الواحدة وعلى اتساع العالم بأسره . وعلى نفس المنوال فان الكثير من المؤسسات والمنظمات الاجتماعية والثقافية والصحية يزداد ترابطها سويا في شبكات متسعة من المراكز والفروع ولم يعد هناك على اي صعيد من يستطيع العزلة عن الآخرين او يترك هناك على اي صعيد من يستطيع العزلة عن الاخرين او يترك له حق الخيار »(٤) .

ان التوسع في المفهوم استوجبه تعقد وتعدد وسائل الاعلام من جهة وتزايد فعاليتها من جهة ثانية . فلم تعد الصحافة ، وحدها ، تلك السلطة الرابعة التي تؤثر في الراي العام وتوجه تياراته واتجاهاته ولكن وسائل الاتصال الجمعي الاخرى اخذت تحظى بالاهمية وتستاثر بالعناية لما اصبحت تتمتع به من نفوذ وسلطة في المجتمع المعاصر .

ARCHIVE

فاضحى الاعلام الذي اعتمد على المخترعات القديمة : (طباعة كتابة .) والحديثة : (اجهزة الكترونية ، واقمار صناعية . . .) يلعب دورا حاسما في الحياة المعاصرة واكتسب مفهوما جديدا يتلخص في « نشر الحقائق والاخبار والافكار والآراء بوسائل الاعلام المختلفة كالصحافة والاذاعة والسينما والمحاضرات والندوات والمعارض والحفلات وغيرها بهدف التفاهم والاقتناع وكسب التأييد »(٥) .

وليس من الغريب أن ينتج عن تعدد مفاهيم الاعلام وتطوره تعدد في نظرياته وانواعه ، حيث عرفنا نظرية السلطة ونظرية الحرية ونظرية المسؤولية الاجتماعية والنظرية الاشتراكية ونظرية المسؤولية العالمية(٦) .

ونظرا لما يكتسبه الاعلام من اهمية في العصر الحديث ، ونظرا لما له من تأثير على مستويات مختلفة ، اصبح الان مجال بحث وتطبيق وتوجهت

---

(٤) المرجع نفسه .

(٥) الاعلام والتحول الاشتراكي .

(٦) الاعلام ودوره في التنمية ـ شاكر ابراهيم ـ ص ١٩ ـ ٢٤ .

اليه انظار الباحثين والمختصين في شتى مجالات المعرفة وعنى به المفكرون والقادة السياسيون والمخططون العسكريون كما التفت اليه رجال التربية والتعليم ، والمثقفون من ادباء وكتاب .

وفي ميدان البحث العلمي اثار الاعلام مشكلات معقدة واتضح ان « نظرية الاعلام في وضعها الحالي اشبه بالوضع الذي كانت عليه النظرية السوسيولوجية قاعدة لتنازع العديد من العلوم الاجتماعية والانسانية الاخرى »(٧) .

والسر في ذلك هو اتصال الاعلام بمختلف جوانب الحياة الانسانية وبعلوم مختلفة انسانية واجتماعية .

والاقرار بتنوع وسائل الاعلام وتعدد مجالاته يحتم الاعتراف بشموليته واستقطابه لاكثر مرافق الانشطة الاجتماعية ولكنه يفضي كذلك الى طرح مسألة التخصص في ميدان الاعلام نفسه ، ذلك ان خطورة الاعلام والوعي بها من طرف المسؤولية عن مصائر المجتمعات والشعوب على اختلاف حجم ومستوى هذه المسؤولية استوجب بالضرورة ايلاء هذا الميدان ما يستحقه من عناية وما يتطلبه من تقدير ، ومن هنا كان التفكير في مسألة التخصص في جانب واحد من جوانبه حتى اننا بدأنا نتحدث عن الاعلام السياحي وعن انواع اخرى من الاعلام تتصل بمرفق ما من المرافق الاجتماعية .

وهذا يؤكد أن الاعلام يندرج الآن في نطاق التفاعل الانساني العام ويتأثر ويؤثر بأنواع الثقافات وهو « لم يعد في يومنا هذا فنا انسانيا مبرمجا ، وقائدا لعملية النشاط الفكري فحسب ، بل هو اداة سيكولوجية خطيرة باتت تهدد قناعات العقل البشري لانها تتدخل كل يوم وكل لحظة في صياغة

(٧) ملاحظات منهجية حول البحوث الاعلامية في الوطن العربي :
د. محمد طلال ود. عبد اللطيف السلامي . الاعلام العربي ع ١٩٨٢/٢ ص . ٢٧ .

المعلومات الانسانية وتقديمها على طبق شهي لا يمكن مقاومته بسهولة»(٨).

ان الاعلام علم انساني جديد لا يقل اهمية عن العلوم المستحدثة ان لم نقل انه يفوقها فعالية وتأثيرا. « وقد أكدت النظريات الحديثة للاعلام على ان هذا العلم الانساني الجديد هو ناتج عقلية مركبة ، فالاعلام لم يكن صيغة مجردة بل هو ثمار علوم انسانية مترابطة ، وعندما اطلق على الاعلام لفظة (علم الاتصال بالجماهير) فهذا يعني ان الاعلام وقبل ان يتجسد بصورته الجديدة المذبة قد طرق ابواب العلوم الانسانية كلها. . . فالتاريخ والحضارة والجغرافية وعلم النفس والفلسفة والاقتصاد وغيرها ، علوم تدخل ضمن الصناعة الاعلامية والذي يصنع اعلاما قويا لا بد ان يلم بهذه العلوم(٩) .

وهذا انما يؤكد حقيقة ثابتة من حقائق الحياة المعاصرة وهي كونها تتجه شيئا فشيئا الى الشمول والى توحد نظريتها المعرفية العامة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بمعنى ان الفروق التي كانت قائمة بين العلوم والفنون بدات الان تحت وطاة التطور والوعي الثقافي المتنامي وخاصة بفعل التطور المذهل في العلوم والتقنية وفي وسائل الاتصال ، تتقلص تدريجيا .

« ولهذا فان السينما والمسرح وبقية الفنون والآداب والتي تدخل ضمن الاطار العام للاعلام باعتبارها وسائل ثقافية اكثر منها وسائل اعلامية ... يمكن ان تدخل ضمن اطار « الاعلام السياحي » وللتاكيد على هذا القول نلاحظ ان « ادب الاشعار » من قصة ورواية وحكاية ومغامرات الرحالة والاعلام السينمائية عن الحياة في المدن العالمية المهمة ، كل هذه الوسائل المادية ساعدت على تنشيط السياحة وساعدت على بناء الاعلام السياحي لانها من مقوماته الاساسية »(١٠) .

---

(٨) الاعلام السياحي والتنمية القومية د. كاظم المقدادي ــ الاعلام العربي ع ١٩٨٢/٢ ص ٤١ .

(٩) نفسه ٤٢ .

(١٠) نفسه ٤٨ .

ومن استقراء كتب التراث بأنواعه الديني والتاريخي والادبي يتبين أن علاقة الاعلام بالفعاليات الثقافية القديمة كانت قائمة منذ اقدم العصور .

« واذا تصفحنا الكتب التاريخية القديمة : الدينيـة والاجتماعية الادبية فنراها قد ساهمت هي الاخرى في خلق الصورة السياحية . فالقصص الانسانية المسرودة في القرآن الكريم والانجيل والتوراة تعتبر من نشاطات الاعلام السياحي لأنها جسدت وبصدق تجارب انسانية مازالت شواهدها التاريخية والحضارية قائمة حتى يومنا هذا . كما ان قصص الحضارات القديمة في سومر وبابل وآشور وآثار الفراعنة في مصر ومملكة سبأ في اليمن وما كتب عنها من حكايات وقصص ونوادر وملاحم مثل ملحمة (كلكامش)وغيرها تعتبر كذلك من مرتكزات ودعائم الاعلام السياحي يتمثل كذلك في التجارب الانسانية في عالم الرحلات وقد اشتهر فيها ابن بطوطة وكريستوف كولومبس وماجلان وغيرهم ... ثم لا ننسى أبدا كم خلقت قصص « الف ليلة وليلة » ومغامرات السندباد وحكايات « علي بابا » من صور سياحية جميلة في النفس البشرية »(١١) .

ان العلاقة بين الادب ووسائل الاعلام قديمة اذن ومتواصلة ولعل سر استمرار الادب بصوره واشكاله الحالية يعود اصلا الى ارتباطه بوسائل الاعلام ومنها الصحافة .

وكما افاد الادب من الاعلام بوسائله القديمة ، افادت كذلك الصحافة في العصر الحديث من الادب .

وتجربة الادب العربي المعاصر في المشرق وفي المغرب دليل واضح على هذه الاستفادة المزدوجة .

« فلقد بدات الصحافة عندنا كاهنة في محراب الادب تستمد منه وجودها وبقاءها . كتاب الادب والنقد هم العمد الاساسية في بناء اي

(١١) نفسه ٤٨ — ٤٩ .

صحيفة وقارىء الادب والنقد هو المستهلك الاول للصحيفة ، وكانت الصحف تصطرع في احتكار اكبر عدد ممكن من اصحاب الاسماء اللامعة في دنيا الادب ، تفرد لهم اهم صفحاتها وتخضع هذه الصفحات لاحتياجاتهم التي توضع في الاعتبار .

وعن هذا الطريق من التجاوب بين الصحافة والادب تسللت الصحف الى مجتمعنا المحافظ المتمسك بالتقاليد ، ذلك انها كانت تتجاوب مع ثقافته باستمرار فتقدم له الغذاء المعتنى به والاسم الرنان الذي يضمن القارىء » عنده الفكر الناضج والرأي الحر ... »(١٣) .

بهذا التفاعل بين الادب والاعلام استفاد الادب والادباء . فمن المعروف أن كثيرا من كتابنا المعاصرين يدينون بشهرتهم الواسعة للصحافة ، في وقت كان فيه الكتاب يحتل المرتبة الثانية بعد الصحيفة اليومية او المجلة .

وعن طريق الادب استطاعت الصحافة أن تتطور وترتقي خاصة عندما كان الكتاب والادباء هم الساهرين على الصحيفة أو المساهمين في ظهورها وانتشارها . فقد كان لهم من القدرة الادبية والكفاءة الثقافية ما يمكنهم من توجيه الفائدة الادبية والتأثير على اتجاهات القراء والمستهلكين ولكن بقدر ما افادت الصحافة من الادب وبقدر ما افاد الادب من الصحافة ، بقدر ما كان للعلاقة بين الطرفين جوانبها السلبية التي اثارت ، ومنذ عهد ابن سلام نفسه ، تلك الاشكالية المعروفة التي لامسها ابن سلام عندما طرح ضرورة التفريق بين العالم بالشعر ، الناقد له وبين الصحفي .

ان علاقة الادب بالصحافة كانت دائما مثار نزاع وخلاف ليس فقط بين الادباء والصحفيين بل بين الادباء انفسهم . وهي وأن اصبحت موضوعا معقدا اليوم . بسبب تعقد الفعاليات اليومية المعاصرة وبسبب التداخل

(١٣) بين الادب والصحافة ــ فاروق خورشيد منشورات اقرأ ص ١٨ .

الكبير بين مختلف الحياة الثقافية فان الفصل فيها يحتاج الى دراسات علمية معمقة لتبيان حقيقة الموقف ولتحديد مجال كل من طرفيها على ضوء التحولات الكبيرة التي تجتاح العالم المعاصر .

من الجائز أن نتفق على المعيار الذي اعتمده بعض الباحثين (١٣) .

كمقياس للتفرقة بين الادب والصحافة في الحقيقة الآتية

ان الصحافة مهنة والادب فن ، والفرق بين المهنة والفن هو الفرق بين الصحفي والاديب .

ان الاخذ بهذا المعيار يضع حدا للخلط القائم بين الادب والصحافة من حيث انه يطرح مسالة التخصص من جهة ويحدد مجال كل منهما ؛ فاشتراك الاديب والصحفي في الاداة لا يعني اتفاقهما في الرؤية وفي الاهداف فرسالة القلم عند صاحب الادب تنبع من داخله هو ، بمعنى انه يجد عنده أولا ما يجب ان يقوله ثم يحدد الشكل الفني الملائم لابراز هذا الذي يجده ، أما رسالة القلم عند صاحب السياسة فهي تنبع من الخارج بمعنى ان الاحداث الخارجية نفسها هي التي تستلزم القول بل وهي التي تفرض الشكل الذي يخرج به هذا القول : وصاحب الادب لايتحدد بمكان أو زمان، فهو يقول ما يريد للناس كافة ودون خضوع مباشر للاحداث اليومية ، بينما صاحب السياسة ملزم بمراعاة ظروف الزمن ... (١٤) ويتجلى الفرق بين الاديب والصحفي ، كذلك في الحرية يتمتع بها كل منهما ، فحرية الاديب تنبع من داخله ومسؤوليته تتعلق بذاته وبوعيه الفني أولا واخيرا ، اما حرية الصحفي فهي رهينة الظروف الخارجية التي تشكل حياته وحياة واقعه ، والخلاف بين الاثنين قائم ، على العموم بسبب عدة

(١٣) منهم فاروق خورشيد ـ المرجع السابق ص ٥٢ .
(١٤) نفسه ٥٢ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عوامل متداخلة منها ، بالاضافة الى ما سبق طريقة تعامل كل من الاديب والصحفي مع احداث عصره ومجريات واقعه ومنها على الاخص الاستعمال الخاص للغة عند الاديب والذي يختلف تماما عن الاسلوب الذي يصوغ به الاعلامي مفهوماته وآراءه ...

ولعل التعامل مع اللغة ، على وجه التخصيص هو العامل الاساسي في انفصال الادب عن الصحافة وفي تفرده وتميزه عن بقية وسائل الاعلام المكتوبة والمقروءة ، وكل هذا لان الادب والصحافة يختلفان في النهاية في الطبيعة التي جعلت من الادب فنا ومن الصحافة حرفة وخبرة عملية ؛ وقد نتج عن الاختلاف في الطبيعة اختلاف في التعريف ، فمن المؤكد الآن ، المسلم به ، أن الادب فن التعبير بالكلمة ، الشيء الذي يستدعي بالضرورة القول بأن الصحافة صناعة الإتجار بالخبر (١٥) وإن كان علينا ان نتحفظ في هذه النقطة التي تنطوي على تعميم كبير لان كل صحافة ليست حتما صناعة تتاجر بالاخبار ، فلابد من الاقرار بوجود نوع آخر من الصحافة لا يتجه الى التجارة بل يهدف الى تحقيق الاغراض نفسها التي يسعى اليها الادب ، والاقرار بهذه الحقيقة يجنبنا الافتئات على الادب وعلى الصحافة معا ؛ قيل الكثير وكتب عن لغة الادب وحظيت لغة الشعر خاصة باهتمام كبير من طرف الدارسين والباحثين وكثرت المعارك والمناقشات في هذا الموضوع واتخذت ابعادا اخرى خارجة عن الادب والشعر (نتذكر هنا على سبيل المثال ، قضية الفصحى والعامية في المسرح والقصة ...) وربما امكن القول بأن الذين دافعوا عن اللغة الفصيحة كانوا ينطلقون من مواقف فنية قبل كل شيء لان الدفاع عن الفصحى كان في تصورهم دفاعا عن الفن في الادب ، وبالمثل فان الذين يدعون اليوم ، من ادباء ومثقفين الى ضرورة التمسك بتقاليد الادب الفنية انما يفعلون ذلك من اجل المحافظة على نقاوة

(١٥) نفسه ٥٦ .

الادب وتميزه عن الصحافة ، ولعل بعض المواقف المتخذة في مسألة الشعر المعاصر والرامية الى صيانة لغته ، اداته الاولى في التعبير والتعامل مع العالم ، تنطلق من نفس المبدا وتحرص على تمييز لغة الشعر اي لغة الفن عن لغة الصحافة والابتذال الاعلامي .

وليس معنى هذا حرمان الشعراء والادباء من استعمال مفرداتلغوية قد تبدو سوقية او عامية ، فتلك مسألة اخرى تخص الشعراء والادباء وحدهم ، وهم قد يلجأون الى هذه المفردات والاساليب عندما تقتضي ضرورة الفن ذلك ، وهنا تثار مجددا مسألة العلاقة بين الادب وبين الواقع او ما اصطلح عليه بالواقعية في الفن ومن المسائل المتفرعة عن هذه العلاقة الشاملة ، علاقة الادب بوسائل الاعلام ومنها الصحافة باعتبارها تعبيرا يوميا مواكبا لتحولات الواقع وانعكاسا مباشرا لتناقضاته وصراعاته ، وهنا يوضع السؤال : ما مدى ربح وخسارة كل من الادب والصحافة ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي هذا الصدد يمكن ملاحظة جملة حقائق اولاها ان هناك انقساما في الراي حول هذه المسألة .

فاذا كان هناك من يرى ان وسائل الاعلام قد تفيد الادب وتساعد على انتشاره وتطوره ، فان فريقا آخر يرى عكس ذلك تماما حين يؤكد بمرارة ان الاعلام بوسائله المختلفةيعتبر تهديدا للادبوقتلا للفن، ويسوق اصحاب هذا الراي امثلة كثيرة تدعم هذه الدعوة منها الازمة العامة التي يعيشها حاليا الادب العربي المعاصر بشعره وقصته القصيرة ونقده الخ ... وكل ذلك بسبب تدخل الصحافة في الادب وغزوها حتى لميادين كانت من قبل حكرا له . والخلاف لا يعود الى مواقف شخصية آنية وانما يرتبط بقناعات فنية ومبادىء يصدر عنهما كلا الفريقين ويمكن القول ان الطرف الذي يحرص على المحافظة على الادب كفن يربط موقفه بفكرة المعاناة وبخصوصية الادب الفنية ، فيما ينظر الطرف الثاني الى المسألة

من زاوية ارتباطها بالمستهلك وبقدرة الادب على الانتشار في قطاعات اجتماعية واسعة ولذلك يتبنى انصار هذا الراي موقف الداعين الى اللغة الثالثة القائمة على نوع من التبسيط وعلى مفهوم « السهل المتنع » وللقضية وجه اخر يتلخص في النظرة التي ينبغي أن ينظر بها الى مستقبل الادب اي الى تطوره وتجدده ، اذ ليس يكفي ان يقال ان الادب في حاجة الى تطور وتجديد ولكن ينبغي التساؤل عن الاسس والمنطلقات التي تكون الداميك الحقيقية لكل انطلاقة ادبية وفنية جديدة واصيلة . في مجال حديثنا عن علاقة الادب وبالاعلام لا نملك الا أن نسجل بعض النتائج المترتبة عن الارتباط القائم بين هذين الصنفين من المعرفة أو من الثقافة .

فليس من شك في أن الادب أثر في الاعلام وفي الصحافة ، بالذات وامدها بوسائل النمو والتطور وغذاها بالنسخ حين كانت وليدة قاصرة ، والشواهد على هذه الظاهرة قائمة وكثيرة ، وبالمقابل فان الادب تأثر بالاعلام وبنوع خاص منه ، هو الصحافة وكان هذا التأثير ايجابيا في بعض جوانبه وسلبيا في بعض أوجهه ومن مظاهر التأثير والتأثر في هذه العلاقة مالا يجوز القطع فيه براي ووسمه بالايجابية او السلبية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فما يمكن ملاحظته ان المرحلة التاريخية والحضارية الراهنة خلقت صراعا جديدا بين الادب والصحافة ، قد يكون في جوهره نوعا من التنافس والحرص على كسب المواقع وقد يكون معركة مصيرية من أجل البقاء والاستمرار . وهذه المرحلة ذاتها بخصائصها ومقوماتها الحالية هي التي أفضت الى طرح أسئلة تتعلق الآن بالمفاهيم والنظريات وباعادة النظر فيها، ومن هذه المفاهيم والنظريات التي يبدو أنها اصبحت معرضة للاهتزاز والمراجعة مفهوم الادب نفسه ونظرياته المختلفة (نظرية الاغراض ، نظرية الاجناس . . .) واذا كان للاعلام نصيب كبير في ما آلت اليه وضعية الادب والثقافة عموما فما ذلك الا لان الاعلام يعكس مرحلة جديدة حبلى بكل الاحتمالات لانها خطوة جديدة من خطوات المغامرة البشرية لاكتشاف الكون وتحقيق الحلم الانساني .

المــواطن العــربي
بـين استراتيجية الأدب وتكتيــك الأعــلام

نـزيـه أبـو نضـال
« فلسطين »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المحور الذي اخترناه لبحثنا يقع تحت عنوان : « المواطن العربي بين استراتيجية الادب وتكتيك الاعــلام »

واود بداية ان اسجل اختلافي مع العنوان ، لما يشتمله من اشكالات وتناقضات لا بد من ازالتها قبل الدخول في الموضوع .

يبدو واضحا من العنوان ان تعبير « استراتيجية الادب » يقع في الطرف المقابل لتعبير « تكتيك الاعلام » يتعاطى احدهما بالقضايا الكلية والشمولية ، ويتعاطى الاخر بالمسائل الجزئية الراهنة .

غــير ان التحديــد العلمــي لمفهومــي التكتيــك والاستراتيجية ينطلق من وجود تكامل بين المفهومين في اطار علاقة جدلية ، فليست هنــاك استراتيجية بدون تكتيك يوصل اليها كما انه ليس هناك تكتيــك بدون استراتيجية تضبطه وتحدده .

وبالتأكيد فان عنوان البحث لايشير الى ان تكتيك الاعلام هو جـزء من استراتيجية الادب .

وهنا يبرز الاشكال فهل هنـاك ادب تكتيكـي مادمنا نتحـدث عـن استراتيجية الادب ؟ لا نعتقد ذلك . غير اننا في المقابل نستطيع الحديث عن استراتيجية اعلامية وتكتيك اعلامي مرتبط بها الا ان ذلك ليس موضوعنا وليس هو المقصود من العنوان على كل حال .

من هنا وجدنا ان نختار لهذا المحور عنوانا جديدا هو :

« المواطن العربي بين دور الادب ودور الاعلام »

يرتبط موضوعنا بثلاثة عناصر او حدود هي : الادب والاعلام ثـم انعكاسهما على المواطن وعلى مستوى الشكل والنوع ، فالادب هو الشعر والرواية والقصة والمسرحية الخ . .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما الاعلام فهو الصحافة اليومية والاسبوعية والاذاعة والتلفزيون الخ

غير ان الحد الثالث وهو المواطن العربي ترك بلا تحديد رغم ان نسبة كبيرة من الامة العربية لا تكاد بفعل واقع الجهل والامية تتعامل مـع الادب وتتلقى فقط التاثيرات الاعلامية . . مما يقلص الى حد كبير مـن دور الادب ، وتتلقى هذا اذا افترضنا انه قد تجاوز حواجز الرقابة الممتدة من المحيط الى الخليج .

ان مايلفت الانتباه عند النظر الى الادب والاعلام في الوطـن العربـي ان السمة الرئيسية التي تميز الادب هي طابعه العروبي القومي . . ذلك ان هواجس الاديب وهمومه وطموحاته تتجاوز ما هو جزئي وآني ومحلي باتجاه رؤيا شمولية تاريخية رحبـة ، حتى ولـو كان الموضوع الادبـي يتناول هذا الجانب المحلي او ذاك .

من هنا نجد المواطن العربي يتفاعل مع روايات نجيب محفوظ ، وحنا مينة والطاهر وطار وغسان كنفاني ، كما يتفاعل مع قصائد السياب ودرويش وعبد الصبور وكاتب ياسين ، ومسرحيات سعد الله ونوس والفرد فرج ومحمود دياب . المواطن العربي يشعر ان هذا الادب يعبــر عنه وموجه اليه فتكتمل دورة الاتصال والتفاعل ، في المقابل نجد أن الاعلام مسكون بهاجس آخر يكاد يقتصر على الدفاع عما هو راهن سواء كان هذا الراهن انظمة او سياسات او ايديولوجيات .

وهذا الراهن في ظل واقع التجزئة العربية وهو الاقليمية في مواجهة الاقليميات الاخرى الا ترون كيف اصطنع كل اقليم لنفســـه حضارة تاريخية خاصة لها تراثها المتميز منذ آدم أو من عصر القرود .

فهذا فينيقي وذاك كنعاني وهؤلاء أشوريون او سومريون او أنباط أو فراعنة . ومن لم يجد لنفســه تاريخـا قديمـا يستمر مايتوفـر مــن تاريخ قريب فيصطنع لنفسه أمجاداً وبطولات خاصة بهذا القطر او ذاك .

بل حتى الاعلام الوحدوي بات ينظر اليه في ظل هذا الواقع باعتباره شكلا من أشكال التوسع والهيمنة على المنطقة الاقليمية المحيطة به .

المواطن العربي ماعاد يطيق هذه الدعوات الوحدوية لان هذا الاعــلام لا يكف طوال ساعات النهار والليل عن تقديس سلطته وسلطانه ، ولا يكف عن التفاخر بانجازاته ، وتاريخه الخاص ، وشعبه الخاص ، وبفريق كرة قدمه الذي لا يغلب ، لولا الحظ ، وتلاعب الحكام لصالح فريق كــرة القدم العربي الاخــر .

فكيف لا تتكرس التجزئة الاقليمية في ظل هــذا الحقن الاعلامي اليومي ؟ وكيف لا تتحول الوحدة القومية الى ذكرى يغطيها غبار الكلام ؟ يتصل بالطابع القومي للادب طابع بالغ الاهمية وهو ان الادب مسكون بهاجس التغيير والحركة او هو يعبر بالضرورة عنها ويؤثر عليها .

ان الشعر في جوهره هو رؤيا وبشارة وفعل تحريض في الوجدان والعقل . من اجل ان يتغير الانسان ويغير باتجاه الغد الاجمل . الشعر هو مغناطيس المستقبل الذي يشد الروح نحوه بعيدا عن اسر الواقع ، ودائما الى الامام .

والرواية هي عالم التفاصيل والاحداث والبشر ، ولكن الروائي ليس الحكواتي الذي تستغرقه متعة سرد الاحداث والمسامرات ، بل هو القادر على التقاط المفاصل النوعية ذات الدلالات التاريخية المتحركة ، ان الرواية فيجانب اساسي منها هيقصة تاريخصراع الطبقات الاجتماعية. وانظروا الى روايات دستوفسكي العظيم الذي استغرقته تفاصيل النفس البشرية ، كيف كانت تؤشر بوضوح تام الىسقوط مجتمع النبلاءالقيصري وولادة المجتمع الجديد ، وانظروا كذلك الى اعمال كل الروائيين العظام ستجدونها تعبر عن واقع الصراع الطبقي والحركة التاريخية لهذا الصراع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وليس تولستوي وبلزاك وديكنز وشتاينبك وماركيز الا الرواة المبدعين لحركة التاريخ في مجتمعاتهم .. وحتى مورافيا فانه المصور التاريخي لانحلال وسقوط البرجوازية الايطالية .

هذه الحركة التاريخية التي تشكل جوهر الرواية وتؤشر لآفاق التغيير الاجتماعي هي واحدة من السمات الاساسية في الادب .

وهذه السمة نجدها كذلك وان بصورة مختلفة في القصة القصيرة ، انقاص يلتقط اللحظة او الجزء ويسلط عليها او عليه اكبر قدر من الضوء والايحاء فتتحول اللحظة الى دلالة والجزء الى رمز لما هو اعم واشمل على المستويين التاريخي والاجتماعي .. اي باتجاه الدعوة الى الحركة والتغيير .

والمسرح ، هذا المزيج المبدع من الشعر والرواية ، هو لعبة الانماط البشرية التي تتكشف من خلالها القيم الانسانية والاخلاقيات الاجتماعية ،

ثم كيف يحتدم الصراع بين هذه الانماط : الحق والباطل ـ الخير والشر الجميل والقبيح .. الفقير والغني البسيط والخبيث .. الشجاع والجبان .. القوي والضعيف .. الوطني والخائن .. الدعي والمتواضع.. الاناني ومنكر الذات .. الجلاد والضحية .. المناضل واللامبالي .. الخ هذا الصراع بين الانماط هو فعل الحركة في الواقع . ودعوة حارة من اجل انتصار القيم الانسانية النبيلة : الحق الخير والجمال .

هذه القيم التي لا تتحقق الا بالصراع الاجتماعي من اجل العدل والمساواة وحرية الانسان .

والادب بعد ذلك كله ورغم ذلك ليس دعوة مباشرة للتغيير ، ولكنه بما يملكه من سمات ومواصفات له القدرة على الفعل والتغيير في الذهن والنفس . وهنا بالضبط يكمن دور الادب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان ضرورة الادب هي كالضرورة التي وصفها ارنست فيشر للفن فهو « لازم للانسان حتى يفهم العالم ويغيره ... وهو لازم ايضا بسبب هذا السحر الكامن فيه » . هذه الخاصية الحركية والتغييرية التي يتسم بها الادب ، وما يمثله من طابع قومي عروبي شكل واحدة من أهم المرتكزات لوحدة وجدان الامة ولوحدة وعيها وثقافتها كما شكل ولايزال واحدة من اهم المرتكزات للمحافظة على وحدة الوجدان والوعي العربي والدفع به باتجاه التحقق العملي اذا ما توافرت شروط وصول هذا الادب الى المواطن العربي .

ان قائمة طويلة من الادباء العرب على امتداد هذا القرن قد اسهمت في صياغة وحدتنا الوجدانية والثقافية ، وهي التي جعلت ادباء العربية وكتابها يلتقون اليوم في الجزائر كما التقوا بالامس في اليمن ، وقبل ذلك في دمشق وبغداد وغدا في الرباط والخرطوم .

ان احدا منا لا يحتاج الى إعمال االفكر والذاكرة ليستكشف العديد من الاسماء والرموز الادبية التي شكلت وعينا المبكر وجعلتنا نلتف حول ابداعاتها ونتاجها الادبي من مشرق الوطن العربي الى مغربه .

ان الطالب او الدارس العربي في موريتانيا حين يحفظ قصيدة للبارودي أو لشوقي او لحافظ ابراهيم او لخليل مطران لا يتصل فقط بوشائج عميقة مع مصر ، ولكنه يتصل كذلك بطالب عربي يحفظ نفس القصيدة في الامارات او عمان او طرابلس .

ابو القاسم الشابي ليس صوتا تونسيا ولكنه احد منشدي الامة وشعرائها الذين نردد قصائدهم منذ عشرات السنين .

الزهاوي والرصافي واليازجي وابو ماضي وبشارة الخوري وعمر ابو ريشة وابو سلمى وابراهيم ناجي والجواهري والسياب وسليمان العيسى وعبد الصبور وامل دنقل ومحمود درويش وسعدي يوسف وادونيس ونزار قباني وغيرهم ... ان هذه الاصوات هي التي تتربى عليها الاجيال العربية جيلا بعد جيل ، ومع هؤلاء تمتد قائمة طويلة اخرى من الادباء والكتاب من طه حسين وتوفيق الحكيم والمازني وتيمور ومحمد مندور واحسان عباس وجبران واميل حبيب ويوسف ادريس وزكريا تامر وجمال الفيطاني ويوسف القعيد ويحيى يخلف وسهيل ادريس والربيعي والركيبي والعروي .

ان هذه الكوكبة الكبيرة من الادباء تطفو على سطح الذاكرة العربية عنوانا لوحدة الامة ، وتعبيرا عن تعلقها المشترك بها ، لانها صوتها وضميرها ونزوعها نحو هذه الوحدة .

وصلة الامة بأدبائها هي كذلك الصيغة الراهنة لعملية تواصل تاريخي لم ينقطع فنحن نتوحد كذلك بالمتنبي وابو تمام والبحتري والمعري ، كما

نتوحد بامرئ القيس وعنترة وطرفة وعمرو بن كلثوم والنابغة وابو نواس والفرزدق وجرير وأبو العتاهية والاخطل وابن ابي ربيعة وأبو فراس الحمداني وابن زيدون وابن المقفع وابن خلدون والف ليلة وليلة والتغريبة وسيف بن ذي يزن والمهلهل ... وغيرهم غيرهم ...

لماذا نحرص على ايراد كل هذه الاسماء المعاصرة والتاريخية ؟

وما هي صلتها المباشرة بدور الادب والاعلام ؟

للمقاربة من الجواب نقول ان وحدة الأمة ينظر اليها في كثير من الاحيان من خلال ادبائها ورموزها الفكرية .

الا تستدعي الامة الروسية الى الذاكرة اسماء تولوستوي ودويستوفسكي وتورجنييف وبوشكين وتشخوف وجوركي ، كما يستدعي الامة الفرنسية اسماء بلزاك وموباسان وهيجو وفولتير وروسو وسارتر وكامو وجان جانيه ، اليست اسماء ديكنز وشكسبير وبرناردشو وكولن ولسون استدعاء مباشر للامة الانكليزية ؟ ان هذه المقاربة لاتتصل فقط بذكر اسماء ادباء العربية لاستدعاء وجود الامة في زمن التجزئة والتنظيرات الاقليمية ولكنها مدخل للاطلال على دور الادب في صياغة الوحدةالوجدانية والثقافية للامةالعربيةتمهيدا لانجاز وحدتهاالسياسية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهنا تبرز اهمية الخاصية الحركية والتغييرية التي يتسم بها الادب انطلاقا من شموليته وطابعه القومي والتاريخي ، باتجاه الوحدة والتقدم والاشتراكية .

اذا كان دور الادب ينطلق من خاصية الحركة والتغيير ، فان دور الاعلام العربي انما يتسم اساسا بخاصية الثبات والسعي الى تأييد وتكريس الواقع الراهن : واقع التجزئة والتخلف والاستغلال .

ان اجهزة الاعلام العربي وأدواته المباشرة وغير المباشرة ، وبغض النظر عن القناعات الشخصية للعاملين في هذه الاجهزة الاعلامية ، فانهم

عمليا وموضوعيا مستخدمين في هذه الاجهزة المملوكة اساسا من قبل السلطة - سواء كانت هذه السلطة سياسية مباشرة كما هو الحال في الاذاعة والتلفزيون والصحافة المؤممة ، او كانت سلطة الممول والمعلن كما هو الحال بالنسبة لبعض الصحف والمجلات .

هذا الواقع الاستخدامي للعاملين في الحقل الاعلامي ، وفي ظل غياب ابسط المفاهيم الديمقراطية ، يجعل مجرد استمرار الشخص في عمله الاعلامي مرهون بموقفه من هذه السلطة وبمدى قدرته على الدفاع عنها ، وبمدى قدرته كذلك على مهاجمة خصومها سياسيا وفكريا .

ومثل هذا الدور المنوط بالاعلام العربي ، وما وصل اليه من انحطاط في تاليه السلطان وبرش البخور على كل خطوة يقدم عليها او على نقيضها، حول الاعلام العربي الى مجرد بوق او دف ، كما حول الاعلام الى مفتي للسلطان قادر على تحريم وتحليل المواقف ونقيضها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا النهج الاعلامي السائد يقود بالضرورة الى تكريس الواقع وتاييده والدفاع عنه في وجه اية عملية تغيير .

اما التغيير الوحيد الذي يدعو اليه هذا الاعلام فهو ذاك الذي يطالب الاعلام فقط بحدوثه خارج الحدود اي في الاقطار العربية الاخرى .

ولان هذا الاعلام فقد مصداقيته امام المواطن العربي ، فان مثل هذه الدعوات لا تفعل اكثر من تكريس الاقليمية فما هو النموذج العربيالقائم الذي يدفع مواطني الاقطار العربية الاخرى للاحتذاء به لدعاويهالاعلامية .

ان الاعلام العربي السائد يفتقر الى ابسط شروط العمل الاعلامي الناجح في الوصول الى الناس والتاثير بهم وجذبهم باتجاه القضية او الموقف الذي يتبناه هذا الاعلام .

ولعل ابرز هذه الشروط ما يلي :

١ ــ الخطــة :

ان اعلاما لا يقوم على اساس خطة اعلامية متكاملة لا يستطيع انجاز الاهداف المطلوبة منه في حشد القوى الداخلية حوله . وفي كسب الراي العام الى جانب قضاياه .

وبديهي ان غياب الخطة الاعلامية انما هو انعكاس لغياب الخط السياسي المحدد والواضح . فالمواقف العربية لا يرسمها حزب او نظام وانما يفرضها الزعيم او السلطان وهذه المواقف معرضة بسبب ذلك الى التغيير بسبب انقلاب المزاج أو انقلاب التحالفات .

فالاعلام اليوم يتبنى هذه القضية ، ولا يلبث ان يتخلى عنها غدا ، وهو يهاجم النظام (س) متهما اياه بالعمالة ليقيم معه غدا مشروعا للوحدة والولايات المتحدة ، في لحظة عدوه الشعوب . وفي اللحظة التالية في الاحضان الخ . . ان العمل الاعلامي هو عملية بطيئة متكاملة ومنسجمة ومتواصلة واذا ما افتقد الى ذلك وراح يتخبط بين صعود وهبوط وينتقل من الموقف الى نقيضه فقد قدرته ودوره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ التغطيــة :

لا شك ان اول ما يشد المواطن الى الاجهزة الاعلامية هو من اجل الحصول على المعلومات الاخبارية .

الاعلام العربي في معظمه لا علاقة له بضرورة توفير التغطية الاخبارية لمواطنيه ، فهو يمكن ان يتجاهل خبرا يحتل صدارة الاخبار في العالم او هو يقزمه الى ادنى حد ، كما يمكنه ان يختلق خبرا لا اساس له او يضخمه كما يشاء .

عند هذا الحد فان المواطن يدير ببساطة مؤشر الراديو ليستمع الى الاخبار من اية اذاعة اخرى . وليقع بالتالي تحت تأثيرها ومخططها .

اليست اذاعة مونت كارلو واذاعة لندن مسموعتين في الوطن العربي اكثر من اية اذاعة عربية لهذا السبب ؟

٣ ــ الصــدق :

الاعلام العربي يكذب على الدوام ، ويكذب كما قال احد الزملاء حتى في النشرة الجوية وانباء الطقس .

ولان الكذب حبله قصير فان المواطن سرعان ما يكتشف الحقيقة ومع تكرار الكذب لا يلبث المواطن العربي ان ينصرف عن اجهزته الاعلامية بحثا عن مصادر اكثر ثقة وصدقا .

ان ثقة المواطن بصدق اعلامه شرط اساسي من شروط تواصلـه مع هذا الاعلام .

فمن منكم يسمي لي جهازا عربيا واحدا يحظى بثقة مواطنيه ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ــ المبــادرة :

ان الاعلام يعتمد اساسا على المبادرة وسرعة التحرك في اطار الخطة الاعلامية ولكن عندما تغيب الخطة ، وعندما يرتهن اي موقف اعلامي براي الزعيم الاوحد ، فان المبادرة وسرعة التحرك الاعلامي تختفي لان صاحبها يفضل ان يلوذ بالصمت على مبادرة قد تكلفه عمله وربما ما هـو اكثـر .

٥ ــ التعددية :

في معظم الاقطار العربية هناك اكثر من صحيفة في كل قطر ولكنهـا جميعا ليست سوى نسخ كربون عن بعضها وعن وكالة الانباء الرسمية ، وهي تتشابه الى حد الملل مع الاذاعة والتلفزيون . وهذه احدى مظاهر غياب الحياة الديمقراطية ، وغياب المنابر الاعلامية المتعددة التي تجعل

المواطن قادرا على محاكمة الراي والراي الاخر . مما تدفع هذا المواطن بالتالي الى البحث عن المنبر الاخر في غير مكان الراي الواحد .

ان صورة الاعلام العربي الراهن تظهر لنا بوضوح اننا لا نمتلك اعلاما حقيقيا ، ولكننا نمتلك اجهزة للدعاية والاعلان عن المعروضات السياسية، وآخر صرعات الموضة الايديولوجية وما توصل اليه هذا النظام او ذاك من منجزات في عالم الزراعة والصناعة التي لا تتم مباشرة العمل فيها الا بعد ان يفتتحها الزعيم او السلطان قاصا الشريط الحريري بيديه .. الكريمتين . حتى ان احد الظرفاء علق على هذا المشهد المتكرر في الاعلام العربي بقوله ان تكاليف افتتاح مشروع ما باتت تزيد عن تكاليف المشروع نفسه الا ترون الملك او الرئيس تحيط به حاشية كبيرة من الوزراء والمدراء والخبراء والمخبرات والسيارات من اجل قص شريط ثم ما يعقب ذلك من مآدب عامرة يقيمها المحافظ او مدير الناحية على حساب خزينة الدولة ؟

ARCHIVE http://archivebeta.Sakhrit.com

هذا الاعلام العربي هو وحده الذي يحظى بالرعاية الحقيقية بالدعم اللا محدود فتوضع في خدمته الاذاعات المتوسطة والطويلة والموجهة وتقوى له اجهزة البث والارسال التلفزيوني وترصد لصحفه ومجلاته اكبر الامكانيات والميزانيات وتوظف فيه افضل الكفاءات وباعلى الاجور .

ومن خلال هذه الامكانيات الهائلة ، وفي ظل منظومة التضامن العربي سيئة الذكريات بامكان هذا الاعلام ان يعبر الحدود ويصل الى المواطن العربي في كل مكان ، ليمارس عليه اسوا التأثيرات .-ذلك ان دور الاعلام والاجهزة الاعلامية يطال كذلك مختلف شؤون الثقافة والادب والفن ، ولكن تناول هذه المجالات يتم بدوره من منظور الجهل الاعلامي والامية الثقافية. ومن هنا لم يعد غريبا ان يتشوه ذوق المواطن بالافلام والمسلسلات الهابطة والبرامج الرديئة والاغاني السطحية التافهة ، وان يتراجع الاهتمام والوعي بكل ما هو عظيم واصيل في حياتنا الفكرية والثقافية والفنية .

وقد اتيح لي كما أتيح لعدد من الزملاء الفرصة المباشرة للاطلال على حجم الانهيار الذريع في ثقافة المواطنين ، وخاصة لدى الاجيال الطالعة حتى في الجامعات .

واذا كانت شهادة الست ام محمد التي قدمتها مجلة الطليعة المصرية ولم تميز فيها بين الفلسطينيين والاسرائيليين تقدم عينة صارخة عن مستوى الامية السياسية في الاوساط الشعبية بعد عشرين سنة من الثورة ، فان شهادات اخرى قدمت من الاوساط الجامعية تكشف مستوى لايصدق من الامية الثقافية والسياسية . ففي مسابقة شاركت بها بنفسي للطلبة الجامعيين في بيروت فان احدا من المتسابقين والحضور وكان عددهم يربو على السبعين لم يعرف من هو « هوشي منه » أو نجيب محفوظ أو جيفارا او الشيخ عز الدين القسام وغيرهم كثيرون من الرموز الثقافية والسياسية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي استطلاع آخر اجراه الزميل ممدوح عدوان في جامعة دمشق تكررت نفس الظاهرة المأساة فلا احد قد سمع بسيد درويش أو كتاب الايام ولكن الجميع يعرفون ترافولتا وآخر صرعات الديسكو والاغنيات الهابطة .

ان ذلك كله هو بعض ثمار الثقافة السائدة التي ترعاها الاجهزة الاعلامية العربية وتعممها ، وهي تشكل استمرارا لنهج متكامل يبدأ من البيت الى المدرسة الى الجامعة ، وهذا موضوع آخر ليس هنا مكانه .

وقد يتساءل المرء لماذا يهتم الشباب اليوم بمسائل الديسكو ولا يهتمون بقضايا الوطن والفكر والثقافة .

ان الاجابة تمتد لتشمل حياتنا الراهنة بكاملها نهجا وأسلوبا وتربية ولكنني اعتقد ان الجذر الحقيقي لهذه الكارثة ، انما يكمن اساسا بغياب

الحريات والمنابر الديمقراطية التي تفسح امام المواطنين المجال للاطلاع والمعرفة والمقارنة ، وحرية المشاركة في النشاطات السياسية والثقافية بعيدا عن كوابيس القمع والارهاب المباحثي والبوليسي ، وبعيدا عن احادية التوجه الاعلامي والثقافي السائد .

اذا كانت هذه هي صورة الاعلام الراهن ، وبعض انعكاساته على المواطن العربي ، فما هو واقع الادب العربي ؟

ان الادب ليس كتابا في مطبعة او على رف مكتبة ولكنه علاقة بين كاتب وقارىء ... بين المبدع والجمهور .

فما هي حقيقة هذه العلاقة في واقعنا العربي .

ان امة يزيد عدد سكانها على المائة والخمسين مليون نسمة ولا تطبع من دواوين او روايات او مسرحيات افضل ادبائها اكثر من بضعة الاف ولعل الرقم ثلاثة الاف كما يعلم معظم الادباء هو الاكثر تداولا لدى دور النشر . وهذا الرقم المتواضع قلما ينفد الا بعد مرور سنوات .

فما هي الاسباب الكامنة وراء مثل هذه الارقام الخجلة والمحزنة في ثقافتنا المعاصرة ؟

لا شك ان مجموعة كبيرة من المكونات والعوامل قد ادت الى مثل هذه النتيجة الفاجعة لعل من ابرزها :

١ ـ الامية التعليمية :

ان نسبة الامية التعليمية في الوطن العربي تصل الى ارقام مخيفة ، وهي تزيد في بعض الاقطار عن الـ ٧٥ ٪ وهؤلاء لا تربطهم بالكتاب المطبوع اية رابطة . ويضاف لهم اعداد كبيرة ممن تجاوز مرحلة الامية دون أن يصل الى الكتاب وهؤلاء يصعب حصرهم .

٢ ـ الامية الثقافية :

وهذا النوع من الامية يتصل بأساليب التربيـة ومناهج التعليم وبالثقافة الاعلامية السائدة التي تصرف اهتمام المواطنين باتجـاه الانماط الاستهلاكية الهابطة في الفن والادب والثقافة .

٣ ـ حواجز الرقابة العربية :

ان عددا كبيرا من الكتب الهامة والجادة لايمكن ان تخرج من حدود البلد الذي طبعت فيه بسبب قيود الرقابة التي تفرضها اجهزة المخابرات العربية . هذا اذا ما اتيح لها اصلا ان تطبع في بلدها نفسـه . والى جانب هذه العوامل الاساسية هناك أسباب عديدة أخرى تتصل بالادب نفسـه وبمدى توصيله للجمهور وبحياة الاديب ومعاناته وحقوقـه وانظمة دور النشر ... الخ ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في ظل هذا الواقع الذي تعيشه الحركة الادبية العربية وفي ظل هـذا الانقطاع الكبير في العلاقة بين الكتاب والجمهور فان الادب لم يتمكن الى حد كبير من اداء دوره في حياة الامة ، وبقي بالتالي على هامش الحركـة الجماهيرية محصورا في دائرة اهتمامات عدد محدود من المثقفين .

ان حصيلة الواقع الاعلامي والادبي في بلادنا تدعو للرثاء والسخرية فالادب الذي يجدي ويغير ويفيد ويمكن أن يسهم في اضافة عناصر وعـي جديدة ومتقدمة في حياة الامة لا يصل الا بأضيق الحدود . والاعلام العربي الواسع الانتشار والقادر على الوصول الى ابعد قرية في الوطن العربي لا يفعل اكثر من تشويه وعي المواطن وتخريبه بكل ما هو سلبي وهابط .

فهل يكون غريبا والحال كذلك ان تكون صورة الوطن العربي علـى هذه الشاكلة البائسة القائمة الان ، وان تكون حركة الثورة والجماهير العربية على هذه الدرجة من التراجع والانحسار ، وان يكـون المواطـن العربي على هذا المستوى من الامية والاستلاب .

ثم اليس هذا الواقع كله هو الافراز الطبيعي للبنية الفوقية السائدة في الدساتير والانظمة والحقوق والتعليم والسياسات والايديولوجيات الخ ...

وهل يستطيع الادب ان يؤدي دوره في ظل مثل هذا الواقع ؟ وهل يستطيع الاعلام كذلك ان يلعب دوره في التنوير والتثقيف ونشر الوعيّ والمعرفة ما دام اسيرا للشروط القائمة ؟ .

ان ثورة الادب والاعلام لا بد ان تكون جزءا من ثورة شاملة في جميع مرافق حياتنا ، وهذه الثورة هي في جوهرها ثورة وطنية وطبقية في آن واحد ، وعنوانها الاساسي الذي يجب ان يتقدم على كافة الشعارات والعناوين هو الديمقراطية .

ARCHIVE

واذا ما تمكنا من انتزاع قليل من الديمقراطية فسنكون قادرين على تحريك العالم ، كما قال أرخميدس ذات يوم . وبدون ديمقراطية سنواصل انحدارنا المريع نحو القاع المثقوب ، ومعنا المتنبي وخليل مطران ومحمود درويش وعلى انغام الديسكو واغاني ترافولتا والاناشيد الوطنية .

* * *

الموقف الثقافي والموقف الاعلامي

نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف

الطاهر بن عائشة
« الجزائر »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الموقف من حيث هو موقف ، سواء كان ثقافيا ام اعلاميا ، يعني انحياز ، المثقف ، او رجل الاعلام ، الى قضية ، او مجموعة من القضايا المعينة ، يدفعه الى ذلك موقعه الطبيعي ، والقومي من هذه القضية ، او تلك. فالموقف بصفة عامة يتحدد على اساس علاقة الانسان بالقضية سلبا وايجابا، وهكذا نجد ان القضية الواحدة، يمكن ان تتعدد حولها المواقف الاعلامية ، والثقافية ، حسب انتماءات الناس الطبقية والقومية والاممية . وحسب علاقة الانسان بالقضية المعنية قربا وبعدا ، فمن وجهة النظر هذه يمكننا القول بان موقف الانسان ، سواء كان رجل ثقافة او اعلام ، يتحدد وفق منظور معقد ، تتداخل فيه ثلاث دوائر ، هي دوائر الطبقية

والقومية ، والاممية . التي ينتمي الى ثلاثتها كل الناس ولو لم يعترفوا بذلك . بحيث ان لكل من اليمين ، او اليسار رؤيته الخاصة ، التي تحدد موقفه من مجريات الاحداث . التي يتعين اتخاذ الموقف في شأنها .

هذا تعريف عام ومُختصر ، للموقف الثقافي والاعلامي ، من القضايا التي تجابه الانسان . وهو يكافح من اجل حقه في الحياة الحرة الكريمة .

يبقى علينا تحديد النقاط البارزة التي يلتقي فيها الموقف الثقافي ، بالموقف الاعلامي . وتلك التي يفترق حيالها الموقفان .

فابرز نقاط الافتراق هي برايي تتمثل في الآتي :

الجمالية : يتميز الموقف الثقافي ، عند القيام به من طرف الاديب والفنان . بالصياغة الجمالية ، لتصوير الحدث وتقديمه ببراعة ابداعية حسب حدود موهبة الاديب والفنان ، وحسب عمق احساسه بالفكرة او الحدث المقصود بالتناول .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بينما يكتفي رجل الاعلام ، بعرض موقفه من الحدث ، باسلوب مباشر ، وبقوالب وصيغ لغوية تتسم عادة بالتكرار ، والبساطة ، فادوات رجل الاعلام اللغوية ثابتة الى حد كبير ، فهي تشبه ادوات العامل في المزرعة ، او العامل في المصنع ، في حين تشبه ادوات الاديب والفنان ، عملية الباحث الذي يبحث باستمرار عن جديد يكتشفه ، ومجهول يرفع عنه ستار الغموض والابهام .

وهذا لا يعني عدم وجود رجال اعلام موهوبين يقدمون مادتهم من اخبار وتعاليق وتحقيقات في اساليب مسبقة تتميز بالمهارة التقنيــة ، وبمسحة من الجمال ، وعمق في تحليل الاحداث . غير ان كل ذلك لا بد وان يتسم حتما بالسلاسة والمباشرة التي تقرب الفكرة والخبر من اذهان الجماهير . وهو الشيء الاساسي في موضوع الاعلام . بينما يصر اغلب الفنانين والادباء على تجاهل حق جماهير الشعب في الاستمتاع

بخيرات ابداعهم ، التي تقدم في اشكال معقدة الرموز ، ومكفنة بعتمة دكناء ، من ضباب السريالية ، والتكعيبية ، والتجريدية ، وما شابه هذا وذاك من الطلاسم التي تعزل الموقف ، وتبعده خارج دائرة الجماهير ، التي هي البداية والنهاية بالنسبة لاي موقف ثقافي او اعلامي .

ـ الذاتية . يتميز الموقف الثقافي بالنزعة الذاتية . اعني ان الاديب والفنان ، ينطلق في غالب الاحيان من حلم ؛ من تصور ، يتأمله داخل وجدانه ، وينطلق به سابحا في واد عميق الى ان يصل به الى الواقع ، او الذي سيقع بينما يتميز موقف رجل الاعلام بالموضوعية الصارمة . بحيث ينطلق من الواقع كما هو في الحياة ، ليلف به من جميع جوانبه وزواياه . وينتهي عند الحديث عن الواقع . بعبارة اخرى الموقف الاعلامي الصحيح هي أن نقول للجماهير كل الحقيقة بدون خيال او تزوير للوقائع والاحداث ؛ مهما كان طعم هذه الحقيقة حلوا او مرا ، والا سقط رجل الاعلام في بؤرة خداع الجماهير وتضليلها ، وبذلك يفقد الاعلام ثقة المواطن ، لانه فقد مصداقيته . . بل فقد جوهره بالمرة .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ الخلود ، والظرفية . يتسم الموقف الثقافي الصحيح بالخلود والبقاء . كل الاشياء تبهت وتشيخ ، ويدركها الفناء ، الا الموقف الثقافي الاصيل ، فانه يحتفظ بنظرته ، وتوهجه السحري ، كنجوم السماء ، الى أن يتوقف الفلك عن الدوران . في حين ينتهي الموقف الاعلامي ، مباشرة بعد ان يلعب دوره ، في تنوير وصياغة الراي العام ، وتصحيح أخطائه ، ومن ثم ينزوي في اروقة الماضي ، ليتحول جزء منه الى مادة لكتابة التاريخ . ويندثر الباقي في حقل العدم والفناء .

٢ ـ ما يلتقي فيه الموقفان :

ـ كل من الموقفين ، يقدم متعة روحية ، تدخل على نفس المتلقي ، شعورا غامرا ، بالرضاء والاحساس بالسعادة . وذلك اذا كان الموقف يتسم بالصدق الفني ، او الصدق المباشر . ففي كلتا الحالتين ، يتلقى

القارىء او السامع او المشاهد ، اضافة معرفيـه لحصيلة معارفه وخبراته ، ووعيه بماهية الاحداث التي تجري من حوله . ان الاوهام الفنية ، والاكاذيب الاعلامية ، تتناقض مع وجود الموقف ، الذي يتطلب الصدق الواعي بحقيقة الاشياء ، وليس صحيحا انه بحجة التجديد ، او المصالح السياسية الطارئة يمكننا اتخاذ موقف يقدم الحقيقة مشوهة بل مزورة في بعض الاحيان . فموقف على هذا يعد جريمة في حق الراي العام ، وخيانة للشعب ، الذي من حقه ، ان تقدم له المعلومات ، والمعارف صحيحة ولا يشوبها نقص او تشويه .

ـ في ايام الهوان ، والتمزق العربي هذه ، تعظم مسؤولية المثقف ورجل الاعلام اكثر من اي وقت مضى ، اذ المطلوب اتخاذ موقف صارم ، ضد وضعية الاغتراب والاستلاب ، التي فرضت على جماهيرنا بأساليب مختلفة ، جعلت مجتمعاتنا المغسولة المخ تقف حائرة امام ما يجري حولها من خزي وعار ، وخيانة ، وتشتت وفاشية متخلفة .

ان الموقف الحقيقي ، هو في العمل على تحرير الشعب اولا من الارهاب السياسي « الوطني » وطغيان الحكام . وذلك بتمكين الجماهير من حقوقها الاساسية ، في الامن السياسي ، وحرية الراي ، وحقها في الاعتراض على المواقف والسياسات المغلوطة بل الخائنة منها .

ان بناء راي عام صحيح ، لا يتأتى الا بنشر الآراء الاخرى ، دون ضغط او ارهاب . ان غياب الديمقراطية الحقة من مجتمع ما . يعني بالضرورة غياب ذلك المجتمع نفسه ، من ملحمة الحياة .

هل يمكن ان نتصور ازدهار الحياة ونموها ، في وضع تهميش الشعب ، واكراه قواه الحية على السمع والطاعة فقط ؟ واللحاق بالركب ، وراء وعي الشعب وحضوره الفكري ، كمن يضع الدواء على الرجل الخشبية .

شعر

حوارية الغريب

ابراهيم نصر الله
«الاردن»

قصة

السراب

قمر كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر

حوارية الغريب

ابراهيم نصر الله
«الاردن»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

افقٌ يتساقطُ
ونوافذُ مشرعة للضوء
وللوقت الاخر في الطرقات
خطى تتعثرُ
ولدٌ اسمرُ
من اغواكَ الآنَ لتهبطَ في هذي الأرض ؟
من اغواكَ لتخلعَ اشجار الجوز
بذورَ الايام

ومن اغوى طائرك - القلب
ليقايض شمساً .. وفضاءً
بنوافذ وسطوح
من اغوى هذي الروح
هل تسمع خطوات الفلاحين
وعصفور الفرح المخلوع
ورعود الطعنة في الصدر
هل تسمع صوت الصخر
وطبول القرية
ووعول الاعشاب
هل تسمع ؟
- اسمع ..
اسمع !
افق يتساقط
وخطى تتعثر
ولد اسمر
ونحيل مثل يدي امي
عينان مشردتان
سنونو يتنقل بين الماء وبين النار
دم يكتسح الغيمة فيكون الاعصار
وغزال يشرب صمت الليل الراعش
تتبعه الانهار
طعنته الاولى .. رحلته
إبتدات من حمى الاوتار
وعلي يشبه اغنية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إبتكرت مزماراً
وفضاءً
فرمتها الشرطة بالاسفار
خطى تتعثر

.. هذي الموسيقى هل سكنت اوردتي قبل الدم ؟
هل سكنت جسدي قبل الحلم
هل سرقت روحي
هل زرعت بدل الروح الغيم
لارحل مبتعداً
افقاً يتساقط في مدن ضيقة كالهم ؟
خطى تتعثر
ولد اسمر
يتساءل
إذ يمشي في مدن نائمة
تحت الشرفات المختومة
كيف اجمع بين غياب الطائر والاغنية
وكيف ارى الغابة تأتي
من غير وعول
كيف ارى الاشجار ولا المس خضرتها
كيف اعانق إمرأة ..
لا يجري فيها النيل ؟
وكيف سارقص هذي الليلة مجنوناً
من غير طبول
« مجنونا »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارقص
اعرفُ .. اعرفُ
هذي الحمى تسبقني
وطني ..
يا وطني
يا وطني
هذي الحمى تشبهني
إذ اسكن صمتَ الطرق الليلية تسكنني في مدنٍ
اخرى .. ونساءٍ من لهبِ الغربةِ ..
وزجاجٍ يكسرني

خطى تنتشرُ
ولد اسمرُ
منذ ثلاثة ايامٍ ..
او اكثرْ ..
ما جدوى ان ندخلَ في الوقتِ ؟
لكن نكبرَ ؟!
منذ ثلاث ليالٍ يبحث عن قيثار
هذي الأشجار الملونةُ تتيبسُ في كفيهِ
وفوق رؤوس اصابعه يرتفع الثلجُ
ثلاثة ايام بلياليها
تضرب ذاكرةَ الغابةِ فيه رماحُ الموج
قيثارٌ يكفي
اغنية تكفي
امنية واحدةٌ تكفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان ارقصَ هذي الليلةَ
ان اطلقَ صوتي في الريحْ
ان اغوي شمسي بصهيلٍ غجري
ان احترقَ الان كزنجي
ان اعزفَ حتى اسقطَ
او يرتفع القيثارُ
وترتفع الاوتارُ
وترتفع الدنيا

.. افقٌ يتساقطُ
وخطى تتعثرُ
ولد اسمرُ
وعليٌّ يسالُ ..
كم تسالُ
سرقتني اغنيتي
لم تترك لي وقتا اجمعَ ايامي
لم احملْ امنيةً في صدري
غير الغابةِ
اتعبُ احيانا
تاخذني مثلَ صفار الغزلانِ
تغطي جسدي بالاعشابِ
وتفتحُ لي ينبوعاً في الرملِ .. وفي النسيانْ
وتتركني اتلوحُ بالخضرةِ
قد ابدو تعباً بعضَ الشيءِ الانْ

قد ابدو اكثرَ حزناً من إنسانْ !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قد ابدو محترقاً بعضَ الشيء
لكني إذ المسُ قيثاراً
او سيدةً يجري فيها النيلُ
اعود إلى سيرتيَ الاولى :
نصف دمي وطنٌ .. والاخرُ بركانٌ

افق يتساقطُ
وخطى تتعثرُ
ولد اسمرُ
حملتني اغنيتي
فاعادتني امي للحلفاءُ
سرقتني اغنيتي والريحُ
وفي الصمتِ الصاخبِ
رفتْ اجنحةٌ زرقاءُ
قلتُ رحيلي يورقُ
لكن الصحراءُ
سبقتني ..
احرقت الخطواتِ وكلَّ حقولِ الماءْ

فيا فقراء الارصفةِ
ويا شعراءَ الدمِّ المتكاثر في الريحانْ
هل هذي « عمانُ »
هل هذي نجدٌ ام تطوانْ
هل هذا القمرُ المشنوقُ على شرفتها
خبزٌ للاطفال ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل هذي الصرخةُ موسيقى اللحم البشريّ
أم الاعراسُ ؟
هل هذا الصمتُ ..
غناء للناس ؟
هل هذا الماء الطيبُ بعضُ
من سمٍّ الكاس ؟
خطى تتعثرُ
ولد اسمرُ
مطر خطواتُ ..
واجهةٌ تلمع .. قيثارٌ بين العينين تماماً ، سيدةٌ
في الركن ، وموسيقى غامضة ، فالابواب مغلقة
تنطلق الغاباتُ
تحلق اشجارٌ
انهارٌ
وظلالٌ
إيقاعٌ
صلواتٌ
قيثار بين العينين تماماً
والجسد جهاتٌ
مجنون انتٌ
مجنون كفراشةٌ
مجنون مثل « طيور الشوك »
إذ تخترق الموتَ بصدرٍ عارٍ
إلا من فرحٍ فطري
مجنون انت

مجنونٌ
مجنونٌ
تخطو
تجتاز العتبةَ
هذا الثلجَ الصامتَ فوق اصابعِ كفيكْ
يقترب القيثارُ
تجتاز اللحظاتِ الموقوتة
يقترب القيثارُ
السيدةُ الانَ تقلبُ دهشتها
ولد اسمر
وخطى تتعثر
يقترب القيثارُ
تفاجيء صدركَ
واصابعكَ الراعشةَ الموجَ
بحريرِ الخشبِ الناعمِ
ينهمر الدفءُ
وتنسى الغربةَ ..
او تنساكَ قليلاً
وطني ..
يا وطني
يا وطني
ساحرة هذي اللحظةُ
واليفٌ هذا الفرحُ الغامرُ
وتغني
« من اي صحاري الارضِ :

ساقتطع الينبوعْ
موسيقى الخطوات المذبوحةِ
تطعمني جسدي وتجوعْ
والشجر الباسقْ
يسرق هذي الدهشة َ حين يداهمني عصفورٌ
او وطن مخلوع
والحلمُ هنا
وساقصدُ ان الحلم هنا وهناك
دمٌ .. وفمٌ مشموع
في ايٍّ بلاد الله سافتحُ نافذتي
واري الايامَ تطوقني بالإلفةِ .. لا بالاسفارْ
في إي بلاد اللهِ
ساطلق خطواتي للطرقِ
وللمطر الغضيٍّ
فلا تلسعني رائحة الدمِّ
واشلاءُ اللحم البشريِّ على الاشجار ؟
في اي بلاد اللهِ
سابدا اغنيتي
او انهي ايام التعب الازليِّ
وازرعُ في الشرفةِ شعراً
او ازهار
يا سيدتي !!
يحزنني
اكثر ما يحزنني
غربةُ هذا القيثار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واوردتي تلك الصافيةَ
وتدعى في العادة اوتار
يحزنني اكثر ما يحزنني
ان الشمسَ هنا اسرار
وان الحلم هنا اسرار
وان الفرحَ الاخضرَ في هذي الارض
يد لاحت ذات مساء من نافذةٍ قطار
يا سيدتي !
يكفيني بعضُ الدفء الليلة
كي اعبرَ سنواتِ النار
واطل على عمري المتوزع في الانهار
يكفيني من هذي الاغنية المذبوحة شجرةٌ
تكفيني من ايام الجمر
وامتعني ثمره
يكفيني ان اكسر في جسدي
الموتَ ، وتيجان السحرة
يكفيني ان اغفو وانام
بعيدا عن عهر يقتلني في صلوات الكفره
سيدتي سوف اتوج هذا التعبَ الليلةَ
بالحمى
واريقَ النهرَ على صدري بلداً
واريق الفيما
واقول لامنية عبرتني
إمتشقي كفي عنوانا
ويدي ذاكرة .. جسما »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدن تتعثر !
ولد اسمرُ
تصحو
ما زال القيثارُ
وبعض اغاني الدمِ على شفتيكَ
في اقصى القلب تماما
شجر يعدو
سحب تعدو
لكنَّ الغربةَ والبوليس
وصمتَ الظلِّ
وكلَّ الكلِّ
عليكْ
تعبر عينيك الشمسُ
حديثٌ لم يبدأْ
يحزنني اكثر ما يحزنني
ان الجوعَ هنا مرفا
وانَّ الصمتَ
وراسَ الحربةِ
والطعنةَ مبدأْ
تطالعك السيدةُ الانَ
وتسالُ هذا القمرَ النائمَ في فلواتِ القهرِ

ــ اترحلُ ؟
* لا ارحلُ
لكنَّ الطرقات تفرُّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.sakhrit.com

فاتبعها
لالمَّ الطفلَ الضائعَ في وحشتها :
قلبي
او اطويها في لحمي
كي اوقفها
ــ اتحبُّ الخبزَ
★ احبُّ الوردَ فاحيا سيدتي بالخبزِ
احبَّ الخبزَ فاحيا سيدتي بالوردِ
ــ كم يومٍ مر عليكَ بلا زادٍ ؟
★ عمري
ــ كم وطن مرَّ عليك بلا ارضٍ ؟
★ وطني
ــ والايامُ
كيفَ ترى الايامَ هنا
★ طيبةٌ بعض الشيءِ
وقاتلة اكثر
والعمرُ يمرُّ علينا الان لكي نكبرْ
ــ والطرقُ .. الاضواءُ .. الشرفاتُ
كيف تراها
★ غامضةٌ مثل الموتِ
ولامعةٌ مثل الخنجر
ــ والمدنُ هنا
كيف تراها ؟
★ لا تشبه صوتَ الناسِ
ويشبهها العسكرْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ والموسيقى
كيف تراها

★ سيدتي ..
يلزمني صمتي لاجيبَ
لاقولَ .. رمادي الاخضر

ـ هل تزرعُ اشجاركَ في هذي الارضِ وتبقى

★ الرحلة ابقى سيدتي
وغيابي ابقى

سيدتي ..
قد غرّبتُ الدنيا
وتغرّبتُ
لكني حين جمعتُ العالمَ
وتكسّرتُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اتيتُ هنا
قلتُ : اغني للوطن العربيّ
اغني للفرح السريّ
اغني للازهارَ
اغني للاوتارِ
اغني للاغنيةِ
اغني للعليّ

« بلاد العرب اوطاني
من الشام لبغدانِ
ومن نجد الى يمنٍ
الى مصرَ فتطوانِ »

ها .. ها .. ها .. ها
ـ اتكشفُ هذي النجمةُ في عمانَ جراحكَ
* يكشفها جرحي
لا تعنيني الاسماءُ كثيراً
في تعبي اختلطتْ كل المدنِ .
لا اذكرُ
إني لا اذكر اين اكتملتْ دائرةُ الموتِ
هنا .. ام في الخرطومِ
هنا ام في اسوان
هنا ام في جده
وهنا ام في بغدادْ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اتعبني تعبي
مقصلةٌ
إبتلعتْ شعباً وبلادْ
اتعبني صوتي
اتعبني موتي
اتعبني هذا القلبُ الطائرُ
اتعبني تعبُ الاجدادْ
يا أجـداد !
هل خنتم دمَنا
واللغةَ الفصحى والاولاد
حين رحلتم
وتركتم لعيونِ صغاركم الخونةْ
وكلابَ الموت

هل ختتم هذا الوقتْ
ام خنا شجرا يطلع في فلواتِ الروح غريباً
ويموتُ غريبا
هل ختتمْ
ام خنا
ام خانوا الشمسَ الطيبةَ ..
الحلمَ الطيبَ
« ذاكرةَ الدمِ »
وظلَّ البيتْ

يا سيدتي ...
مدنٌ تتعثرُ
وزمانٌ يكبر فينا
اذ نبتلعُ الصوتَ ..
ساصرخُ
وانادي ذاك الولدَ الاسمرَ
وضحايا العصر الدمويّ
عليٌّ .. عليّ ..
كان سجونَ الموتِ المزروعة في النيلِ
تراها الان هناكَ
وانت هنا
وكلابَ الشرطةِ
انت تراها الان هناكَ
وانت هنا
والجوعَ الكاسرَ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انتَ تراه الان هناكَ
وانت هنا
فكانَ النيلَ الاسرَ
ينبع من مراكشَ
يجري حتى تنكسرَ الشمسُ هنا
فكانَ النيل هنا
وكان القربةَ تشربُ عينيكَ الانَ هناك
كانك تكتشفُ العالمَ
في لحظة صمتٍ
او لحظة موتٍ

وكان الوقت يمرّ علينا الان لكي نكبرَ
او نتوارى
وكان العطشَ المجنونَ تشققَ في الاعماقِ
وهذي المدنُ صحارى
هل نكبرُ حقاً
كيف كبرنا ؟ !
إني اعلنُ هذي اللحظةَ
ميلادَ طفولتنا
اعلنها بيديَّ
بأوتار القيثارِ
وبالاسرار المنحازةِ حين افجرها
أعلنها
اني امضيتُ العمرَ
وافنيتُ غنائي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانا اختلسُ الايام
الان ساصعد قمة هذا الحلمِ
واقطفها
وامدُ يدي في حلق الذئبِ
وارجعُ جثتيَ المنسيةَ منذ قرونْ
الان ساصرخ لي كفانِ
ولي امنية وجنونْ
الان ساحلمُ
واحاورُ بارودَ الحلم
وانشدُ واصادقُ كلَّ سهوبِ الغيمْ
الان ساختم هذا اليوم
بصورةِ امي
وعيون النيل
واترك نافذتي مشرعةً للشمسِ
تمرّ على جسدي ..
طيبةً كالحناءِ
وهامسةً لي
كم تبدو يا هذا الطفلُ شقياً
ونحيلُ !

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة

السراب

قمر كيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جاء موتي اعتباطيا وسخيفا والى حد مضحك من السذاجة ، شربت كأس ماء ... وكان شفافا ورقراقا كالدمعة وكان يبدو نظيفا ورائقا كما لو انه هبط من السماء . ومع ذلك فقد مت لانني شربته .

ميتة فاجعة وسريعة كما لو انني سقطت فوق خشبة المسرح .

طوال عمري وانا اكره ان اشرب من كاس غيري ... وهذه الكاس لم تكن لي .

طوال عمري وانا اتلذذ طعم الماء واجد الناس سخفاء اذ يقولون ان الماء لا طعم له واميز طعم الماء من اول رشفة . هذه المرة شربت الكاس دفعة واحدة ... لم اكن عطش ... وما شعرت بأي شيء .

ببساطة تامة تناولت الكأس وشربتها ...

كنا مجتمعين حول مائدة صغيرة انيقة .... والاخبار من حولنا تتطاير كالشرر . بعضنا يفتعل اهتماما غير اعتيادي ... وبعضنا الاخر غير مهتم يقبل على الطعام والشراب كنا لو انها نهاية العالم . اما انا فكنت أريد ان احقق فعلا ما مهما كان صغيرا اشعر معه انني لست مصلوبة فوق موجات الاثير التي تدمي جسدي بوخز الابر . آه .... أيها الاحبة وراء تلك الجبال القريبة ... يا اخوتي ... ويا ابناء عمومتي ... كم تجرحني اخباركم ، وانتم يا اطفال اختي ... ايها الضائعون وراء ارصفة الغربة لا استطيع لو رايتكم ان احدق في عيونكم التي امتلات بالذعر ... والارتباك ... والحيرة . لا استطيع ان اقول لكم انه وطن واحد . الكلمات تهرب مني .... وصوركم ايضا تهرب مني .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولم اجد ما افعله سوى ان اشرب .... وكانت كاسا من الكريستال الصافي الثمين ... وكان الماء يلمع فيها كالسراب .

ولم اكن عطشى ...

لكنني شربت .

حتى اخلص من كابوسي شربت . وانا اضع الزجاج البارد الشفاف فوق شفتي شعرت باليباس ... وبالشوك يقطع حلقي .... وتذكرت كل الذين ماتوا عطشا وقرات عنهم في الكتب ... والذين نزفت جراحهم حتى الموت وهم يطلبون كاس ماء . تذكرت اكثر صراخ ذاك المقاتل عبر اروقة المستشفى الجديد في حزيران الشؤم : ماء .. ماء . ولم يجدوا الا

سطلاً نحاسيا ملؤوه من النهر العكر لان المستشفى لم يكن مهيئا لاستقبال الجرحى بعد ... وكانت مياهه مقطوعة . لما اسرعوا بالماء اليه كان قد فارق الحياة جفت الآبار ... وغاصت الينابيع ... وهلكت الابدي وهي تمتد بجرعة ماء .

شربت . ومت . ولكن ... لماذا اموت الآن ... دون اي شعور مسبق بالموت ، دون اي فكرة تسحبني ولو بخيط كالشعرة الى ذلك المجهول ، وهل انا ميتة حقا :

آه يا طفلتي ... ايتها النقية كالشمس .... حاولي ان تفتحي عينيك دائما ... وان تظلي على حذر ... حتى لا تاتيك الاشياء مباغتة كما لو انها ضربة قدر .

على طاولتي سلسلة من الالغاز كنت احاول حلها ... واوراقا بيضاء لم املاها بعد . خيوطي كلها ما تزال مشتبكة مع نسيج الحياة .... وشرياني كان متحدا بنبض الاخرين وعندي الوف الاسئلة التي لم اضع لها اجاباتها ... وعشرات القصص لم اعثر لها على النهايات . والاهم من كل ذلك انني ما واجهت بشكل حاسم تلك المعضلة الابدية . لماذا اتيت الى العالم ؟ ولماذا اموت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انه موت غريب ... او انني لست ميتة فعلا . انا اسمعهم . واراهم ... واستطيع ان احاور نفسي عنهم على الاقل . لكنهم لا يسمعونني .

ولماذا يسمعونني ؟ الحوار كان قد انقطع بيني وبينهم منذ زمن بعيد ... منذ كنت معهم وانا في عداد الاحياء .

حقيقة واحدة اصبحت متاكدة منها . الموت ليس واحدا ... والموت ليس بالضرورة خلاصا . لو كان الموت واحدا لما كنت الان اعي الاشياء

وبشكل اوضح كما لو انها وراء منظار مكبر . والموت ليس خلاصا لانني الان كتلة من العذابات اللا متناهية .... وخلاصي بعيد عني كما لو انه سراب .

هل اعي الاشياء الان اكثر ام انها ولانني مت هذه الميتة الخاصة الفريدة اصبحت مضيئة بالحقيقة ؟ وهل العذاب من الامور النسبية وكنت اجهل ذلك ؟

لا احقد على من ناولني الكاس ... ولا على الذين اتوا به من نبع الموت ... بل لا احقد على نفسي ايضا لانني شربت .

فالموت عالم اعلى من الاحقاد والضغائن .... هذا ما يجب ان اقتنع به .

انا الان أتمدد ساكنة بيضاء مثل جسد شمعة املس في زمن يتمزق فيه اللحم عن العظم ... يحترق ... يتفحم ... ويبدو قطعا مبعثرة سوداء . انا سليمة الاجزاء في زمن تطير فيه الجماجم وتنفصل الاعضاء عن الاجسام . اليست هذه ميزة لي ؟ الا يتمنى ذلك الكثيرون .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

اموت ... وادفن ... ويكون لي قبر معروف ... عليه شاهده رخامية ناصعة . قد يزينونها بين حين وآخر في الاعياد والمواسم الدينية بالاغصان الخضراء وبالورود . كم احببت الورود . . والبيضاء منها خاصة . اشعر بوخز في قلبي .... قلبي الذي سيظل في قلب جسدي مثل ملك على عرش بينما قلوب كثيرة ممن احببت يخترقها الرصاص ويمزقها الى قطع .

اكرهك يا زمن الفواجع ... انت الذي جعلتني ارى الجثث بالمئات ... واذرع الاطفال المرتمية على التراب مثل عصافير مذبوحة ... والاثداء المعجونة بالدم يلعقها البعوض وتزحف نحوها الحشرات .

اكرهك يا زمن الغدر والقتل والذبح الجماعي . اكرهك يا زمن الاصبغة الحضارية المزيفة .

اكرهك يا هذا الزمن ... وامواج الصوت والضوء فيك تخترق الاذان والعيون لتنبض بمشاهد القتل . ويصبح اي نبأ فيك عن اي موت يموت بعد بثه بثوان .... يموت مثل فاكهة تالفة تسقط من شجرة هرمة لا يأبه لها احد .

واذا كان الاطفال فيك قد اصبحوا يلعبون لعبة الموت والكبار يتسلون بالمسدسات والرشاشات فاي زمن انت ؟ بأي الحكايات نجعل الصغار يفرحون ؟ فبأي لغة للكبار بها يتحاورون ؟ كيف نصون الفرح الانساني وما هي الحدود التي يجب ان نسور بها المدن لنحفظها من الدمار ؟

وكيف نعيد للطفولة مرحها وضحكاتها وللقلب الانسان براءته وصفاءه ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقولون ان الحروب نزيف يخفف من ضغط الدم السكاني ويمنع عن البشرية كوارث الانفجار ... لكن حروبنا الان تمضي في الدعارة والقذارة وكلما عدنا بها الى الوراء وجدناها اشرف ... وانظف .

* * *

انا ميتة .. .يا للمهزلة . مع انني لا زلت احب الاطفال ... والشمس ... والبحر ... والسهول الفسيحة . لازلت احب اشياء كثيرة ... واحب بيتي ووطني . فلماذا اموت ؟

شربت تلك الكاس ... وكانت مسمومة ... ومت . كاس ماء ... لا اكثر . كيف ؟ والحياة في اصل منشئها الماء ؟ تخلق الخلية ... تنعش البذرة ... الخلية تغدو كائنا حيا ... والبذرة اشجارا وثمارا .

سنة الحياة قاسية ... ولا مسؤولية علي . حياة ثم موت ... لكنني استمر في الاحساس بالمرارة . لو انني لم اشربها ماذا كان قد حصل؟

انهار من التجارب تجاوزتها ... وبحر الحياة لم يبتلعني .

وها انا أسقط ضحية كأس ماء .... يا للمفارقة العجيبة .

وها انا اتحدث الآن ... بعد فوات الأوان .

الماء المسموم في داخلي شيء حقيقي ... يملؤني مثل جنين خرافي . لا استطيع ان اتجاهله او انساه . ونحن صغار كنا نفزع من ان نشرب من ماء (القناية) في الضيعة ومن مياه النهر المتسربة الى الدور في دمشق لانهم كانوا يقولون لنا ان فيها الجراثيم والديدان . ولما كبرنا ظللنا نرى بأعيننا فلاحين يفعلون ذلك دون ان يموتوا ... ومناطق شعبية بأسرها تعيش على كتف الانهار .

وما كان علينا سوى ان نرفع عنهم خطر الاوبئة والامراض . الرجل الذي احببت قال لي : ليست قضية المياه هي الوحيدة ... واكثر السموم فتكا هي التي تشربها عقولنا قبل افواهنا ... وتتسرب عبر جلودنا ورئاتنا وعيوننا . العلة كامنة فينا في اننا نشرب ما يؤذينا . ثم ان علينا ان نواجه قدر سموم العصر ... حتى مع الهواء المشحون بدخان السيارات ورائحة البارود والجثث .

وعندما كنت امتلىء بالحزن كان يقول لي :

ـ ايتها المرأة التي اشترت الحزن ... الحزن مجاني في هذا العالم ولا يبحث عنه الا الضعفاء والخاسرون .

الا فليعلم الآن انني بعت أحزاني للموت .... ولم اكن ضعيفة لكنني كنت مخدوعة ... اما الخسارة فلم استطع تحديدها بعد .

* * *

انا ميتة . لا اتحرك . انما أتنفس ... وكأنني اتحدث .

الهواء له طعوم مختلفة . طعم البرتقال . والتوت البري والمشمش . الفراغ من حولي يتلألأ بألوان مخيفة في جمالها وحدتها . لماذا لم اكن أرى كل هذه الالوان وانا في الحياة ؟ لماذا كل تلك الطعوم بهذه الكثافة ؟

طعم مشمش الغوطة ضاع من شفتي منذ مات (مسعود) برصاص الفرنسيين ودفنوه تحت شجرة مشمش . كنت لا ازال في مراهقتي الاولى ... واحسست في خدود كل ثمرة مشمش نقطة من دمه النقي . اذكر انني كثيرا ما تلهفت لرؤية مسعود . كان طويلا مثل رمح ويلف رأسه غالبا بشملة حمراء اللون . ولم اره يضحك الا مرة واحدة عندما اخذ البندقية من ابي المطعون في ساقه . قال له :

ــ انت لم تعد تحتاجها يا افندي ... وانا سأفعل بها اشياء كثيرة.
وابي الذي رباه ورعاه كابنه الوحيد قال له :
ــ خذها ... اذا كانت ستنفعك .

وظن ابي انه سيقتل بها الافاعي او الضباع او ربما يصيد العصافير . ولم يخطر في باله انه سيثأر من عسكر (الفرنساوية) الذين اقتحموا معاقل الثوار في الغوطة الغربية وقتلوا مرة اباه وعمه .

مسعود كان يحب الارض والشجر والزرع ...
وابنه محمود اصبح فيما بعد طيارا .
مسعود شجرة مباركة جذرها في الارض وفرعها في السماء ...

وانا لم استطع ان انسى مسعود كلما ترطبت عيناي ببساتين الغوطة فقد ظلت فيهما دمعة معلقة على الاهداب من اجل ذكراه .

* * *

طعم البرتقال مختلف ... حاد ولاذع مثل تجربة حب حارقة . والبرتقال امتد في دمي منذ وقعت الكارثة .... جعل نبضي على ايقاع الحزن فيـه خلال سنين طويلة ... عشت تجربة نواجهه فيه دون ان تمتصني وظلت ثماره النارية تتوهج في اعماقي . اي رمز علقته في قلبي مع البرتقال ... البرتقال غدا خوذات مقاتلين .... وقلوب امهات تدمى تحت الخيام ... وغصنا اخضر يحمل مدلول كل الوطن .

ويا طعم التوت البري ... من بين اسلاكه الشائكة كنا نسحب اجسادنا الصغيرة الى بساتين الجيران ... ونأكل حتى نشبع ونحن نحسب ان هـذا حق لنـا . اليسوا جيراننا ؟ السياج الآن يرتعش بالرصاص ... تسقط عصافير الدوري ... ويفزع الاطفال .... ويسيل التوت البري مثل دم قاتم اللون .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قبل ان اشرب كأس الماء كان حولي اناس كثيرون ... وفي الشوارع كان الالوف من البشر يحتجون ضد الامبريالية والاستعمار . كنت امام الطاولة متيبسة . كان صوتي مقطوعا وكأنني بلا حنجرة . خجلت من نفسي لانني لا اصرخ مثلهم . وكان عزائي ان الصوت الفردي في عصر الجماعات هذا تافه لا قيمة له . وكنت افتح فمي واغلقه وجاري السمين الى جانبي على الطاولة الاخرى يجفف عرقه ويلهث مثل ثور مذبوح . عندما نظر الي ظننت انه ضبطني لكنه ابتسم لي بطفولة مستعادة من بين ركام وقال :

ــ ألم تتعبي من الجلوس هنـا في هـذا الحر ؟ ان الخروج الى الشارع ارحم .

قلت وقد شعرت بارتياح لانه لم يفطن لحيلتي الصغيرة .

ــ لو عطشنا هنا فسنجد الماء على الاقل ... اما في الشارع ... قاطعني وهو يقول :

ـ لا بد من الخروج .... لا بد . انا سأخرج .

وفكرت ان العطش قاتل ... وانا منذ سنين لم امارس الصوم ولا سافرت في الصحراء . وتذكرت كاس الماء وانا في المستشفى وهي تتلألأ بين يدي الممرضة كيف كانت لي كل عذوبة العالم وراحته وهنائه .

ولم اخرج ...

الاصوات كانت تتعالى في الخارج : امريكا ... امريكا ... اسرائيل ... تسقط الامبريالية ... تسقط ... تسقط ... الويل لاسرائيل .

ومن وراء طاولتي سقطت في شبه دوار . ورأيت الوجوه من حولي كرتونية باهتة . ليتني خرجت مع الرجل السمين الى الشارع ... ليتني .... ليتني :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لو خرجت لما تناولت تلك الكأس ... من تلك اليد المجهولة التي تقدمت بها الي .

* * *

ميتة انا الآن ....

خسارة ان اموت ولا زلت املك كل الآمال والطموحات . زرعتها شجرة خرافية مدت من مدينتي حتى غطت خارطة الوطن ... بل العالم . ولبثت انتظر ظل غصن اخضر من اغصانها وقطرة ندى . ولكن ... ها انا اموت كما لو اني في صحراء ... واموت من العطش رغم انني في مكان اليف كنت ... وبيدي كأس ماء مترع وجميل .

روحي تطير في جهات دمشق الاربع . اراها مدينة صغيرة ... بحجم راحة الكف . تكبر ... وتكبر حتى تسع العالم . اسمع اصوات الرعب

تفجر الموت على الطريق الرئيسية بين دمشق وبيروت . يزعق اطفالهم يغتالونهم غدرا ... أضع يدي على صدري ... جاف هذا الصدر ... والحليب هرب منه منذ امد لا ادريه ... وصغاري ماتوا واحدا بعد الآخر مثل اسماك مختنقة ولم يبق لي الا تلك الطفلة الالهية التي حرستها بهدب العين .

وينابيع دمشق اعرفها... نبعا نبعا... وفروع بردى فرعا فرعا.. فمن أين أتوا اذن بتلك الكأس المسمومة ؟ ابي كان يقول ـ كما الامثال الشعبية ـ ان فلانا مات (بشربة ماء) وكنت رغم صغري افهم المقصود بان الانسان قد يموت بلا شيء ... ميتة تافهة رخيصة . لكنني لم اتصور يوما انها ستكون شربة ماء فعلا . ترى لو ان آخرين غيري سيشربون كما شربت ... ويزداد العدد فماذا ستكون النتيجة ؟ مزيد من الناس يموتون بلا ثمن ... بلا هدف ... بلا ادنى ضجة . يسقطون كاوراق شجرة في غابة لا يشعر بها احد . ام انها وسيلة جديدة لإبادة البشر ؟ ان تكون وسيلة فهذا صحيح ... لكنها ليست جديدة . فمنذ قديم الازمان والناس يقتلون بعضهم بكؤوس مسمومة لكنهم الآن ... في عصر قتل الجماعات والشعوب يعتبرونها قطعا جديدة ... ولست وحدي المستهدفة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليت ان احدا غيري لا يشرب . انما ماذا استطيع ان افعل وانا ممددة بلا حراك وليس لي صوت ؟ هل اقدر ان امسك بيد احد فامنعه من ان يشرب او اصرخ به فاردعه ؟ ومن اين لي ان اعرف اي الكؤوس هي المسمومة ؟ لست اقدر على شيء ... وما علي سوى ان ارى وانتظر . انه الجحيم ... ان تتعذب مرات ومرات من خلال خوفك من ان يتعذب الآخرون . العذاب نفسه الذي ذقت .

ان تموت في ذاتك اهون الف مرة من ان تموت تكرارا ومرارا في غيرك . قد يكون الموت العنيف مؤلما الى ابعد حدود الالم ... انما لكونه صاعقا وسريعا فهو ارحم من الموت البارد البطيء . الموت الذي في حالتي والذي هو لا موت .

مطر من الافكار يغزوني . كلما ازداد المرء معرفة كلما اقترب من الفضيلة . قول اعرفه ولا اتذكر لمن . هذا يورع قلبي ... كم من الافكار يمكن ان تحمل مدلولاتها في اللحظات الصعبة . الآن على الاقل انا اكثر معرفة ... باشياء كثيرة . لكنني ابحث عن الخلاص ... الخلاص النهائي في ان أصبح في عداد الاموات فعلا . ليس يكفي ان تعرف ... وان ترى ... وان تشعر ، عليك ان تتحرك ... وان تفعل . وما دمت غير قادرة على ذلك فلا بد من الموت النهائي والمعلن امامي وامام الحياة نفسها . كيف السبيل الى ذلك ؟

الماضي امامي صفحة ماء رائقة ... ارى كل شيء فيها حتى القعر ... حيث الحصى والحجارة وقطع العظام وزجاج الذكريات المحطم . الماضي .... كم يملأ الانسان بالمرارة وهو يعرف انه يفقد ذرات الحاضر .... ومرآة المستقبل .

ARCHIVE

الحاضر صفحة مشوشة مختلطة بلون الدم والتراب والسواد ...

ارض خصبة فيها الخير والنماء كما انها تعج بالنمل والديدان وانواع الحشرات . الحاضر ينغل مثل جرح ... تخطفه كائنات عجيبة اكثرها غير بشري ... الحاضر يخيفني ... يبعث فيّ الرعدة .

والمستقبل ... ترهقني فكرة المستقبل ... احدق ... واحشد ما تبقى لدي من حواس . لا اراه الا بحيرة زئبق رجراج . لا بد اذن من ان اسحب بقيتي لارتمي فوقها عسى ان يكون فيها الانقاذ او الموت . يا للمفارقة المضحكة والمبكية معا ... اتحدث عن الموت وانا الميتة . لم اقول بحيرة زئبق ؟ لم لا تكون السراب ؟

ارتجف ... من اعماق ذاكرتي تطفو فكرة السراب ... اراه لالاءا مضيئا وهشا كما لو انه حلم ... وارى صحراء بلا حدود تهرب مني... اطويها بعيون زجاجية باردة كالثلج . اضيع واتبعثر فيها مع الصمت .

السراب ... كم من الناس عاشوا اسربتهم . لكن السراب الآن يراوغني ... يهزا بي ... يخدعني . اليس هذا ما اعرفه انا بالذات عن السراب فلماذا اصمم على الوصول ؟ وهل لامراة مثلي مسجاة بلا حراك ان تصل الى سرابها حتى ولو تجسم لها كحقيقة ؟

احاول ان افرد ساقي ... ان احرك يدي ... شفتي ... اهدابي ... اي عضو في جسدي لكني لا انجح . يهاجمني يأس فظيع... اتمنى ان يكون ياسي قاتلي هذه المرة وبشكل نهائي فلماذا الاستمرار في المحاولة ما دامت المعجزة لن تتحقق . وهل كانت تحققت لغيري حتى تتحقق لي ... ما اكثر المقامرين ... فهل اكون انا الممددة هكذا مثل خيال اكثر خطا منهم .

اثبت نظري فوق السراب ... احاول ان اقرا فيه شيئا هكذا كنا نفعل ونحن صغار اذ ننظر الى القمر او الغيوم . انظر ... وابحر ... ثم ارتعش كما لو انني ملء الحياة ولست ميتة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجه انساني يطل علي من ضياء السراب ... اعرف هذا الوجه كما لو انه وجهي ... لكنه ليس وجهي ... مطمئن وسمح وكانه لم يعرف الدمع ... ولا القلق او العذاب . اتمنى ان يراني ... لم اعد اريد شيئا سوى ان يراني ، الوجه يكبر ... يكبر ... يملأ افق اللانهاية . اتفرس فيه اكثر ... يتصاعد دخان ابيض يحجب الصورة عني . يهطل مطر غامر . تشتبك خيوطه مع الملامح الهاربة ثم تختفيان . لم يعد عندي امل ... ولست الا واهمة . الدخان يغدو غبارا كثيفا أسود...والمطر دمالزجا قاتم اللون...والوجه يتحول الى حطاممشوه.

اصرخ صرختي الاخيرة ... أسمعها ... وبوضوح .... واسقط في دمعة كبيرة ... كبيرة .

ويغيب كل شيء عن عيني ... حتى السراب .

ويغدو العمر بأسره سرابا في سراب .

آفاق المعرفة

في الحداثة
والحداثة «عربيا»

عبد الكريم الناعم

النحل البرّي
والعسل المرّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غسان لافي طعمة

ليالٍ عربية:
من المعنى
إلى الدلالة

صالح الرزوق

متابعات

نصر الدين البحرة

في الحداثة والحداثة «عربياً»

عبد الكريم الناعم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١

يكثر استعمال كلمة (الحداثة) في العديد من كتاباتنا ، ولكثرة ما استعملت ، بمناسبة وبدون مناسبة ، فقد ترسخ (وهم) اتخذ مواصفات البداهة، هذا الوهم هو ان (الحداثة) ليست مما يختلف فيه ، حتى اذا اردت تحديدها كما تحدد المصطلحات النقدية، او الفكرية ، واجهتك صعوبة بالغة فيما كنت تظنه هينا لدرجة البداهة .

(الحداثة) كما هي مستعملة ، وشائعة في الكتابات الصحفية على وجه الخصوص تبدو سائبة ضبابية ، والكتابات الصحفية كما نلمس تحول بعض ما تركز عليه عبر عملية التكرار الى (شيء) له حضوره ، بخصوصية ما ، وان يكن حضورا لا يثبت للنقاش العلمي .

ان غياب المصطلح الدقيق يترك مجالات واسعة لتسلل ذوي القدرات المتواضعة ، وحتى الضعيفة ، لمواقع التنظير الضال ، ويدفعهم باتجاه الارتجال ، بخلع بعض المواصفات ، وهي مواصفات غير محددة ، بل غالبا ما تكون مواصفات فيها موحيات ، وايماءات ينزعون الى ترجمتها ، بخلع تلك المواصفات تتحول (الحداثة) الى سلاح يمكن اشهاره في وجه الاصدقاء والاعداء معا ، عقائديا ، وجماليا ، وليس ثمة ضابط ، بل الحكم للمزاج ، وهو الذي يحدد (مديح) هذا ، أو (شتيمة) ذاك ، ولاغراض لا تمتلك نصاعتها حتى حين تختبىء وراء مساتر ادعاء الحرص ، والحماس لمقولات تستخدم طعما ، في القالب .

ARCHIVE
http://Archive.beta.Sakhrit.com

بذلك المعنى ، وباستعمالاته تتحول (الحداثة) الى مشجب يمكن ان يعلقوا عليه العديد من الاردية الزرقاء ، والحمراء ، والبرتقالية ، ولان الاشياء غير المحددة قابلة لمزيد من التناقض ، بحكم عدم تحديدها ، فان التناقض في مثل هذه الحالة يقع في خانة الحداثة ذاتها لا في خانة (القدامة) مثلا ، وبذلك تكبر مساحة الاختلاف ، والادعاء ، وتعطى فرص نادرة لمن يريد اطلاق النار .

القدامة محددة شكلا ومضمونا ، / والمساحة هنا هي مساحة الشعر / .

القدامة في سكونيتها ، وفي شكلها ، وفي ايديولوجيتها ، وفي نزوعها النفسي تمثل صيغة الفكر الرجعي الذي يرى اهمية حتى دينيته في منطقتنا العربية للمحافظة على اشكال الاستغلال المسوغة بنصوص اجتهادية

عائمة ، ولذا فانت تجد وحدة في الفكر ، وفي الموقف بالنسبة لانصار القدامة ، ولا تعثر على مثل ذلك التلاحم في جهة الحداثة ، وذلك لاختلاف المنابع والمشارب ، بالرغم من اتفاق جماعة الحداثة (بالمعنى الذي أعطيناه لها) على اسس مبدئية : كالديموقراطية ، والاشتراكية ، والوحدة ، والقتال ضد كل أشكال القهر والاستغلال .

٢

يبدو من المشروع جدا ان نطرح عــددا لا بأس به من الاسئلة عن الحداثة ، ومن ذلك العدد الاسئلة التالية :

هــل الحــداثة غامضة ؟
هــل هي واضحـــة ؟
هــل هي ذوقيـــة ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسئلة تبدو للوهلة الاولى انها سهلة ، وبسيطة لدرجة الاحساس بانها متجاوزة ، بيد أن توقفا مسؤولا عند كل مفردة من تلك المفردات يضعنا امام إشكال لم يكن منظورا بهذا الكشف .

اعود للتذكير بأن المعني هو المصطلح النقدي الدقيق ، ودون أن يعني مثل هذا الاعتراض الذي له مواصفات حميمة ، دون أن يعني (الإعراض) عن استعمالات (معاني) الحداثة ، واقول (معاني) لانها اكبر من معنى محدد يمكن حصره في مدلول لفظة مفردة ، وذلك لتشعب الدلالات فيها ، ولاتساع آفاقها النزوعية ، ولما تحمله من موحيات تجاوزية ، ذلك ان الحداثة بنت هذا العصر ، اذ ان الابداع لا ينفك عن زمنه ومكانه ، والحداثة بنت زمنها ، بكل ما في هذا الزمن من تراكم معرفي ، ومن مكتشفات ، وتقدم في العلوم ، وهذا يعني انها عرضة للاضافات ، وربما للتعارض الجذري مستقبلا ، بحكم التغيرات التي سيطرحها توغل الانسان في

مكتشفاته ومخترعاته ، وبحكم التوجهات الثورية في بلدان العالم الثالث ، وهذا يشير الى ان (مبادىء) الحداثة ـ ان صحت التسمية ـ متحولة بتحول المجتمعات نحو الافضل ، ولذا يمكن الكلام عن الحداثة في المدى المنظور ، من حيث المضمـون ، اما فيما بعد ، فـذاك متروك لزمنه ، ولحداثته ، في الزمن والمكان .

حين نطالب ، او نطالب ، بالمصطلح النقدي للحداثة فسنقف نصف عاجزين ، ان لم يكن العجز لدى بعضنا كاملا ، وآنئذ ندرك الجانب (الغامض) فيها .

اذا تركنا هذا المطلب المشروع جانبا ، وقبلنا ببعض مواصفات المضادة الخاصة لقلنا انها الضدّية التعريفية ، التمييزية ، في حدودها اللفظية ، ولو كانت خارج هذا المقام لامتلكت افصاحها المنشود .

يبادر ، في هذا المقام الى طرح نفسه سؤال هام :

ترى اذا لم تكن (واضحة) ولا (غامضة) فماذا تكون ؟!!

يمكن القول انه ليس (الوضوح) الذي لا خلاف في معانيه ، وفي معرفته ، كما انه ليس (الغموض) المبهم الذي لا معرفة له ، وهو ما يمكن رده الى الحالة السديمية قوميا ، وهو ما سيجيء الحديث فيه .

انها (الحداثة) تخضع للذوق في بعض مظاهرها ، ولست اعني الذائقة النقدية لدى الانسان المزود ، بما يؤهله لاطلاق احكام نقدية صائبة ، ومواكبة ، بل اعني (الذوق) الذي له علاقة حميمة بالشفافية الروحية ، وبذلك الاحساس الجمالي الذي يمكن تذوقـه ، وتصعب ترجمته ، والترجمة امر مطلوب حتى لا نحيل على حالات من (الوجد) الروحي تختلف بين واحد وآخر ، وحتى لا يتم تسويغ الامور الشخصية استنادا

الى الجنوح ، او التفضيل الذاتي ، وهذا لايعني التنكر للحساسية الفردية ، الذوقية ، في العمل النقدي كشيء له اصالته الجذرية الفردانية .

انها (الحداثة) في بعض مواقعها الجمالية تحديدا : (الغموض) الواضح ، (والوضوح) الغامض ، الذي يتم الوصول اليه (بالذوق) النافذ بعمق ، ودون ان يعني هذا الكلام شمولية المنهج الذي يبحث عن معادلات ميكانيكية ، أو تهويمات غايتها التضليل بالدرجة الاولى ، فقد قلت : / انها في بعض مواقعها / لا في كل مواقعها ، وحددت ذلك بجانبها الجمالي ، وهي بهذا المعنى تتجاوز حدها اللفظي : (حداثة ، من حدث) ، تتجاوزه لتدخل في مدارات الابداع الفني الذي يحتفظ بادهاشه لكل زمن ، فهو يتخطى زمنه ، واصلا الى خلودية الفن ، وبخروجه من أسار زمنه الخاص (زمنيا) ، يتجلى فيه شيء من اطلاقية الابداع .

الشعر الرفيع الذي تسكنه جوهر الاشعاع الذي لا ينطفىء ،

اللوحات الجميلة لكبار الفنانين التشكيليين ،

التماثيل المضفى عليها من صياغة الابداع ، ما يوحي بأنها تكاد تنطق ، تلك : بعض مواقعها .

ان الحداثة في (الشعر) ، كحضور تعبيري ، هي غير الحداثة في (الحياة) الحداثة ، الجمالية ، بالدرجة الاولى ، قد (نعتقد) أن الحداثة (واضحة) لدرجة يستنكر فيها اي قول آخر .

ـــ (لعل من الجدير بالذكر ان الكلام يخص الشعر لا غيره ، لا الرواية، ولا القصة القصيرة ، لانهما جنسان أدبيان جديدان ، ولان الحداثة فيهما مفترقة من ادب الغرب تحديدا ، ولا يتصلان بالقدامة العريقة ، الموغلة ، زمنيا ، ونفسيا ، بينما يمتلك الشعر العربي (قدامة) متميزة ، ذات ثقل نوعي) .

ان (الغموض والوضوح) هنا لا علاقة لهما بما بين الاضداد من تواصل او تنافر افصاحي ، كما انها ليست علاقة جدلية بالمعنى العلمي للجدلية ، بل هما الغموض والوضوح الناجمان عن سديمية لما تتوضح فيها كل التفاصيل ، لاختلاف مظهرية الحضور ذاته .

في الشعر هي ما سبق ان طفنا حوله : وضوحا ، وغموضا ، وذوقا ، اما في الحياة ، وكما هي مجسدة لدى البعض ، فهي قشرة (التغريب) الظاهرية ، الشكلية ، في الشخصية الخاوية ، المكتفية من الحياة بخداع المظهر ، ومثل هذا التجسيد لا يعدم حضور مثيله في بعض (مدارس) ، او نماذج الشعر العربي المعاصر .

هذا الطرح يعيدنا مرة اخرى الى الايديولوجيات التي لا فكاك منها ، وهو ما سنمر به :

ان (الفارق) بين الحداثة في الشعر ، والحداثة في الحياة ، او حتى (الرابط) ، ليس فيما هو شكلي ، بل هو في الوعي الذي يوظف كل مافي (الحياة) للخلاص من كل ما له علاقة : بالقهر ، ومما هو في ذروة (الحياة) احتراقا ، ومرتبة : الشعر .

٣

بعض الذين يشعرون بانتماء حميم للحداثة من الشعراء ، او الذين يقفون على مشارف الشعر يتكلمون عن الحداثة باحساس (شعري) ، لا بإحساس (نقدي) وثمة فارق كبير ، وبخاصة حين نكون في مناخات النقد .

(الاحساس الشعري) يصلح لكتابة الشعر ، ويتلاءم مع العديد من انواع الكتابة ، اما (الاحساس النقدي) فان خصوصيته النقدية تتطلب موازين نقدية ، وموقفا نقديا يستند الى ارضية غنية من الاختزان ، كادوات ومفاتيح ، والى حساسية خاصة هي التي تعطي للناقدشخصيته،

وتميزه ، لا عبر المنهجّ فقط ، بل عبر الاسلوب ، وعبر طريقة الفهم والتقديم ، والاستكشاف .

مما هو شائع في الكتابات عن الحداثة ان يتم الاعتماد على ما يمكن أن نسميه بالنمط (الذوقي) ، وهي كتابة قد تبدو جميلة ، وفيها ليونة الشعر ، بغراباته ، وادهاشه ، ولكنها آنئذ تكون قد ابتعدت عن سمت النقد .

نقرا فيما نقرا شبيه ما يلي :

الحداثة : تجاوز ، اختراق رفض ، تمرد ، وربما قيل فيها انها تهتك ، مثل هذه المفردات ، في العرف النقدي تحتاج كل واحدة منها الى تحديد ان لم تتجاوزه ، كمعنى نقدي ، فهي لا تبتعد عنه .

لا شك ان مثل هذه الكتابة تشيع حسا أوليا يوحي برحابة ما وراء تلك الكلمات ، ولكنه حس (فني) ، صلته بالشعر أكبر من صلته بالنقد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجاوز ، ورفض ، واختراق ، وتوغل ، وانعتاق ، وما الى ذلك ولكن . . في ماذا ؟!! .

ان عدم التحديد ، وبتلك الصيغة بدلا من المساهمة في وضع الصوى فانه يسهل الامور ، ظاهريا ، بحيث لا تبدو صالحة لاكثر من الضياع .

ان تحويل العملية النقدية الى خانة الاسباغ الشعري هو أحد المطبات التي وقع فيها الكثيرون .

٤

لكي نحدد بعض معاني الحداثة في (المضمون) لا بد من طرح السؤال التالي :

« هل الحداثة شيء خارج الوعي الاجتماعي » ؟

اقول الحداثة في / المضمون / لما لها من اهمية في الوظيفة الاجتماعية للفن بصورة عامة ، ولان / الاشكال / قد تتبدل ، ولاننا نستطيع أن

نستفيد من كافة / الاشكال / المطروحة في العالم ، بينما لا نمتلك نفس القدر من الحرية فيما يتعلق / بالمضمون / .

هنا لا بد من الاشارة الى انني انطلق من الايمان بدور الفن الاجتماعي، وقدرته الخاصة ، بحكم كونه فنا ، بعيدا عن الآلية والحرفية الجامدة التي اخذ بها البعض ، والتي اساءت حتى لفكر معتنقيها اذ قدمت ناقصة ، ولم تأخذ بالاضافات النقدية الهامة لعدد من كبار النقاد التقدميين ، الجادين ، ممن اغنوا واضافوا .

ما دمنا ننطلق من دور الفن في وظيفته الاجتماعية لا بد من الاشارة الى بعض المنطلقات الايديولوجية والتي لها مساس كبير بالموضوع ، والواضح ان الكلام سيكون في المنحى التقدمي ، بمعنى الاخذ ، والالتزام بمبادىء : الثورة والتقدم ، لان الاستغلال والقهر يستحيل عليهما ان يقدما ابداعات انسانية ، واذا كان ثمة ابداعات في ظروف القهر والاستغلال الانسانيين فهي ابداعات تجاوزية ، استشرافية ، تتحقق بواسطتها انسانية المبدع ، واحتجاجاته العلنية والسرية ، ولا علاقة للقهر والاستغلال الناجمين ، حكما عن سيادة نمط من انماط الانتاج المعبرة عنهما ، لا علاقة لهما بسوى القهر والاستغلال ذاته ، اما الابداع التقدمي فانه يأخذ هويته من انتمائه لقضايا الجماهير ، وهو ليس بالضرورة انتماء عقائديا تنظيميا ، على غرار المنظمات الثورية ، بيد ان الابداع ، بحكم كونه ابداعا ، يحمل من المعاني والايحاءات الانسانية ما يجعله شاهد زمنه .

ان ما نلمحه ، وما نستخرجه الآن من القصيدة الجاهلية ، مثلا ، هو بالتاكيد غير ما كان يراه الشاعر او الناقد في العصر العباسي ، وهذا امر يمكن رده للفارق المعرفي الهائل بين زمننا وذلك الزمن ، بيد ان المادة ، الشاهد ، هي القصيدة : الابداع ، الذي احتفظ لنا بالكثير من الكنوز المخبأة .

انطلاقا من هذه المقولة يمكن فهم كيف تستطيع بنية اجتماعية ان تقدم اشكالا (حديثة) في الفن بعامة ، بمعنى انها اشكال (جديدة) ، بالرغم من سيادة العلاقات الاستغلالية في تلك البنية .

بهذا المعنى، بتوجهه، تكون مايسمى (حداثة) حيث يسود الاستغلال، تكون (شكلانية) ، اي انها حداثة في المظهر ، تماما كما يتم اللعب بالمظاهر الخارجية لتسريع وتيرة الارباح ، وتثمينها دون ان يسمح بمس البنى التحتية بما يغير من علاقات الانتاج فيها .

بهذا المعنى نستطيع القول : وبفضل التفريق بين (الحداثة) و .. (التجديد) .

(الحداثة) ، كمعنى يمكن ان نصطلح عليه ، هي : المضمون التقدمي ، والشكل الذي يختار ادواته التعبيرية القادرة على ايصال (الوهج) الفني.

اما (التجديد) فهو ما يهتم (بالشكل) ، وبلعبه ، دون (المضمون) التقدمي تحديدا ، وليس الاهتمام (بالجمال) ــ والذي لا يمكن ان يكون مجردا ــ هو ليس خارج (التقدم الروحي) بما هو ابداع جمالي ، وخاصة حين لا يكون مسخرا ، بعملية جنوح مقصودة ، للتضاد مع الثورة ككل .

اما (الوهج) الفني فهو قدرة الشاعر ــ مثلا ــ على نقل الاشتعال الداخلي الى المتلقي ، لا فرق في ذلك ، من حيث الاحساس ، بين قصيدة مضى عليها الف عام وقصيدة حديثة ، الا باختلاف الادوات التي اعتمدها الشاعر ، والتي تخضع للزمن ، والثقافة ، والتجربة ، وفي هذا المجال قد تتقدم قصيدة قديمة على قصيدة حديثة رغم استخدام ادوات جديدة، ورغم الاستفادة من المعطيات البنائية الجديدة في الشكل ، ويكون تقدمها بما شحنت به من (وهج) نابض .

بالعودة الى معنى الحداثة الاصطلاحي الذي تكلمنا عنه نجد أن لا فكاك من اجتماع (المضمون) التقدمي (بالشكل) الذي له مواصفات حداثية هي في الشعر :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

/ اللغة ـ الصورة ـ الحدث ـ البنية الفنية / ، ونحن نقع على قصائد تقدمية المضمون بيد انها لم تتزين بالقيمة الشكلية المناسبة فتغرق في الشعاراتية ، والسرد ، والتقرير ، كما نقرا قصائد بالغت في لعبة الشكل، فاقامت هيكلا من الالفاظ ، والصور ، والملتقطات غير انه هيكل لا روح فيه .

على ضوء ذلك نطرح السؤال التالي :

« هل كل شعر يتوفر فيه شرطا المضمون والشكل المذكورين سابقا هو شعر حديث » ؟

الجواب : نعم ، ولكن الجواب ذاته لا يغني ، ولا يلغي الاحساس المشروع بقضية جوهرية ، هي هامة بمقدار ما لها من (خصوصية) موقعية ، في الزمان والمكان ، وهي (خصوصية الواقع القومي) ، والمعني بذلك التوجه القومي الانساني والذي هو نقيض التعصبية الشوفينية ، أو النازية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان الحداثة لكي تكتمل التزاما ، ووعيا ، لا بد لها من حمل (هويتها)، بالحرص على الملامح الوطنية المميزة ، بحيث يستطيع من يقرا شعرا عربيا مترجما أن يقول : « هذا شاعر عربي » ، ولقد اكد كبار الشعراء والنقاد على (المحلية) للوصول الى العالمية .

انطلاقا من هذا لا تكتمل الحداثة ، (عربيا) الا بالنفحة العربية ، وبحمل الهم العربي ، ولان ما تعاني منه هذه الامة لا خلاف في تشخيصه ، يمكن القول أن هذه الهموم تتلخص في :

الوحدة ، والحرية ، والاشتراكية ، كأساس لا بد منه لكي يكون العرب فاعلين في حركة الثورة والتحرر في العالم .

ان كل حداثة ، بالمفهوم الذي اعتمدناه لا تحمل الملامح القومية ، مهما بلغت ، تظل مفتقرة لهويتها الخاصة ، سائبة ، ناقصة ، وليس ثمة ما يسوغ لها ذلك ، وهي ، في قسم غير قليل منها ، تبتعد عمدا عن

(روحية) الامة بدوافع غير مشروعة ، ولعلها تعبر عن نزوعها غير (الوحدوي) ، وهو جنوح ساذج في بعضه ، وردات فعل غير متوازنة في بعض آخر .

هنا ايضا لا بد من التفريق بين (الطموح) ، و(التصور) العميق لقضية الوحدة والاشتراكية والديموقراطية ، والواقع العربي الرسمي الذي يفرد ظلام واقع كئيب ، مر ، قطري ، استغلالي ، وهذا يضع المبدع العربي امام مسؤوليته التاريخية ، وهي مسؤولية بالغة الصعوبة في اطار ما هي قائمة فيه ، ومسؤوليته تلك تتلخص في المحافظة على (نقاء) الفكرة ، في زمن عربي خصصه الرجعيون ، والمنحرفون لمزيد من (التلوث) القاتـل .

ان جميع الشعر العذب ، الجميل ، الناضج والذي كان مفتقرا للهوية العربية ، ولبصمة هموم هذه الجماهير هو شعر قد يكون رائعا ، ولكنه يفتقد هواءه الوطني ، وملامحه الذاتية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لعل مما يصعب تقبله ان نقع على شعر يزعم صاحبه انه شخصيا اكبر من النزعة القومية ، فيكتب عن الثورة في العالم ، وعن مظاهر البؤس والفقر التي لا تحل الا بالثورة ، ويجنح عما تحت بصره من تجزئة وتخاذل ، واستلاب .

انه يبدأ بالحلقة العليا ، بدلا من البدء من الوطن ، من الحلقة التي لا بدء الا منها ، يبدأ من (ادعاء) تجاوز الامة ، ولا تجذير الا بها ، وهذا يعطي للحداثة ، من حيث المضمون بعده القومي ، كالتزام وتأسيس وتقديم لدور الفن الاجتماعي ، الفن الذي هو سلاح متميز جدا في مواجهة القوى الرجعية الاستغلالية ، سلاح على القوى التقدمية أن تجيد استعماله لما له من فاعلية في الحسم الجذري ، ولما له من مساحات كبرى ، تمتد ، لمن يريد الاستفادة منها ، من أول شكل للحرف تتفتح عليه عين الوعي والتمييز وحتى اعلى اشكال المنثر الابداعي .

٥

ليست دعوة للنمذجة ، ولا للتنميط ، وانما هي صوى اساسية من اجل تحديد الأتجاه ، في المضمون ، كما في الشكل ، وقد تتعدد الاشكال وتتسع بينما قد يقدم المضمون على انه أقل رحابة من خلال التقيد بما حددناه ، ولربما جاز ان نطلق على هذا الشعور بالاحساس بضيق هذا الافق انه (خدعة) يقنع بها نفسه من يرى تلك الرؤية ، لان مساحة المضمون في هذا المجال ، هي أكبر من مساحة الشكل .

الشكل في شعرنا العربي ، كمثال هام ، لا يمكن ان يتفصل بعدد المواجهات الحادة التي يعاني منها الشاعر ، والتي يصعب حصرها ، ولانها كذلك نجملها (بالقهر ، والقمع) ، على ما بينهما من علاقة متبادلة ، ولئن كان من الممكن أن يحيل الشاعر عددا كبيرا من الجزئيات الحياتية الى مادة شعرية فليس من الممكن ان يكون لكل قصيدة (شكلها) الخاص بكل جزئية ، او كلية متعددة ، ولست بصدد الكلام عن علاقة الشكل بالمضمون، بل اردت الاشارة الى سقوط الدعاوى غير المؤسسة بغرض التأكيد ، والالحاح ، على اهمية اعتبار المضمون القومي ، التقدمي ، الوحدوي ، (عربيا) ، في نسيج الحداثة .

قد تعترضنا مسألة : ما هو موقفنا من القصائد التي يتحدث بها الشاعر عن مواضيع لا علاقة اساسية بينها وبين الوحدة ، والثورة ، فكيف نقيم مثل هذا الشعر (حداثيا) وعلى ضوء المبدأ الذي قدمناه عن الحداثة ؟

هنا لا بد من التذكير بأننا نتكلم عن (مدارس) أو (تيارات) شعرية، دون ان نلغي ، ـ وليس باستطاعتنا ذلك ـ ان الاثر الابداعي سابق (للنظرية) ، او (للافكار) النقدية ، بيد أن هذا لا ينبغي ان النقد ، من خلال تتبعه ، واستنباطه ، يقدم للشعر رؤاه النقدية ، كتقويم ، او كطروحات تتأكد اهميتها من خلال الافكار التي تحملها .

ان الشعر القومي ، التقدمي ، الوحدوي ، لم يجيء تطبيقا لفكر نقدي سابق ، بل جاء ترجمة لمرحلة نهوض شعبي جماهيري وحدوي ، ولان تلك التوجهات النضالية حملت نزوع الجماهير فان من الممكن ، والمشروع المطلوب ، أن يتم ارساء قواعد نقدية تحمل ملامح النزوع الشعبي عربيا دون ان تنفصل عن خط الثورة في العالم بل هي تؤكد هويتها وثوريتها بالاخلاص لمبادئها القومية ، وبها تتلاحم مع حركة الثورة في العالم .

هكذا يكون على الشعر ، كمضمون غير محـدد ، ان يحمل اعباء (العقائدية) بفنية شعرية عالية .

ان العقائدية التي تترجم طموح امة ، لا تلغي ، ويفترض الا تلغي الاحاسيس الانسانية ، والا (تقولبها) ، بل هي تعمق الاحساس بكل ماهو دافيء ، وجميل ، وعذب ، وبمعرفة معمقة لـ : أن ما هو دافيء ، وجميل ، وعذب لا يمكن أن نحصل على تجلياته النقية الا حيث يلغى (القهر) .

على ضوء هذا التوجه يمكن النظر لقصائد الحب ، والوجدانيات بصورة عامة من منظور قيمتها الانسانية العليا ، وهي في الوقت نفسه ليست منفصلة عن المعطى الاجتماعي ، بل هي جزء منه مثل هذا الشعر يؤخذ بقيمته البنائية ، الجمالية ، نقف منه الموقف الذي يحيط بناحين نقف أمام طبيعة مدهشة ، او جمال بشري بديع .

انه ، حين يمتلك (الوهج) الشعري : ابداع روحي مشرق لا يتعارض مع التوجهات العقائدية ، بل هو رافد مهم لها في جانب تلك العقيدة من جهة المشاركة (الانسانية) العامة في هذا المجال .

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النحل البرّي والعسل المرّ

الناشر : وزارة الثقافة ـ دمشق
تأليف : حنا عبود
مراجعة : غسان لافي طعمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر الكلاسيكي قلعة متشابهة الابراج والاسوار لا تفاجئك بشيء ولا تحمل لك قلقا بينما الشعر الحديث هو ذلك المتنزه الذي لا يمكن تصنيف أجزائه ولاضبطها يحمل لك المفاجآت ولكنه يشعرك بحرية لا تشعر بها في القلعة .

بهذا المفتاح الجميل يفتح لك الناقد حنا عبود باب كتابه النقدي ــ النحل البري والعسل المر ــ على مصراعيه لتدخل الى حجره شئت ام ابيت وانت امام ثلاث حجر ، في الحجرة الاولى تجد مضمون الشعر السوري الحديث وفي الحجرة الثانية تجد اشكاله وفي الحجرة الثالثة تجد الواقع والآفاق او ملامح نظرية نقدية .

في الحجرة الاولى التي تضم المضمون يتحدث الكاتب عن الرؤى السوداء في الشعر السوري الحديث هذه الرؤى المتقاربة على الرغم من بعض التباين في الجزئيات . وهذه الرؤى تبدو كصفعات اليمة تداهمك وانت تقرأ هذا الشعر او وانت تدخل هذا المنزه العصري الذي يلعن بعض اصحابه العصر الذي وجدوا فيه كما يشير الناقد من خلال قصيدة ــ الاعور الدجال ــ للشاعر علي كنعان :

ــ ألعن نفسي مثلما ألعن هذا العصر .

لانني ولدت فيه

لانني قبلت ان اعيش فيه

كالشاهد الجبان

لم استطع تبديل شيء فيه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويبين الناقد أن هذه الرؤى السوداء تعتمد على الخلفية الاساسية لتي تقوم على العناصر الآتية :

ــ استلهام الواقع

ــ الانفعال الرومانسي

ــ المخزون التاريخي

ــ صورة المستقبل

ــ تداعي الصور ...

وهذه العناصر متداخلة بعضها مع بعض فقد يغلب عنصر على غيره وقد يضيع عنصر فلا يكون له وجود البتة .

ويجيب الناقد على سؤال فحواه : ما سبب انتاج شعرائنا المحدثين لهذه الرؤى السوداء ؟ وفي اجابته يبين ان اليسارية منطلق جميع هؤلاء الشعراء وجميع الشعراء من الطبقة الوسطى والكدح الذي يمارسونه هو كدح فكري ، فالدخل محدود وجميع الشعراء او معظمهم من – النحل البري – أبناء الريف الذي استوطن القفير الصناعي الاقلة قليلة من المدن . واذا كانت هذه المعطيات تشير الى التفاؤل لا الى الرؤى السوداء فانها انتجت رؤى سوداء لانه – كما يبين الناقد – لا اليساري آمن بالمستقبل ولا الوسط التزم بموقفه الطبقي ولا الريفي استمد من جماهير المدينة تفاؤلا وقد شاركت الانتكاسات القومية والسياسية في تعميق هذه الرؤى السوداء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم يعقد الناقد الفصل الثاني من المضمون للمازوكية بما تعنيه من استعذاب الالم فالالم بات مغناة في الشعر والشاعر صار يضفي على آلامه قيما جمالية . والشعر السوري يوغل اكثر فأكثر في استعذاب الالام حتى يصل الى درجة العشق ويرى الناقد ان مقولة – الشعر الحديث متألم – تصدق على جميع النتاج الشعري السوري تقريبا . وحين يتتبع الناقد بداية المازوكية يعود الى بداية الحزن الرومانسي في الخمسينات ولاسيما في شعر وصفي قرنفلي وعبد الباسط الصوفي وعبد السلام عيون السود ونديم محمد . فالحزن ابتدا رومانسيا ونتيجة حس الصدمة الذي نجم عن الاوضاع تحول الى ألم والى رؤى سوداء قاتلة خالما عنه رومانسيته او متخففا من كثير من أعبائها ويرد الناقد المازوكية الى المنابع الآتيـة :

– النزوحات الكبرى كالنزوح الاسكندروني والنـزوح الفلسطيني والنزوح الريفي ثم النزوح الحزيراني .

ـ الشعر العالمي الذي عبر عن احباطات انسانية وترك أثرا بعيـدا في الشعر السوري الحديث . ثم يتحدث الناقد عن مظاهر هذه المازوكية فيرى أهمها :

ـ **الوطن المهزوم** : الشعر يعامل الوطن كذات كبيرة وبحسب الشعور الذاتي يكتسب الوطن الوانه . وقد جرى تصوير هذا الوطن بنقل حالته الى المرأة او المدينة او العشيقة وخضع هذا الرمز او ذاك لالوان مـن المازوكية فهذه امراة تعاني آلام الوضع وتلك العشيقة يعذبها عشاقها وهذه مدينة يمرغها فاتحوها وبذلونها . ان الوطن امراة في حالة الطلق عند علي الجندي ولكن البشارات فواجع .

ـ **الغربـة** : الاحساس بالغربة ظاهرة عامة في الشعر السوري بل في الشعر العالمي ومنابع الغربة متوفرة في حياتنا والاحساس بالغربة بشكل عصب الشعر الاساسي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ **الفقر** : بدا الفقراء احساسا عميقا جدا يتلقفه الشاعر من الواقع العام ... لم يعد الفقر يرى .. بات يحس به لم تعد العين هي التـي تصوره بل باتت النفس هي التيتشعر به . والفقر يأتي ممزوجا بمظهر الحزن الذي تحول الى الم ...

ـ **الخوف والرعب والملاحقة** : ان الشاعر يعتقد دائما انه ملاحـق ويدور في دوامة الخوف والرعب ويتبسط في عرض آلامه ومعاناته ...

ويعقد الناقد فصله الثالث في باب المضمون لجناز الطبيعة ويرى ان الشعر الحديث خلع عن الطبيعة ثوب عرسها ولم يقدم اليها سوى الكفن وحده والكفن لم يظهر الا بعد ان اكمل الشاعر نسجه في نفسـه لنفسه فكل رثاء للطبيعة رثاء للنفس . فالشاعر الحديث غرق في الحزن فقام بمراسيم جناز الطبيعة التي ليست سوى طقوس رثاء لنفسه ذاتها . وهذا ناتج عن ملاحقة الروح التدميرية في الكون فصيغة الكون نحيا لنموت وليس نموت لنحيا . ويرى الناقد في جناز الطبيعة الابعاد الآتية :

ـ تراجع البريء وطغيان الضواري ..

ـ تصنيع الطبيعة فالصناعة تهاجم كل شيء ...

ـ العقم الاجتماعي المجسد شعرا في البوار ...

ـ عدم قدرة الانسان على التمتع بالطبيعة ...

ـ قلب مظاهر الطبيعة ...

ـ التوحيد من الطبيعة المدحورة المقهورة تحسسا لاساليب القهر والكبت والاضطهاد .

ويعقد الناقد الفصل الرابع لمورفولوجيا المدينة مبينا رؤية الشعراء السوريين للمدينة التي تختلف من شاعر لاخر مع أن هناك سمة عامة هي ان ابن الريف يظل يحس الغربة الاجتماعية في المدينة ، والمدينة في شعرنا السوري الحديث هي دمشق ، وهناك فريقان من الشعراء : شعراء الريف يتخذون منها موقفا سلبيا فيرون فيها الغربة والضياع . وشعراء المدينة يرون فيها رمزا لكل ماهو جميل ويخرج الناقد من هذا الفصل بنقاط الارتكاز الآتية :

ـ هناك تشابه بين الشعر السوري خاصة والشعر العربي عامة فيما يخص الموقف من المدينة يتجلى في الاحساس بالغربة والضياع وانهيار القيم الاخلاقية التي يتمسك بها الشاعر ...

ـ صورة المدينة في الشعر السوري تتحكم فيها وتلونها المواقف السياسية .

ـ صورة المدينة في الشعر السوري ايجابية لدى شعراء المدن وديعة اليفة ...

ـ صورة المدينة في الخمسينات زاهية مشرقة ككل شيء في تلك الفترة وظلت هذه الصورة زاهية في مطلع الستينات ثم اخذت تهتز ..

ـ مقاربة الشعر السوري للسياسة انقذته من الورطات الفنية ومقاربة السياسة تختلف عن الشعر السياسي ...

ـ تتناوب المرأة الادوار مع المدينة وبعد عام ١٩٦٧ تصدرت المرأة الشعر السوري باعتبارها رمزاً للوطن ...

وفي الحجرة الثانية تجد الشكل حيث يطرح الناقد في الفصل الاول السؤال الآتي ؟ :

ثورة في الشكل أم ثورة شكلية ؟

ويجيب الناقد على السؤال بشكل مفصل معرجا من خلال جوابه على اشكال الشعر الغربي ثم يعقد الفصل الثاني للاشكال الطافية والتجارب الجديدة في الشعر السوري الحديث فيذكر من هذه الاشكال الشعرية الطافية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ **المطولة** : كمطولة الشاعر فايز خضور ـ اعترافات الحسين بن علي ـ ويرى الناقد ان شكل المطولة يمكن ان يسير في الاتجاهات الآتية : الروح الملحمية والبانوراما المسرحية والروح القصصية .

ـ **القصيدة** : وهي تميل احيانا الى التشتت واحيانا الى التماسك ومن القصائد قصيدة ـ الشارة ـ لنزيه ابو عفش .

ـ **رسالة الاعلام واليوميات** : كالرسائل التي وجهت الى نيرودا وأراغون . ومنها رسائل فايز خضور الى يوسف الخال ورسائل محمد الماغوط الى السياب ومن اليوميات يوميات الخطيئة لممدوح عدوان .

ـ**المقطوعة** : شيء يبرق في الذهن فيسجله الشاعر تسجيلا فنيا وهي لا تحتل مساحة واسعة في الشعر السوري الحديث ومن المقطوعات المتميزة خوف ساعي البريد لمحمد الماغوط .

ـ **المسرحية** : كمسرحية السيل لعلي كنعان . ثم يتحدث الناقد عن التجارب الجديدة في الشعر السوري الحديث فيرى منها :

افتاحيات وخواتيم ، الديوان ، المطولة ذات الموضوع الواحد والمطولة المتنوعة الموضوعات والمتنوعات ذات المصب الوحد ، والهاجس والجمرة والحوارية والرسالة الذاتية والنشرة .

والحجرة الثالثة من الكتاب ـ الواقع والافاق فيها ملامح نظرية في نقد الشعر . لان الناقد يبحث في البديل الادبي فيرى ان نظرية البديل تتلون بحسب النظرية العامة التي ينطلق منها الكاتب ولذلك تمر هذه النظرية بمراحل ثلاث :

- **الدعاية السابقة لاحلال البديل ...**
- **الممارسة في حال انتصاره ...**
- **الارتدادية في حالة فشله ...**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونظرية البديل لا يمكن طرحها ـ في مجال الادب الحديث ـ الا فيما يخص الشعر لان بقية الاجناس كالقصة والرواية والمسرحية والمقالة لم يكن لها وجود مسبق متكامل ، فالبديل في ادبنا مسألة تطرح في ميدان الشعر فقط ... حيث حل شعر جديد محل شعر قديم .

ثم يستعرض الناقد بدقة وتؤدة النظريات التي حاولت تفسير ظهور الشعر الحديث كبديل للقديم مع الاعتراف بمدى صعوبة تفسير الظاهرة الادبية التي لا تنصاع ـ باعتبارها ممارسة ابداعية ـ للحصر والتجديد كغيرها من الظاهرات وابرز هذه الظاهرات :

ـ **النظرية السياسية :** ان الحاق الادب بالسياسة وتقلباتها ليس امرا طارئا في الدراسات الادبية بل هو قديم قدم المجتمعات العربية لان السياسة تتواشج بالادب وتشتجر ...

وبعد أن يبين الناقد مستويات العلاقة بين الشاعر والواقع ـ السلطة ـ يصل الى نتيجة مؤداها :

ان غلبة المواقف السلبية للادب من ـ السلطة ـ تدعو الى عدم الايمان المطلق بالنظرية السياسية ، والتسليم بمثل هذه النظرية يحجب دراسة تطور القوانين الخاصة بالادب . فمن المزالق التي تدفع اليها النظرية السياسية ذاك الربط الايجابي بين السلطة الجديدة والشعر الحديث . وهذا ما يجب تجاوزه لان النظرية السياسية تنظر الى التأثير السلبي او الايجابي لسياسة ما وانعكاس ذلك في الشعر وارى ان الناقد حنا عبود كان على حق حين وجد ان الشعر الحديث لم تمهد لـه سلطة سياسية فلذلك فان ربط نشأة الشعر الحديث بالسياسة كبديل عن الشعر التراثي لا يستقيم . والمجال الـذي يمكن للنظريـة السياسية ممارسته في مسألة السلطة هو ذاك المجال العملي الذي تحاول فيـه السلطة ان توظف لصالحها تيارا من تيارات الشعر بالاضافة الى مجالات الايديولوجيات السياسية وتأثيراتها العميقة التي يمكن ان نلمسها في بواكير الشعر الحديث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ **النظرية الايكولوجية** : وهي النظرية التي تظهر اثر البيئة الجغرافية والاجتماعية في ظهور البدائل الادبية وقد اولاها نقاد غربيون كسانت بيف وتين اهتمامهم . ومع ان الاخذ بهذه النظرية يكون على حساب عوامل اخرى فان هذه النظرية يمكن ان تفسر جوانب عدة من حركة الشعر الحديث . فمعظم الشعراء هم من المنطقة الساحلية وبعض القرى والمدن الصغيرة الداخلية وعلى الاخص سلمية ولا يمكن التفريق بصورة دقيقة وكاملة بين شعر الساحل وشعر الداخل ويعود ذلك الى النزوح الريفي الذي تم في سورية في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، ويرى الناقد ان اخطر ما يوجه الى هذه النظرية من نقد هو ان المرء لا يكون سلس الانقياد للبيئة فقد يكثر ساكن الصحارى من ذكر الاشجار ويحن منتجع الغاب الى رمال الصحارى ، فالانسان كثيرا ما يشاكس البيئة ويعاندها . ولو طفنا ارجاء الشعر السوري فاننا نجد من الناحية الايكولوجية اعمدة ثلاثة . المدينة والريف والسياسة .

المواجهة مع المدينة ، الحنين الى الريف ، الصراع مع السلطة . وبعد استعراض نماذج ريفية في شعرنا الحديث للشاعر فايز خضور وعبد الكريم الناعم يصل الناقد الى القول : ان النظرية الايكولوجية قد تفسر جوانب عديدة في الشعر الحديث ولكنها غير كافية لتفسير جوانب اخرى. فالقصيدة الريفية على الرغم من وجودها لا يمكن العثور عليها صرفة خالصة وهذا ما يبعد طرح البديل في هذا الميدان لعدم تفرده بالاجابة المقنعة .

ـ **نظرية الطبقية** :تتميز النظرية الطبقية بالشمولية فتتناول الاقتصاد والسياسة والادب والفن مما يساعد في رصد كثير من المظاهر . وقد انجزت هذه النظرية الكثير في هذا الميدان والقت اضواء كاشفة وجادة على كثير من النتاج الادبي .

فهل يعد الشعر السوري الحديث بديلا طبقيا في البناء الفوقي للشعر التراثي ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ **يمكن القول** : ان الشعر الحديث ليس سوى منعكسات لمسيرة البورجوازية . ولكن لابد من ملاحظة ان الشريحة الادبية لا تلتزم دائما بما تنتهجه الشريحة السياسية وان كانتا من طبقة واحدة . لان طموح الادب ابعد بكثير من انجازات السياسة ولذلك فمن الصعب المطابقة بين الادب والسلطة وبخاصة الشعر . ويبدو من اشد مبررات النظرية الطبقية ان اسلوب الانتاج الراسمالي كان قد دخل العالم الثالث قبل ان يجري التدخل للسيطرة على التطور فساعد ذلك على الفرز الطبقي كما ان الايديولوجيات ذاتها طرحت المسائل الطبقية على بساط البحث فساعدت في نمو الوعي الطبقي مشددة على قضية الانتماء ولذلك يرى الناقد ـ وهو على حق في ذلك ـ انه يجب طرح الشعر السوري الحديث باعتباره انعكاسا لممارسة البورجوازية المتوسطة والصغيرة وازماتها الحادة وغير الحادة وتمزقاتها الداخلية وطموحات

الشريحة الادبية لا باعتباره ممثلا للبورجوازية في الميدان كبديل للشعر التراثي . مع التمييز بين الانتماء الطبقي والايديولوجي والانتماء الفني ومهما بلغت المساهمات الجدية التي قدمتها النظرية الطبقية فان مسألة البديل بحاجة الى طرح آخر .

ــ **نظرية التناقض** : ان نظرية التناقض يمكن ان تفسر لنا كثيرا من جوانب الشعر ومن المهم ان تستخدم نظرية التناقض في فهم تطور الشعر والادب بل ان قانون التناقض هو من قوانين التطور الادبي . وقانون التناقض لا يفعل فعله في الادب والفكر بشكل مفاجيء بل يبدأ بارهاصات تناقض الراي العام السائد في الجو الادبي او الفكري او الاجتماعي . فالانسياق وراء اي شيء مدة طويلة قد يؤدي الى نقيضه فقد جرى التململ من النسق الجاهلي منذ الجاهلية ؛ فكان العصر الاموي بداية ارهاصات النقيض حتى اذا جاء العصر العباسي تدعم النقيض وساد . واذا تابعنا السلسلة نجد ان الشعر العباسي والموشحات وشعر المهجر هي المنعطفات الكبيرة في تاريخ الشعر العربي لكل منها خصوصية . ولكننا نلاحظ شيئا مشتركا فيها ؛ هو ان النقيض يظهر بعد الاطلاع على انماط اجنبية فاذا نظرنا الى الشعر الحديث نلاحظ انه اخذ يتشكل كنقيض وبديل بعد الاطلاع على الشعر الغربي الحديث وحتى لا يقع الناقد في بؤرة المغالاة يقول : « اغلب الظن ان الشرارة الغربية اشعلت الاهب وهيأت الوسط لتقبل بديل جديد يناقض الشعر الموروث في نواح كثيرة » .

ــ **نظرية المحاكاة** : نظرية تراثية ترى ان هناك مسيرة تراثية تتخلى عن معوقاتها عن طريق التجارب الجديدة التي تضيف اليها ما يمكنها من الاستمرار . ونظرية المحاكاة لا تؤمن بما يسمى البديل بل تؤمن بما يسمى اضافات او ابداعات ضمن العملية التطورية المتصاعدة للتراث الشعري اما الثورات المتطرفة فانها وقتية عابرة حسب ما تذهب اليه نظرية المحاكاة التراثية . والحديث عن التراث في هذه النظرية اشبه

بالحديث عن الارومة الخالصة التي لا تشوبها شائبة ولذلك تتهم الشعر الحديث بشيئين اساسيين :

- البعد عن التراث .
- الاخذ عن الاجنبي .

ويرى الناقد ان الموقف من التراث تحدده الحاجة اليه سواء اكان تراثا قوميا ام تراثا عالميا . وهكذا تتحدد مسالة البديل بنزوع ابناء العصر وحاجاتهم . مهما اضفينا على صنمية التراث من قدسية .

- النظرية النفسية : ترى هذه النظرية ان الالتفات الى النفس هو بداية الشعر الحديث وهو البديل عن الالتفات الى الخارج الذي يمثل العجز عن تحقيق اي شيء ومع ذلك لم يكن الشعر التراثي يخرج عنه . فكان الشعر التراثي يدمر الاعداء على الورق بينما ارتد الشعر الحديث الى الناحية المقابلة الى تقريع الذات وملامة النفس والاقرار بالعجز . ويصل الناقد الى زبدة الكلام وهي ان مسالة البديل متعددة الجوانب والاركان لان اسبابا متعددة ومتضافرة بل متداخلة طرحت مسالة البديل المطروح ومدى قدرته على الصمود والاستقرار . والشكل الجديد للشعر الحديث الذي لم يستقر عند حدود تخوم معلومة سوف يخضع لكثير من التبدلات . ويختم الناقد حنا عبود كتابه بالبحث عن مسارات للشعر السوري الحديث والمسارات هي اتجاهات السير والتطور والاتجاهات هي نزوعات يحاولها الشعر وليست مذاهب أو تيارات فنية كاملة فالشعر السوري الحديث بلا مدارس واضحة او محددة ..

فالمسار الاول يتعلق بالرؤية هذه الرؤية التي ترتكز على خلفيات مسبقة ، سياسية ، قومية ، دينية ، فلسفية ... وكل شاعر يعيش الواقع ويرنو الى المثال وما الشعر سوى اعتماد على عالم مشروخ وتطلع

الى عالم متكامل وفي حديث الناقد عن الرؤيا يتتبع هذه الرؤيا في الشعر السوري منذ فترة مابين الحربين فيراها واضحة متفائلة . الى ان يصل الى اواسط الستينات الى ظهور الرؤى السوداء التي تمت لها السيادة بعد نكسية ١٩٦٧ فبرزت شخصية الشاعر قوية عاتية ولكنها متألمة معذبة . كل شيء تساقط وضل الشعراء طريقهم ولم تعد الرؤى تتمتع بالميزتين الكبيرتين — الوضوح والتفاؤل — كل شيء يضيع ويغلفه الشك . لقد دفن الشعراء الامل وقضوا على المنقذ فادلهمت سبل الخلاص ، واسترابوا بالثورات والثائرين والبطولات والابطال ويتساءل الناقد : هل يتغير هذا الاتجاه ؟ ام انه سيغرق اكثر فاكثر في جهة سيره . . .

الارجح ان يظل هذا الاتجاه في وجهة سيره فترة ليست بالقصيرة ابدا ومن المتوقع ان يزداد الشعر السوري غنى وعمقا وتتكشف ابعاد جديدة لم تكن لتخطر على بال ، اما بعد ذلك فان المخاض سيكون طويلا حتى يتجه الشعر السوري الحديث اتجاها جديدا من حيث الرؤيا . فمساكب الالم تتدفق وستكون حافزا الى المزيد من العمق والصدق والجراة ، وخلف هذا الاتجاه نجد الريبية — سببا من اكثر اسبابه ، والمسار الثاني يتعلق بالاخلاق فهل يمكن تحديد الشعر السوري فيما يخص الاخلاق ؟

يجيب الناقد بامكانية ذلك فالشعر السوري فيما يتعلق بالاخلاق يتجه اتجاها لا يختلف عن اتجاه الرؤيا . فلا تختلف فكرة المخلص في الاخلاق لان الرؤيا تعتمد على مفاصل اخلاقية من حيث الاساس وعندما تتغير الرؤيا تتغير المفاصل الاخلاقية .

والاتجاه العام للشعر السوري الحديث في ميدان الاخلاق هو اتجاه يسير من الانصياع الى التمرد ، والانتقال من الانصياع الى التمرد . بحاجة الى نقلة نوعية اساسية هي ممارسة الحرية في النظر والتفكير .

وممارسة الحرية هنا تنطلق من بذرة الريبية التي تتصدى للجاهزية في شتى المجالات . والانتقال من اليقينية الى الريبية هو انتقال من الوضوح الى الضبابية ، وهذا سوف ينعكس على مسيرة الشعر . فالريبية انبثقت بذرتها من ازمة عامة خلقها العام الحزيراني الذي فضح ما كان مستورا . وطفقت بذرة الريبية تنمو الى ان عمت وشكلت تيارا أو اتجاها في الشعر السوري الحديث ، وهكذا يتجه الشعر السوري الحديث من الانصياع الى التمرد بعد ان اخترق حاجز اليقينية وهو تمرد على القيم من اجل الحق ...

والمسار الثالث مسار الشكل الفني . والاتجاه العام للشعر السوري الحديث يسير من الاقتداء الى التسيب من حيث الشكل الفني والمقصود بالتسيب هو تلك التجارب الجديدة التي يحاولها الشعر السوري ـ الافتتاحيات والخواتيم والديوان والمطولة والهاجس والحوارية وهذه التجارب ليس لها قوانين ضابطة ولا أسس واضحة ، انها لا تزال محاولات في بداية الطريق وهذه التراكمات المتزايدة في ميدان التجريب سوف تسفر عن شيء من الانظمة التي يمكن الركون اليها او انها سوف تساعد على اكتشاف بعض السبل الضابطة ومن يدري فقد تكون توهجات هشيمية عابرة . فان كانت كذلك فان الشعر السوري الحديث سوف يواجه ازمة حقيقية .

وختاما ان تكن دراسات كثيرة ساعدت على توطيد الشعر الحديث وتقريبه من القارىء فان الشعر الحديث هو المسؤول عن الافاق الجديدة التي سيرتادها او الحدود التي سيقف عندها . وبعد هذا التعريف المتواضع بكتاب نقدي قيم يمكن لقارىء الكتاب ان يتساءل : ما المساهمة الجديدة التي يقدمها الناقد حنا عبود في دراسة الشعر السوري الحديث.

وفي الاجابة على هذا السؤال يمكن ذكر ما يمتاز به هذا الكتاب عن الكتب الاخرى ...

١ ـ يركز الناقد على الرؤية الشعرية واسبابها وخلفياتها الاجتماعية والسياسية .

٢ ـ التركيز على البيئة الاجتماعية للشعراء ـ النحل البري ـ شعراء الريف وصراعهم مع المدينة التي كادت ان تحطم امالهم .

٣ ـ التفصيل في الاشكال الجديدة التي استحدثها الشعراء للتعبير عن رؤاهم .

٤ ـ تغطية اوسع مساحة شغلها الشعراء السوريون المحدثون من خلال نماذج منتقاة تخدم غرض الناقد بشكل دقيق .

٥ ـ مناقشة معظم النظريات التي حاولت ان تفسر ظاهرة بروز الشعر الحديث كبديل للشعر التراثي ، وكشف ما هو حقيقي منها وما هو هامشي .

٦ ـ الحديث عن الآفاق الجديدة التي شقها او يمكن ان يشقها الشعراء السوريون المحدثون بحيث يكمل الشعر مسيرته التحديثية . ومحاولة تبين خط مسار الشعر الحديث والدلالة على بعض الدروب التي يمكن ان يسلكها .

٧ ـ دقة المصطلحات ووضوحها وبعد الناقد في اسلوبه عن الحذلقة البلاغية والتباهي الثقافي .

٨ ـ اعتماد الناقد على الشعر العالمي لاضاءة بعض مضامين الشعر السوري الحديث ، أفليس الشعر السوري الحديث نهراً يصب في بحر الشعر العالمي ؟! .

هذه الملاحظات وملاحظات اخرى قد اكون أغفلتها تجعل من كتاب الناقد حنا عبود ـ النحل البري والعسل المر ـ مساهمة نقدية جادة وقيمة لدراسة الشعر السوري الحديث كفرع في شجرة الشعر العربي النامية في بستان الشعر العالمي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليالٍ عربيّة :
من المعنى إلى الدلالة

صالح الرزوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اعتقد ان لتاريخ صدور العمل الادبي الاول اهمية خاصة بالنسبة لنتاج الاديب ككل . وليس اعتقادي وهما لان الظاهرة لا تدفن راسها في رمال التاريخ ، ولكنها تبرز مضيئة مشعة ولافتة للانظار . هذا ما فعلته رواية خيري الذهبي الاولى التي حملت عنوان (ملكوت البسطاء) .

ولقد اراد خيري لروايته ان تكون ترنيمة لزمن مضى وزمن آت ، فجعل اول كلمة فيها (ملكوت) لما لها من ايحاء مجازي .

وبالعودة الى تاريخ صدورها وهو عام ١٩٧٦ ومطالعة قائمة الروايات التي صدرت في العام نفسه ، يمكن ان نعتبر انفسنا قيد اكتشاف ظاهرة مشعة من النوع الذي اشرنا اليه .

ففي مصر صدرت رواية (وقائع حارة الزعفراني) لجمال الغيطاني وكانت تندب الواقع الاجتماعي والسياسي للسلطة المصرية .

وفي العراق صدرت (القمر والاسوار) لعبد الرحمن مجيد الربيعي ، واعتبرت وقت صدورها هجاء ومرثية . الا ان عبدالرحمن منيف في روايته (حين تركنا الجسر) وضع النقاط على الحروف ، واعترف باللعنة الحضارية والتاريخية التي اصبحنا فيها . وان كان اعترافه مضخما وقاسيا لكنه دلالة قاطعة على واقع مترد لم يعد بالامكان السكوت عنه .

هذا هو الطقس الذي باشر خيري الذهبي الكتابة فيه . انه طقس عاصف وضع الامة بعد سلسلة من الاحداث على مفترق طرق . لذلك لم تكن (ملكوت البسطاء) غير ذلك فهي تبدأ بحرب كبرى ، وتنتهي بتألق نجم البورجوازية التجارية ، دون ان يكون هنالك اية بارقة بشيء محدد . لقد آثر خيري الذهبي ان يوقع ابطاله في مصيدة الهزيمة ، العطل الذي يأكل آلة الثورة ولما تزل هي في عنفوانها . وقد وضع بذلك اول حجرة في بناء عالمه الروائي الذي سيتوجه بمحاولة رائدة سوف نتكلم عنها بعد الحديث عن (طائر الايام العجيبة) .

الرواية المذكورة تشكل حلقة تالية في تجربة الذهبي . فهي تتكلم عن مرحلة ما بعد الجلاء ، وتكوّن الوعي الوطني وما اسفر عنه من تشكل احزاب ووقوع احداث عربية ضخمة . ولعل في ذلك حلقة اخرى من وعي خيري الذهبي بالذات ، فتعامله مع التاريخ والحاحه على ملاحقة الدوائر التاريخية المعروفة اصبح واضحا . وانه يذكر على نحو سافر بمغامرة مطاع صفدي الروائية في عمليه الكبيرين (ثائر محترف) و (جيل القدر) .

ان (طائر الايام العجيبة) لا تتورع عن دخول عالم الخيبة من بابه الواسع ، مطلقة نبوءات مريرة حول المصير العربي ليست اقل مرارة مما ورد في اعمال مطاع صفدي . وهي كسابقتها (ملكوت البسطاء) تربط المستقبل بوضع البورجوازية التجارية الآخذة في الاتساع والنمو . وتشيع لغة شجائية جامدة كانما تمهد للعمل الثالث (ليال عربية) .

اذا كان شكل (ملكوت البسطاء) نزوة ، وان كانت (طائر الايام العجيبة) قد تخلت عن الطموح التقني لصالح الشكل التقريري المقنن ، فان (ليال عربية) تجمع طموح الاولى وتقريرية الثانية .

اما من حيث الموضوع فانها تتابع المساحة في احداث التاريخ الكبرى.

وهذه المرة تختار مشكلة ساخنة هي ازمة لبنان بالذات .

ترى لماذا اراد الكاتب ان يعبر عن تفجر الوضع العربي بالحديث عن الازمة اللبنانية ؟ هل لان اطرافا عديدة تتداخل وتتقاطع في هذا المجال الحيوي الصغير ، ام لاعتبارات اخرى ؟ .

وهل اختار شكل (ألف ليلة وليلة) الفانتازي الذي تحركه الصدفة والاحداث الخارقة لاجل الربط بين ذلك الزمان وهذا الزمان ؟

بظني ان الاجابة على هذه الاسئلة تضع في ايدينا مفتاح الرواية .

ليلة الحب / ادب الرجل

في السير والملاحم العربية الشهيرة يخلق الكاتب ازمة لامتحان ابطال القمة ودراسة انفعالاتهم . وقد قرر خيري الذهبي ان يلم شمل مجموعة من الاصدقاء في بيت أحدهم ، وهو سليمان الصحافي ، ثم يفجر من حولهم حربا مجنونة من تلك التي عرفتها بيروت جيدا ؛ على ان يقطع عنهم سبل الاتصال بالعالم الخارجي . وهكذا تبدو اللعبة التي يلعبها

غير ماكرة الى حد بعيد ، بل انها مألوفة بوجهها وقناعها لكثرة ما ترددت في أدبيات التراث العربي . انها المصادفة مرة اخرى . المصادفة الخبيثة المستحيلة التي تأتي على غير ميعاد وتمتحن الخلاقيات زمرة من البشر . وعلى ذلك فالرواية قبل كل شيء سلوكية كما هي ثائر محترف وطائر الايام العجيبة والف ليلة وليلة . وبالرصد السلوكي نقدم شهادة على العصر ورجالاته . وهي شهادة سوداء مقيتة كما ارادها الكاتب ، وشهادة ضريرة كما نراها نحن . لانها تبصر الواقع بعيون رجال حياتهم الاساسية تدور خلف كواليس المجتمع حيث تترعرع المؤامرات والمكائد والاحقاد المريرة .

واود الا يمر القارىء على كلمة (رجال) بدون تمحيص . فهذه الكلمة تصل حاضر الرواية بماضيها ، وتفضح سيطرة الذكر على الحدث والرؤيا ، وتطبع التاريخ بوجهة نظر واحدة تنتصر للرجل وتدين المراة .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

فشهريار يفرد جناحيه الكبيرين على الفصل الاول من اول كلمة حتى اخر كلمة . وعلى الرغم من ان الفصل يحمل اسم (ليلة الحب) فـان المنطق الشهرياري يكثر من استخدام الفاظ خاصة مثل اللذة ، النشوة ، الخمر ، الجسم الرشيق ، الاذرع الثعبانية ... الخ . وبذلك يسود المنظور الجنسوي على معنى الحب وعلى العلاقات الاجتماعية القائمة بين افراد المجموعة . ويشير الكاتب الى ذلك صراحة حين يضع على افواه المجموعة الحوار التالي :

(ــ الحب ؟ قال نبيل ــ الا تظنون انه اختراع حديث ؟

ــ ماذا تعني باختراع حديث ؟ قالت نوال

ــ بمعنى ان الحيوانات لا تحب . وبمعنى ان الانسان البدائي لا اظنه كان يعرف الحب) ص ٦٣ .

ان الصنعة واضحة في عبارة نبيل وتساؤل نوال ، واكاد اقول التصنع . وهذا يخبرنا ان تجنيس الحب لا يأتي من صلب الرواية بـل يضيفه الكاتب اضافة .

وذلك صحيح بالنسبة لحديث نبيل الاخر . وهو عن الحب ايضا .

(ـ نبيل حدثنا عن الحب .

ـ اهو دوري ؟

ـ إن احببت .

ـ حسنا . ساحدثكم عن صديق كانت له تجربة غريبة جـدا مـع المراة . المراة غير التي تعرفون ، ليست المراة الجمال ، وليست المراة الارستقراط لا ، وليست المراة الطموح بل المراة الجنس) ص ٦٤ .

فهل كان نبيل يحدثهم حقا عن الحب ، ام يتكلم عن المراة الجنس ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الواضح اختلاط المفهومين ضمن المنظار الروائي . ومن الواضح اكثر استغراق الجميع في لعبة المبادهة على الرغم من انها مكشوفة وقديمة كما يقولون . فهم يميزون بين المراة الطموح والمراة الجنس ، ثم يعتقدون ان الحديث عن المراة الجنس هو حديث عن الحب . فالى ماذا يشير ذلك كله ؟ وما معنى هذه المقدمات الطويلة حتى نصل الى حديث الحرب والخيبة ؟ .

لو تعمقنا في المنطق السردي الذي يتبعه الكاتب ، واعتبرناه دلالة ومن خلف مدلول ، فاننا بكل بساطة نتوصل الى حقيقة هذه (الكراكوزات) التي رمى بها خيري الذهبي على مسرح الرواية .

وعذرا لكلمة (كراكوز) . انني اعني بها التصنع ولا شيء سـواه . وعلى الرغم من انه يوحي بفشل لعبة الترميز ، لكنه يؤكد وجودها . فالحقيقة الكامنة خلف هذه الزمرة الخائبة من البشر ، هي حقيقة الصراع

العربي / العربي فوق الارض اللبنانية . وان التأكيد على تجنيس الحب والعلاقات الانسانية الاخرى يجعل من الصراع قضية اغتصاب حينا وممارسات شاذة حينا اخر .

وتوجد واقعة يسردها نبيل ، تميط اللثام عن الرموز المعتمدة والمكررة في كل صفحة . هي قصة فتيات البلوجينز والبيجاما وسيدة الطلاق اللواتي اغتصبن صديقه المحامي بطريقة غاية في الشذوذ . فقد استدرجته احداهن الى بيت منعزل واحاطته ببيئة مسحورة يتبخر الجنس فيها والطعام والموسيقا البدائية الموحشة .

ثم اقبلت عليه بجسد فائر ومارست معه . وبعد أن نهضت من جانبه اقبلت الثانية فالثالثة ـ ص ٧٥ ـ واستمر الوضع كذلك الى ان اخذت حيويته بالنضوب وتغيرت عادات نومه . ص ٧٦ .

وكان هذا ايذانا بطرده شر طردة . حيث سقته سيدة الطلاق من الخمر حتى الثمالة والقته على قارعة الطريق جسداً منهكا لا حول به ولا قوة ـ ص ٧٧ ـ وقد جاهد المحامي طويلا ليكشف مكان المنزل غير انه لم يحصد سوى الاخفاق .

ان العلاقة التي رسمها خيري الذهبي بين الطرفين هي علاقة اغتصاب شكلا ومضمونا . وهي علاقة استغلال انثوي لحيوية الرجل . وهي في النهاية علاقة استعمارية باللغة السياسية الدارجة .

وفي اعتقادي ان الروائي لم يكن صادقا في وقت من الاوقات كما هو في هذه الحكاية لانه يعبر عن هزيمة الرجل الشرقي المزدهي بفحولته وتراثه امام اغراءات الغرب المؤنث . وان لم يكن في الرواية اية مفردة جغرافية دالة على غربية الرمز أو شرقيته ، يكفيني حصرا ماورد ذكره من مفردات بالغة الدلالة كالبلوجينز والبيجاما وغيرها .

هكذا تتكشف المداليل الجنسية في (ليلة الحب) ، ويسقط وهم الالفة والتفاهم المفترض وجوده بين افراد المجموعة ، لذلك يصبح من المحتمل تورطهم كأطراف في صراع دام هو محور الحديث في (ليلة الحرب) .

ليلة الحرب ـ ادب الهزيمة

ان خيري الذهبي اذ يدفع العنصر النسائي ليتكلم في (ليلة الحرب) يتوخى تأمين المناخ اللائم لوقوع الهزيمة ، علـى اعتبار الانوثة هزيمة بيولوجية يتحكم بها قانونا الصدفة والقدر .

لقد فرق الكاتب بين (ليلة الحب) و (ليلة الحرب) بأن جعل الحديث في الاولى لشهريار المتغطرس والمصاب بمازوشية جنسية مستعصية ، وجعل الحديث في الثانية لشهرزاد المنهارة المصابة بمازوشية معنوية هي بنت المكان والزمان . وهذا فرق كبير بين الليلتين .. ليلة الرجولة وليلة الانوثة . ليلة الحرب الحقيقية وليلة الحرب الداعرة .

فاختيار شهرزاد الانثى بطلة في الليلة الثانية لم يكن نتيجة قرعـة ولا مزاج طارىء ، بل ابن مخيلة رجولية لا ترضى للرجال ان يكونوا ابطال حرب صغيرة تدور خلف كواليس مجتمع متفسخ . على حين يبدو الامر اقل استهجانا فيما لو اتى على الـسنة نساء منهزمات اجتماعيا وبيولوجيا . وهذه هي ذروة الهزيمة .

لقد استطاع خيري الذهبي بمقدرة يحسد عليها ان يجسد اللوحة الحزيرانية والفاجعة اللبنانية من خلال قلوب نسائية منهارة . وكان ذلك مبعث قرارات هامة تلخص الحرب في دائرتها الاولى ، واقصد انفصام العلاقة المزيفة القائمة بين سليمة وزوجها دياب ، نوال ورجلها سليمان .

وهذا يفضح العلاقة المزيفة القائمة في صلب الوفاق اللبناني المزعوم ، وفاق التوازنات والمداجاة والمحاباة . في حين ان الحقيقة الكامنة في قلب الاشياء هي الحقد والثورة والغضب . وعلى هذا يبدو الدم حلا معقولا ، ويبدو طلب سليمة للطلاق من زوجها أمرا على درجة كبيرة من الصواب والحق .

أما الحرب في دائرتها الثانية فتساهم في اعداد وجه مقترح لحزيران الهزيمة والسقوط . وفي سبيل ذلك قد يتحدث المؤلف عن السجون - ص ١٣٤ - والاهمال ص ١٤١ والاذاعة ص ١٣٣ حتى يتمكن أخيرا من الصراخ على لسان نوال قائلا (رأيت القناع) ص ١٠٩ . نعم انه يرى القناع فحسب ، ولن يتوصل ابدا الى رؤية الوجه وذلك خطاه وخطأ الفكر العربي الهجائي الذي يتجلى في خطابيات (مظفر النواب) . وبالمناسبة فان اللغة النوابية وشيئا من عباراته يتكرر بين سطور الرواية ويشي بصلته الوثيقة بها تقنية ومضمونا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على العموم من المفيد ان نميز الصنعة الروائية لدى خيري الذهبي عن التلفيق الروائي . ففي الحالة الأولى ترق اللغة وتستطرد مشاعر الكاتب المرهفة في وصف بديع يكاد يحلق بجناحين من ذهب ، وفي الحالة الثانية تتيبس أوصاله الفنية ويغزوها جمود وشحوب ، وتغلب على الرواية الافكار و (الحواديت) السياسية الهجائية التي تبتهج بالادانة ومهاجمة الاخر .

وان تارجح رواية (ليال عربية) ما بين الصنعة والتلفيق يعني انغماس احد اطراف الرواية في التنظير والمباشرة .

وهو خطأ نعثر عليه في (ملكوت البسطاء) حينما تتكلم بهية الأم . ومرد ذلك الى انفعال الروائي بالجانب الفجائعي من المسألة . وسوف نلاحظ تراكم هذه اللغة المباشرة في الليلة الثالثة حينما تشيع الفجيعة وتتحول الهزيمة الى مأساة ، ويصبح الحدث الروائي ديالوجا طويلا .

ليلة الخيبة / ادب المأساة /

تصمم الرواية في الخاتمة على المواجهة . ويأتي هذا القرار الحاسم بعد دهر من الصراع الذي يجد اصوله في ايام غابرة من التاريخ العربي ، أيام الف ليلة وليلة بالمعنى السياسي والاخلاقي والفني .

وإيجاد مثل هذا المحور الوسيط بين ماضي الصراع وحاضره يعطي الحدث صفة العمومية ، وينقل الهزيمة من طورها الجنيني الى مرحلة المأساة . وبالتالي تصبح الحركة الروائية تراجيديا اخلاقية تتحكم بها قوانين الضرورة العمياء .

وقد نجح خيري الذهبي أيما نجاح باختياره مكانا مغلقا للتدليل على عمق الجانب الفاجع من المأساة . شأنه في ذلك شأن ياسين رفاعية صاحب رواية (الممر) ووليد اخلاصي مؤلف (الحنظل الاليف) وهنري باربوس مبدع تراجيديا اللا منتمي وصاحب الرواية الرائعة (الجحيم) . فالمكان المغلق يسهم اسهاما ملحوظا في عزل الظاهرة المأساوية ، وبدلا من أن يدعها في ذمة متحولين هما المكان والزمان . يثبت الاول ويترك المجال حرا ومفتوحا أمام الاخر ليجري فينا وليكون البطل الاوحد . وان جريان الزمن في الف ليلة وليلة ، وذلك السباق الزمني بين سيف الذكورة ومغناطيس الانوثة مسألة ضاربة الجذور في فلسفة البنية الملحمية التي استفاد منها خيري الذهبي استفادة غير خافية . وقد اتى انتحار الهام قبل الخاتمة ليسد الطريق امام اي حديث عن المصالحة والوفاق ، وليكشف المأساة المتنامية على نحو سرطاني في ارجاء المكان المغلق ، اي ضمن دوائر الصراع المتقاطعة .

ومن خلال وقفة استعراضية يقفها خليل مع الذات والاخر يتوصل بشيء من الفلسفة والسياسة الى ما توصلنا اليه من نتائج .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الكاتب (اخذ خليل يستعرض الايام الثلاثة كلها . كانت شيئا خارجا عن كل منطق ، بعيدة عن كل معقولية ، شيئا أقوى من الحلم ، وابعد من الهستيريا . استعرض الوجوه القلقة الخائفة المرعوبة المعذبة غير المصدقة . ملامح ممسوحة ، وظلال رمادية ، انوف ضخمة وعيون اختفت شرطاتها . اهؤلاء هم ؟ ايعقل هذا ؟ ! اهؤلاء من فعلوا وسيروا وغيروا ونظروا ؟ اهؤلاء من حلموا الدهر بتغيير العالم ؟ فلما اتصلوا به حولهم الى هذه الدمى الفاشلة المذعورة) ص ٢٥٨ .

ولما كانت المأساة قد وعت ذاتها في هذه الكلمات القليلة ، وخارجا عن الهم الروائي ، بضربة سحرية هبطت على رؤوس الشخصيات المختنقة بالظلام ، فقد اصبح الحل هو الخلاص المسيحي الذي يفتح نافذة على الحياة والعالم بعذاب الروح والجسد ، الذي يغسل ادران الخطيئة البشرية بنكران الذات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانتحار الهام كما يصفه خيري الذهبي يبدو ضربا من ضروب الخلاص (نشرت ذراعيها في الهواء ، وفي اللحظة التالية ، وقبل ان يدرك خليل ما ستفعل ، وقبل ان يحاول ايقافها كانت قد قفزت في الهواء دون ان تصدر صرخة واحدة) ص ٢٥٧ .

واكاد اتخيلها واقفة على مرتفع من الارض في قلب العتمة وقد نشرت ذراعيها وأمالت رأسها جانبا والى الاسفل ، كانما هي المسيح على صليبه. وسقوطها كان انحدارا في هاوية المكان وتثبيتا لشلال الزمن الجريح الهادر.

واحيل القارىء الى ابطال الرواية وهم يرتلون مفردات توراتية للخلاص القادم على يد مسيح عصري آت اليهم من خارج مأساتهم وهزيمتهم .

ففي الصفحة الاخيرة من الرواية يركع الجميع ، سليمان وعبود ، سعيد وخليل ، دياب ونبيل ، نوال وسليمة ، يركعون بذعر ويهتفون للمسيح الخارج من اهاب الهام قائلين :

تباركت أيها القادم . ليعل اسمك عاليا . من أنت ؟
ليتمجد اسمك . من أنت ؟
طمئن قلوبنا المذعورة . واخبرنا من أنت ؟

قلوبنا تهفو وعيوننا ترنو ، وآذاننا تتطاول وتحاول معرفة كنهك أيها العظيم . تعطف واخبرنا . من أنت ؟ ص ٢٦٠ .

ويبقى الجواب مرهونا بضربات المعول الممنة في ازالة العزلة عن الشخصيات وتحطيم الفواصل المكانية القائمة ما بين جحيم الداخل وجحيم الخارج .

قبل تتهدم هذه السدود ، وتتكحل عيون المحاصرين بالمخلص ؟ ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

متابعات

نصر الدين البحرة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصية الشهر

روجيه غارودي :

من السياسة الى الفلسفة والدين

يمكن القول ان الكاتب والمفكر الفرنسي الكبير روجيه غارودي ، كان شخصية الشهر في آذار الماضي ١٩٨٤ ، في وسائل الاعلام العربية . فقد زار سورية والقى عدة محاضرات ، تحدث فيها عن الحضارة العربية مجددا اعجابه القديم بها ، وقد كان منذ اكثر من اربعين سنة ، اثمرت اكثر من عشرين كتابا ..

وخلال ذلك اجريت مع الدكتور غارودي لقاءات ومقابلات كثيرة نشرت في عدد من الصحف العربية ، وبينها تلك المقابلة الهامة التي اجراها في باريس قبل مجيئه الى دمشق ، مع الاستاذ نصير مروة ، ونشرت في مجلة الكفاح العربي .

يقول روجيه غارودي :

عندما ذهبت لاول مرة الى افريقيا شعرت بأنني مذنب . لقد ناضلت ضد الاستعمار عمري كله ، ولم افلح في هزيمته ، لهذا فانني اشعر بانني مذنب . لقد ناضلت ضد استعمار الجزائر ، ولم أستطع وقفه ، ولهذا فانني شعرت بأنني مذنب . ما يهيمن على حياتي هو الشعور بانني مسؤول . وهذا الشعور الثابت بالمسؤولية هو الذي وجه خطاي في المسيحية وفي الماركسية والاسلام — روجيه غارودي اعلن اسلامه عام ١٩٨٢ — وردا على سؤال يقول : « ان هذا الشعور بالمسؤولية نجده ايضا لدى رجل لم يكن متفقا معه ، هو سارتر » يجيب غارودي :

المسؤولية لدى سارتر تندرج في افق فردي جدا ؛ وكان هذا هو سبب خلافاتنا . لقد كنا أصدقاء كثيرا ، لكن .. كثيرا ما وقفت ضده بعنف . علاقاتنا كانت تراوح بين المحبة والعنف ، لانني لم اكن استطيع ان اقبل بفرديته المطلقة . هو نفسه يقول في « الكائن والعدم » : كنت أحمل العدمية معي ، ولم اكن أستطيع الخروج من فرديتي .

من جهة اخرى ، وعد في نهاية « الكائن والعدم » بكتابة كتاب في الاخلاق ، غير انه لم يستطع ذلك بسبب اقتناعه بأنه تستحيل الكتابة عن الاخلاق انطلاقا من الفردية .

■ هذا الالتزام والمسؤولية نجدهما في آثار سارتر جميعها دون أن يكون مسيحيا .. او مسلما ، ما تعليقك ؟

■■ مسؤولية ماذا ؟ قلت له ذات يوم : ان قلبك على اليسار ، وعقلك على اليمين ، ذلك انه من الناحية الواجدانية كان يرد بردود فعل ايجابية ، وكان دائما الى جانب الخير . في المقاومة ابان حرب الجزائر كان الى جانب الطرف الخير ، لكن فلسفته ما كان يمكن ان تؤسس سياسة يسارية ، بل سياسة يمينية . لان الفردية لا يمكن ان تكون اساسا الا لنظام رجعي . ولهذا قلت : ان عقله على اليمين .

■ اذا كان الايمان والعمل مرتبطين في قناعاتكم ، فان السؤال يصبح عما اذا كنتم تعتقدون ان ايمانكم الاسلامي يمكن ان يقدم حلا للازمة الحالية . بعبارة اخرى : هل تعتقدون ان اسلام «المدنية» الذي قدمتموه كحل .. يمكن ان يكون جوابا عن المشكلات التي نواجه ؟

ARCHIVE

■■ كلا ، ولكنه يمكن ان يساعدنا على ايجاد جواب . نحن لا نستطيع ان نكرر ما قاله النبي الى ما لا نهاية في عصره . ما يجب ان نبحث عنه هو الهدف الذي كان يسعى اليه ، ونطبقه على عصرنا مع مراعاة الحقبة التاريخية التي نعيش . ان كل مستقبل توسع الاسلام رهن بالاجتهاد ، ولست انا اول من يقول ذلك ، بل رشيد رضا الذي توفي عام ١٩٣٥ . وانا مقتنع بانه يجب ان تنطلق الامور من حيث تركها رشيد رضا ، لا .. ان نكرر صيغا ثابتة الى ما لا نهاية .

والامر صحيح بالنسبة الى كارل ماركس ايضا . عندما كان ماركس يحدد نمط نمو الراسمالية الانكليزية ، في القرن التاسع عشر فانه قام بتحليل نقدي رائع . الان فاذا كررنا ما قاله ماركس بالامس عن راسمالية اليوم . فاننا سنخطىء الهدف لان الراسمالية لم تعد كما تركها كارل ماركس . ما يمكن وما يجب القيام به هو تحليل لواقع اليوم بمثل قوة وعبقرية التحليلات التي قام بها ماركس في عصره لواقعه ؛ مستلهمين طريقة ماركس او منهجه . والامر سواء بالنسبة الى النبي ، فقد كان

عليه هو ايضا ان يواجه مشكلات سياسية وهو لم يكن نبيا او داعية وحسب ؛ بل .. رئيس دولة وقاضيا ورجل أعمال .. الخ . ووجد أو الهم الى جواب لحل مشكلات معينة ، وفي القرآن ، وفي التفاسير الاولي نجد اولا ظروف نزول السور ، ومعنى هذا انـه اذا كان اصل السور الهيا ، فانه لا يمنع انها نزلت في لحظة معينة من التاريخ . وعلى هذا فان السؤال يصبح كالتالي :

ماذا يمكن ان يكون جواب النبي اليوم على مشكلة الشركات المتعددة الجنسية ؟ ماذا يمكن ان يكون موقفه من السلاح النووي مثلا ؟

■ هل يمكن للثورة ، حتى اذا كانت ماركسية ـ لينينية أن تتخلص من التصوف ، او من نواة تصوف على الاقل ؟

■■ انا اقول ان الاشتراكية التي لا تقبل هذا البعد المفارق تنغلق على نفسها في « انسانوية » مغلقة ، وليست الاشتراكية فقط ، ليس هناك مجتمع في اعتقادي يستطيع ان يعيش ويستمر اذا لم يكن فيه شراكة ايمان في البداية ، ما يدهشني في مجتمع المدينة « يثرب الاولى » هو انه حين أصبح النبي رئيس دولة ، ووجد أمامه اناسا آخرين هم اليهود ، فقد قبلهم كما هم ؛ بحيث انه اذا حدث وارتكب يهودي جريمة ، فـان النبي كسلطة ، كان يقبل ان يحاكم اليهودي على أساس الشريعة اليهودية ، ثم عرض الامر نفسـه على نصارى نجران في اليمن . وحين انتشر الاسلام وامتدت دولته ، فان الخلفاء الراشدين منحوا الحق نفسـه للزرادشتيين والبوذيين ، مما يعني ان الامبراطورية الاسلامية بالنسـبة الى النبي كانت نوعا من الفدرالية الدينية . واعترف انني لا اجد لعصرنا هذا مـن حل

آخر . غير هذا الحل . لكن هل يعني هـذا تحالفا بين المؤمنين ضـد الملحدين ؟ ابدا فانني اؤمن ان الملحد هو مؤمن بصورة ما ؛ فكل ملحد ملتزم يستعد ان يقدم حياته فداء لقضية انما هو رجل مؤمن بايمان ما ، انـه يؤمن بالانسان ، ايمانه بالانسان يحمل في طياته الايمان بالله ، وبالمقابل فان المؤمن الالهي الذي لا يحمل ايمانه بالله في طياته ايمانا بالانسان ، فانه يقع في تصوف مقفل ضحل لا جدوى فيه .

مـواقف

الكتاب الثاني من « المواجهة »

صدر في القاهرة العدد الثاني من مجلة « المواجهة » وهي التي تقدم نفسـها ككتاب غير دوري تنشره لجنة الدفاع عن الثقافة القومية في القطر المصري . وتحتل مسألة « الاختراق الثقافي الاسرائيلي من خلال التطبيع » موضع الاهتمام الاول في كتاب « المواجهة » الثاني ، فتناول محسن عوض قضية اقحام الطب النفسي في الصراع العربي الاسرائيلي ، وقدم رصدا تحليليا لتطور الجهود الاميركية ــ الاسرائيلية ، واشـار الى النشاط والجهود السرية والعلنية المبذولة في هذا المجال ، وأوضح أن مؤتمرات الطب النفسي التي تستخدم كسـلاح في الصـراع ، بدات في فنـدق « ووتر غيت » في كانون الثاني ١٩٨٠ في اطار من السرية التامة دامت حتى عـام ١٩٨٢ . وكان موضـوع الدورة الاولى « المعوقـات النفسية في المفاوضات الدولية » . وعقدت الدورة الثانية في « لوزان » بسويسرا تحت عنوان : « الاعتداء على الانسـان والقسوة عليــه ؛ والصلح كيف يكون في النهاية » .

وعقدت الدورة الثالثة في الاسكندرية بترتيب من الجمعية الاميركية للطب النفسي .

وتشير دراسة محسن عوض ــ وهو احد الكتاب المصريين الذين وجهت اليهم منظمة « كاخ » الارهابية الصهيونية انذارات بالقتل ، من داخل مصر ، اذا لم يوقفوا نشاطهم المعادي للصهيونية ــ الى وجود لجان للبحوث المشتركة ، وبينها على سبيل المثال بحث بعنوان « رؤى الصراع » اهتم بالجوانب الاجتماعية ــ النفسية للصراع العربي الاسرائيلي ، وكان المشرف على فريق هذا البحث البروفيسور اليهودي « ستيفن كوهين » وقد ضم عددا من الفلسطينيين والمصريين ، ومولت البحث منظمة « ايد » الاميركية من خلال جامعة نيويورك .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويوضح محسن عوض ان جهود اسرائيل امتدت الى الدراسات الميدانية ، كان يوضع عدد من الشبان المصريين والاسرائيليين في فندق ، ويتركون لتدور مناقشة في ما بينهم ، في حين يقوم عدد من الاختصاصيين الاسرائيليين بتسجيل ردود الافعال التي تبدو على المتناقشين اثناء الجدل ، واستخلاص الاستنتاجات ، مثلما جرى في « الندوات » التي عقدت في فندق « انتر كونتيننتال » في القاهرة ابتداء من ربيع ١٩٨١ .

.. وناقشت الدكتورة فريدة النقاش في هذا الكتاب من « المواجهة » المقولات التي يطرحها الدكتور محمد شعلان ، رئيس قسم الطب النفسي في جامعة الازهر . وهو الذي يمثل الواجهة الاعلامية لمؤيدي الحوار الاسرائيلي المصري ، وكان احد المشاركين في مؤتمر ووتر غيت . وقد أشرف على رسالة « ماجستير » تتضمن دراسة ميدانية عن الحوار

الاسرائيلي ـ الفلسطيني موضوعها : دور البارانويا في استمرار الصراع بين الاطراف الثلاثة ـ تعني البارانويا : جنون الاضطهاد ، وجنون العظمة ، وجنون الارتياب ، اذ تسود نزعة عند الافراد تجعلهم شديدي الشك والارتياب في الاخرين ـ .

.. ومن الموضوعات المنشورة في « المواجهة » دراسة للدكتورة لطيفة الزيات حول « شبكة دراسات الشرق الاوسط في الولايات المتحدة منذ نشأتها حتى عام ١٩٧٥ » وكان بيتر جونسون وجوديت شاكر قد قاما بهذه الدراسة عام ١٩٧٥ . وتوضح الدكتورة الزيات ان الشبكة المذكورة انشئت للعمل كأداة للاستعمار ، وتقدم نموذجا من مقاربة « شبكة دراسات الشرق الاوسط » لموضوعين ، على جانب كبير من الاهمية ، هما الاسلام والقومية العربية ، فالقومية العربية هي قومية معاصرة وجيدة ، مادامت تحل المشكلات الاقتصادية وفقا للتوجيهات الاقتصادية الغربية . فاذا فعلت العكس ، كانت قومية بدائية ومتخلفة وغير عقلانية . وكذلك الحال بالنسبة الى الاسلام .

ويعرض محمد هشام صورة للوضع الراهن في الجامعات الفلسطينية في الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، والمواجهة التي تجري بين هذه الجامعات وسلطات الاحتلال ، وذلك لتنفيذ الشعار الذي رفعه شمعون بيريز سنة ١٩٥٨ حين قال : يجب ان يبقى العرب حطابين وسقائين .

ويخصص كتاب المواجهة ملفا كاملا للامبريالية الثقافية والاعلامية . ويعرض الدكتور عبد العظيم أنيس كتابا صدر عام ١٩٨٠ ويحكي عن

نشاط وكالة المخابرات المركزية الاميركية في النصف الجنوبي من قارة افريقيـة .

وتقدم د. رضوى عاشور عرضـا لكتاب فرنسي صـدر عام ١٩٨٢ بعنوان : « غزو العقول » يتحدث عن الجهاز الاعلامي والثقافي الهائل الذي تستخدمه الولايات المتحدة في انجاز تغلغلها .

شـهادات

ميخائيل نعيمة .. يتحدث

ARCHIVE

الاديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة هو الان في الخامسة والتسعين من عمره . ما يزال يقرأ ويكتب ويعيش ، وان يكن سمعه قد شح الى حد كبير ، وقد نشرت صحيفة « النهار » حوارا طويلا معه « ٢٤ / ٣ / ٩٨٤ » بقلم ربيعة ابي فاضل ، قال فيه :

●● اسهر كثيرا . لا استطيع ان انام . الفكر لا يستقر على حالة واحدة ، يتنقل بسرعة هائلة . والذاكرة شيء عجيب غريب تحتوي كل ما عايشناه منذ طفولتنا ، ولا تعلم ما يطفو منها وما يغيب في لمحة واحدة . أفضل السكوت على الكلام ، الكلام الفصيح خاصة ، لانه كاذب احيانا ، لا يؤدي كل ما يمر في الخاطر .

●● كنت اتمنى ان اعيش من غير ان اتذوق اللحوم ، ولكنني لو شئت ان افعل لسببت لاهل البيت الكثير من التعب . يبدو ان المخلوقات في الكون تتغذى ببعضها بعضا ، وباشياء خلقتها لها الطبيعة . هنالك

الذين يحرمون على انفسهم اكل اللحوم وهم نباتيون . على ان النبات كذلك شيء حي ، يحس اللذة والالم بطريقة لا نستطيع نحن ان ندركها ، ويبدو ان الكائنات على الارض مكرهة ان تعيش بعضها من بعض ومن اشياء تنبتها الارض . وهذه حكمة ربانية جعلت من الكون وحدة .

واجد ان على الانسان اكثر مما على الحيوان ، فالانسان يشتاق الى التخلص من القيود ويصبو الى الحرية المطلقة ، بحيث يغدو هو وكل ما في الكون وحدة شاملة ، لا فرق فيها بين كبير وصغير ، ومتعلم وجاهل. ولا يعني هذا ان الانسان يجب أن يعيش كما يعيش الحيوان ، فالانسان يقاس باشواقه ، واقصى ما يشتاق اليه ان يتخلص من كل قيد وحد ، وان يتحد بالقدرة التي اوجدته ، مثلما يتحد النهر بالبحر الذي خرج منه .

●● اصبحت اتعب من المشي مسافات بعيدة . امس كنا في نزهة بالسيارة وعدنا الى البيت فوجدنا الكهرباء مقطوعة ، وانا اسكن في الثالث من بناية ذات ادوار ، فاضطررت ان اتسلق السلم درجة درجة ووصلت الى الثالث الذي نسكنه ، فارتميت على الاريكة ، وانا لا اصدق انني صعدت السلم وحدي دون اية اعانة من احد .

●● ربوت في الجبال . واتعشق الجبال بكل ما فيها ، وهذا لا يعني انني لا احب البحر كذلك . فالبحر يسحرني بمداه وأعماقه الساحقة التي تعيش فيها حيوانات بعيدة جدا عن ادراكنا ، لانه لا وصول لنا اليها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنت وانا صبي صغير احب العصافير وافتش عن أعشاشها حتى اذا وجدنا العش ، ووجدنا فيه فراخا اخذناها وذبحناها وشويناها على النار واكلناها . وعندما التفت الى الوراء واتذكر الجرائم التي كنا نرتكبها في الطيور اتوجه بقلبي الى الله راجيا ان يغفر لي هفوات الولودية .

●● كم يجب ان اعيش ؟ يا ليت في امكاننا ان نحدد ساعة ولادتنا وساعة موتنا ...

... أما متى ياتيني الموت فعلم ذلك عند الله ، وانا مستعد في كل لحة من وجودي الآن ، لان اتقبل الموت بمثل الرضا الذي اتقبل به النوم . ليس الموت عندي خاتمة الحياة ، بل مرحلة من مراحل الحياة ، لا نعرف لها بداية او نهاية : أؤمن بالتقمص فوجودنا لا يبدأ ساعة وجودنا ولا ينتهي ساعة نموت ، بل كانت لنا حيوات سابقات ، وستكون لنا حيوات بعد الموت الى ان نبلغ المعرفة الكاملة ونعود الى المصدر الذي منه انبثقنا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

●● في الكتب والكتاب ، أهم كتاب قرأته في حياتي ولا ازال أقرأه هو الانجيل ، ولعل أبرز شخص قابلته وكان له اثر في حياتي هو تولستوي ففي فترة من حياتي اعتبرت كتاب تولستوي « الحرب والسلم » من أهم الكتب التي قرأتها .

●● نظمت الشعر في فترة ثم انقطعت عنه ، واستغنيت بالنثر الذي لا يخلو من نكات شعرية . النثر يتسع للتحليل والتعليل اكثر مما يتسع الشعر ، واحاول في نثري ان اضفي عليه شيئا من المسحة الشعرية

قدر المستطاع . عندي افكار وعندي تأملات لا يتسع لها الشعر فانصرفت عنه الى النثر .

كانت بدايتي الشعرية في مدرسة « الناصرة » الروسية في فلسطين . ثم سافرت الى روسيا ، وهناك نظمت عددا لا بأس به من القصائد باللغة الروسية . وانصرفت الى التعمق البعيد في الحياة واسرارها والموت وما بعده . هذه لا يتسع لها الشعر . ففي امكانك أن تنبسط في النثر الى اقصى الحدود .

●● الشعر شعر لا فرق بين منظوم ومنثور . نزعة في الانسان يحاول بها ان يعبر عن الحياة كما يراها في نفسه وفي الكائنات حواليه . وما الفرق بين الشعر المنظوم والشعر المنثور الا في ان الاول قابل للغناء والثاني غير قابل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تيارات الادب العالمي

جيمس بولدوين يسال ويجيب

يعد جيمس بولدوين من اكبر كتاب الرواية في العالم ، وربما كان في الآن ذاته اشهر كاتب زنجي في تاريخ الولايات المتحدة . وقد صدر له اخيرا كتاب عنوانه « حوار مع الذات » يطرح فيه اسئلة على نفسه ، ويجيب كما لو ان السائل شخص آخر .

يقول بولدوين في كتابه الجديد ردا على سؤال :

لا ادري لماذا يجب على الروائي ان يعيش داخل غرفة مقفلة ، وان يراقب الاشياء من خلال الثقوب . انني الاحظ جيدا ، لكنني ادين مثل هذا الخطأ الذي يجعل الكاتب مجرد « حالة ميكانيكية » . ولا اعتقد ان ثمة مجالا للابداع الا اذا تمكن الروائي من ان يلتقط انفاس الآخرين ، بحيث تصبح هذه انفاسه الشخصية .

اجل .. انني اقصد الذوبان ، اذا شئت ، فالروائي ـ الأنا يجب ان ينطفىء ، تماما مثلما ينطفىء الليل في النهار . بمعنى آخر ، اننا امام الضرورة القصوى ، واني لأشاطرك الراي بانني مجموعة من الشخصيات، وهذا ما يجعلني اشعر احيانا بالدوار ، فاصرف وقتا كي اعثر على نفسي بين كل هذه الشخصيات ، ليس .. بدافع العودة الى الأنانية القديمة ، ولكن لانني لا املك خيارا آخر ، كي استطيع ان أضيف الى شخصياتي شخصيات جديدة .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

.. وفي جواب على سؤال طرحه بولدوين حول مسالة الزنوجة ، يقـول :

انا لا استطيع ان اتصور كيف يمكن تصنيف الناس على اساس الوانهم ! لو كان هذا مشروعا ، لكان علينا ان نعتمد مقاييس أخرى أكثر همجية كأن ناخـذ في الاعتبار شكل الانف او طول القامـة او عرض المنكبين . وفي هذه الحالة لا نتوصل الى الانسان .. وانما الى الذئب .

.. ولا بد لي من الاعتراف بأن الانسان الاميركي بلغ حد الوحشية الكاملة ، فالتقدم التكنولوجي لم يرافقه تفاعل حضاري باتجاه الاعلى ،

بل انه وضع الاغلبية امام السأم والدمار . واكاد اقول بكلمات واثقة ان صموئيل كوهين ، لم يتوصل الى ابتداع القنبلة النيوترونية من خلال المعادلات الرياضية البحت ، بل .. خلال المعادلات الاجتماعية ، فقد استطاع ان يشاهد كيف ان وضعا معينا يمكن ان يؤدي الى الابادة . بمعنى اوضح : ان القيم التي يخضع لها المجتمع الاميركي ، تحوله فعلا الى مجتمع بائد .

عندما يقرا البعض هذا الكلام ، سيقولون دون شك ان الملاهي في « لاس فيغاس » تظل مفتوحة حتى الفجر ، لكنني اريد ان أضيف شيئا ما الى معلوماتهم ، وهو ان الغرف الخشبية في هارلم .. تظل مفتوحة الى الابد . اذن عندما تحدث الوفاة ، يسقط الزمان والمكان .. معا .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

□ ربما كان هذا هو السبب في انك لا تقترح حلا ، بل انك تقترح دخولا اميركيا جماعيا الى المقبرة ؟

□□ لست بالطبع من يأمر بالانتحار النووي ، على الرغم من انني اعتقد ان تكديس السلاح غير التقليدي ، على هذا النحو يعني امرا واحدا، وهو ان المسؤولين لن يستعملوا هذا السلاح بأي حال ، لكنهم يحولون المجتمع الاميركي الى ضحية لهذه القوة العملاقة والميتة في آن واحد .

ان العالم يقف بانبهار أمام الصعود الاميركي الى الفضاء ، لكنني املك شعورا مختلفا ، فالبحث عن المجهول ، في المصطلح الاميركي ، لا

يختلف قطعا عن البحث عن الموت . وعندما وضع « نيل ارمسترونغ » اول قدم بشرية فوق القمر ، كان الزنوج يتساءلون هنا : هل سيرحل البيض حقا الى هناك ؟

ماك برايد : لماذا انسحبت اميركا من اليونسكو ؟

في حوار مع الشاعر الايرلندي د. شون ماك برايد ــ الحائز على جائزتي لينين ونوبل للسلام ــ قال :

في الغرب احساس بالتفوق ، ويقول اختصاصيو الكومبيوتر ان بالامكان انتاج نوع من الكومبيوتر ، يتفوق على كل شيء ، ومن يسيطر على هذا الكومبيوتر يقدر ان يكون في موقف اقوى كثيرا من شخص لا يملكه .. ومن هنا يتزايد الاحساس بضرورة وجود المعادل الاخلاقي الذي يمكنه ضبط هذا التقدم التكنولوجي .

واشار ماك برايد الى التطور المذهل ، والسريع ، والمتلاحق في مجال العلوم التطبيقية والتكنولوجيا ، دون ان يرافقه تطور مماثل في العلوم الانسانية ، وقال : اعتقد ان هذا هو السبب الاساسي في انهيار المسؤولية الاخلاقيــة .

وحول انسحاب الولايات المتحدة من اليونيسكو قال : ان اليونيسكو هي في البداية منظمة تهتم بنشر الثقافة في العالم الثالث . واميركا لا ترى

من مصلحتها ان تسهم ماليا في امثال هذه المنظمات ، التي لا تعود عليها بفائدة مباشرة . من ناحية ثانية فان اليونيسكو اشد المنظمات الدولية انتقادا لاسرائيل ؛ وقد أصدرت في الماضي قرارا يعتبر الصهيونية رديفا للعنصرية . وبما ان اميركا تؤيد اسرائيل فان مثل هـذه القرارات لا تعجبها . وقد اتخذ القرار ادارة ريغان الحالية ، وهي ادارة تذكر المرء بعصر ديبلوماسية القوارب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

صدر حديثاً عن وزارة الثقافة

من أجل نظام اقتصادي دولي جديد

تأليف : محمد بدجاوي   ترجمة : د. نجيب حداد

السفارة السياسية وادبها
في العصر الجاهلي

محمد علي دقة

فؤاد الشايب

المؤلفات الكاملة

المجلد الاول ـ قصص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صدر حديثا عن وزارة الثقافة

العائلة توت

سلسلة مسرحيات عالمية « ١ »

تاليف اسطفان اوكريني — ترجمة : سعد الله ونوس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حالة حرجة

سلسلة مسرحيات عالمية « ٢ »

تاليف : ف. روزوف — ترجمة : ضيف الله مراد

الغـزاة

سلسلة مسرحيات عالمية « ٣ »

تاليف : آغون وولف — ترجمة : رفعت عطفة

يصدر قريباً عن وزارة الثقافة

الاشـــياء

كتابات

محمد عمران

في سجن عكا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصص

الدكتورة نادية خوست

المشاركة في القوة العاملة والتنمية

تاليف : غاي ستاندينغ   ترجمة : عفيف الرزاز

يصدر قريبا عن وزارة الثقافة

قضية اسرائيل والصهيونية السياسية

تاليف : روجيه كارودي   ترجمة : د. ابراهيم الكيلاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التصوير والمكننة

تاليف : مارك لي بوت   ترجمة : حافظ الجمالي

مصنع الاقدام والسيقان

سلسلة مسرحيات عالمية ((٤))

تاليف : سرمت جايكان   ترجمة : جوزيف ناشف